د. حسين الهنداوي

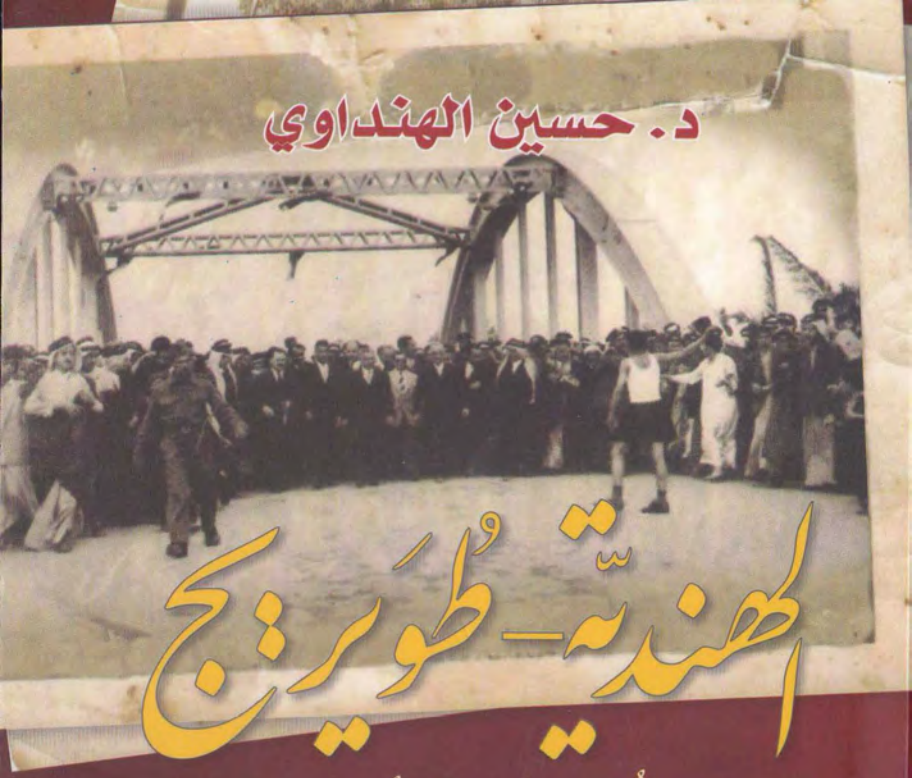

الهندية - طُوَيريج

بَيتُنا وبُستانُ بابِل

مكتبة الفكر الجديد

الهندية - طُوَيريج

بَيتُنا وبُستانُ بابِل

سيرة

المؤلف: د. حسين الهنداوي
عنوان الكتاب: الهندية –طُوَيريج
تصميم الغلاف: ماجد الماجدي
الناشر: دار المدى
الطبعة الاولى: ٢٠١٤

جميع الحقوق محفوظة

للإعلام والثقافة والفنون
Al-mada for media, culture and arts

بغداد : حي ابو نؤاس - محلة 102 - شارع 13 - بناية 141
Iraq/ Baghdad- Abu Nawas-neigh. 102 - 13 Street - Building 141
www.almada-group.com email: info@almada-group.com
+ 964 (0) 770 2799 999
+ 964 (0) 770 8080 800
+ 964 (0) 790 1919 290

بيروت: الحمرا- شارع ليون- بناية منصور- الطابق الاول
info@daralmada.com
+ 961 175 2616
+ 961 175 2617

دمشق: شارع كرجية حداد- متفرع من شارع 29 أيار
al-madahouse@net.sy
ص.ب: 8272
+ 963 11 232 2276
+ 963 11 232 2275
+ 963 11 232 2289

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recoding or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher.

لايجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين أي مادة بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية، أو بالتصوير، أو بالتسجيل أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدّماً.

د. حسين الهنداوي

الهنديّة - طُوَيريج

بَيتُنا وبُستانُ بابِل

٢٠١٤

المقدمة

في الذاكرة، كما في صرّة سفر الهائم الغريب، زوايا قد تبدو نائية او مجردة في لحظة او اخرى. بيد انها تظل، مع ذلك، زاهية وحيّة كسرّ جميل. بل قد تصبح ملاذاً خفيّاً للروح، وهمياً او متخيلاً ربّما، نعيد تزيينه وتلوينه وتكوينه بين حين وحين كي يظل بهياً عبقاً، تيمناً او تشبثاً بذكرىً ما، او لمجرد الوفاء لمسقط رأس او مرتع طفولة سام وحميم. وهل أسمى من قطعة ارض متعالية يتلوى الفرات العظيم منّ الألق بيّن يديها في رحلته القدرية الخالدة الى الجنوب؟ وهل أجمل من هذه البقعة الاصيلة بعطائها الصامت والسخي من المفكرين والعلماء والشعراء والفنانيين والخطباء المؤسسين للجديد والكوني الروح دائماً؟

ويكفي ان نذكر من ابنائها أدباء وفنانين روّاد ومبدعين لمعوا في كل العراق كمؤسس فن الغناء الريفي العراقي الشاعر والفنان عبد الامير طويرجاوي الذي كاد ان يعدم شنقا بسبب دوره التعبوي الفني والاذاعي الى جانب الثوار في حركة مايس ١٩٤١ ضد الهيمنة البريطانية على بلادهم، وكرائد المسرح الاذاعي العراقي الفنان ابراهيم الهنداوي، وكأمير التمرد في الشعر العربي الحديث الشاعر حسين مردان وكالموسيقي المجدد الفنان محمد جواد أموري الذي منح موسيقى الاغنية العراقية اصالة جديدة سمت بها بعيدا عن تاثيرات القوالب المصرية والتركية كما عن الايقاعات الافريقية والخليجية والهندية، وكالنحات المتألق أحمد البحراني الذي خرج بالنحت العراقي الى آفاق عربية واثقة.

وهل انسى الشاعر الكبير والسياسي الوطني إبراهيم الشيخ حسون الهنداوي وهو الذي عزز انتقال الشعر الشعبي العراقي في القرن

العشرين من مجرد حداء الى فن حديث كان قد اسسه استاذه الشاعر الشهير الحاج زاير المولود في بورسيبا التابعة الى الهندية في الاصل عبر الكفل قبل اقتطاعه من القضاء، والشاعر والخطيب الشهير السيد رضا الخطيب مؤسس طور المثكَل في الابوذية العراقية، وامير الشعراء الشعبيين عبد الامير الفتلاوي، والقاص واللغوي المبدع مهدي شاكر العبيدي، وقبلهم جميعا في العصر الحديث الشاعر وأحد قادة الثورة العراقية الكبرى في ١٩٢٠ الشيخ محمد حسن ابو المحاسن الذي استقال من الوزارة في ١٩٢٤ احتجاجا على استمرار الانتداب البريطاني على العراق، والشاعرة الثائرة ونسة الفتلاويّة المجاهدة الشهيرة المولودة في طويريج في عام ١٨٩٥ والتي نالت منزلة عليا في الضمير العراقي من خلال التعبئة للثورة تلك، وعشرات المفكرين والعلماء والفقهاء والخطباء والفنانين والكتاب والرياضيين وحتى كبار القادة السياسيين والعسكريين مختلف التيارات الايديوجية الذين عرفهم تاريخ العراق الحديث، بغض النظر عن موقفنا منهم، واشهرهم زعيم حزب الدعوة الاسلامية ورئيس الوزراء العراقي منذ ٢٠٠٦ نوري كامل المالكي، والفريق الركن الراحل محمد رفيق عارف، أول رئيس لاركان الجيش العراقي ورئيس أركان جيش الإتحاد العربي الذي ضم العراق والأردن ما بين ١٩٥٣ وحتى نهاية العهد الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨. والقيادي الشيوعي الراحل مهدي عبد الكريم الذي وصل الى عضوية المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي وتوفي عام ١٩٨٦ ، والقيادي المؤسس في حزب البعث السياسي الراحل حميد خلخال عضو القيادة القطرية ووزير العمل والشؤون الاجتماعية، في أول وزارة تشكلت اثر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الدموي الذي نظمته المخابرات الامريكية.

والهندية المسورة ببابل وكربلاء وبورسيبا والاخيضر من جهاتها الاربع كالقمم، من نوع تلك الاوطان التي يمور في الواحد منا دفء

نبضها بين آنٍ وآن، فنداريه كالجمرة الطيبة خشية الاندمال الكامل دون ان نعرف لماذا غالبا. بالنسبة لي اعرف لماذا: لقد ولدت ونشأت وتفتحت كل براعمي الاولى في طويريج، الاسم الآخر الموسيقي والجميل والتاريخي لقضاء الهندية الذي يندر ان يذكره ابناؤه دون بهجة صادقة بالعلاقة به.

ليس هذا الكتاب المنجز في جزئه الاكبر قبل ٢٠٠٣، محاولة لتسجيل تاريخ مدينة، او تحليلاً لطوبوغرافيا ارض او بحثاً في اصول عشائر او اقوام. انما مجرد بيوغرافيا بلدانية افتراضية، وكتاب وفاء قوامه صفحات اولى وقلبية تراكمت مع مرور الزمن لرد جميل هائل للمدينة الام التي لا يغادرني عبقها رغم انني لم اعش فيها سوى سويعات الطفولة والصبا، بل لم اجدها قد ظلت ذاتها في حاضر الايام.. انه ايضا تحية اجلال ووفاء ليعقوب عزيز ورحمة جواد، أبي وأمي، رمز هذه الارض الطيبة ونبع المحبة والوفاء لها لديّ.

د. حسين الهنداوي

الفصل الاول

طريق المبتغى

جلال مياه الفرات وخضرة البساتين واسراب الطيور الملونة وبراءة الطفولة والصبا هي اللحظات التي تملأ مخيلتي، على مدى السنوات والعقود الماضية، كلما خطر ذكر طويريج على البال. بيتنا الصغير، وشبه المعدم، والمتواري في زاوية زقاق ضيق في محلة الكص الانيقة والعتيقة كان هو نفسه مهبطاً لنخلتين كريمتين بالرطب والظلال والنسيمات العذبة وزقزقات عصافير طوال النهار ومنذ اعالي الفجر الذي كان، في بيتنا، يقترن بل يتماهى دائما مع همسات تراتيل صلاة عاشقة القرآن، أُمّي، التي لم تكد تنقطع الا لتبدأ من جديد، ناشرة الهيبة والبركة وعبق الروح في كل مكان منه.

لقد كانت الهندية حتى صيف ١٩٥٦ عالما مجهولا بالنسبة لي. الا انها كانت العالم كله. بيد ان اختطاف الموت لوالدي المثقف الشاب المباغتة في منتصف ذلك العام تسببت في رجفتي الاولى في العمر و لم أكن ابلغ التاسعة بعد، وتزامنت مع اليوم نفسه الذي كنت سأذهب فيه معه لأستلام شهادة نجاحي من الصف الرابع الى الخامس الابتدائي في مدرسة الهندية الاولى. صور جثمانه المسجى ثم نعشه المحمول على اكتاف عشرات المشيعين وبينهم رجال علم وكادحون ومثقفون ورجال قبائل جاءوا من كل جهات الدنيا، لازالت تنبض في ذاكرتي كما لو انها

حدثت للتو وكذلك نبض دفءُ ذراعيه الملتفين كالغُصين الامين على جسدي الطفل آنذاك. و لم اعد اتذكر قسمات وجهه جيدا الا عبر تأمل نفحات الطيب والكبرياء التي اودعها بيننا وبمساعدة الخيال.

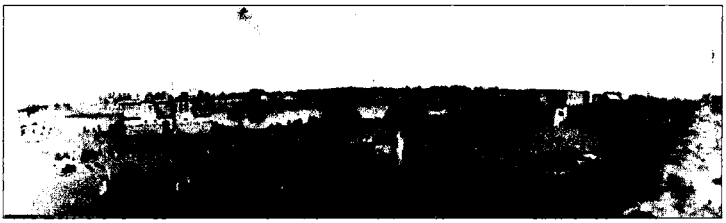

مركز مدينة طويريج في عام ١٩١٧ بعدسة المس بيل

في السنوات الاربع او الخمس اللاحقة، ترتسم الهندية بعدُ في الذهن عالما من الحركة والعطاء والكشف: مدارس تزخر بأناشيد الفتوة ومسابقات رياضية شتى، وصيادون "يكرفون" اسماك الفرات فجراً وغروباً منشدين في ذات الوقت اشعاراً تمجد الله والحب والعراق معاً، ومواكب عاشورائية يختلط فيها الاحمر بالاخضر بالاسود مع رفيف الصوت الخلاب لقراء ومرتّلين ستذهب شهرة بعضهم في الامصار بعيدا، ومنهم السيد قاسم الخطيب وكان أثيراً لدى أبي لا سيما حين يقرأ بطور "المثكل" الذي ورثه عن عمه، وكيالين وحمالين وتلاميذ ورجال عشائر تظاهروا كالرجل الواحد قبل حدث ١٤ تموز ١٩٥٨ وكالأعداء الالداء بعدها خاسرين كل شيء ومحولين مدينتهم الى قاعٍ صفصفٍ ثمّ محض ريف وعصبيات هدامة.

"طويريج" او الجرف العالي:

"طويريج" مفردة قديمة جدا في رأينا، وقد تعود الى اوائل الازمنة الحضارية العراقية واصلها "طوريج" او "طويريك" ومصدرها "طور" او "طار"، وتعني في اللغة البابلية القديمة ما علا عن حد الماء من الأرض اي

الجرف المرتفع عن مجرى الماء كما تعني موقع "الإنقاذ" من تيار الماء. وهو ما تؤكده دلالة الارض المرتفعة في التسمية القرآنية "طور سينين"، كما تؤكده دلالة تسمية "الطار" التي تطلق على "كهوف الطار" الواقعة على ارتفاع نحو ٦٥ مترا فوق مستوى سطح البحر غرب طويريج مباشرة في منطقة على الطريق الوحيد بين الحضارتين البابلية والفينيقية كما بين بابل وبلاد الشام وجزيرة العرب ما جعلها في الازمنة القديمة خاصة، شأنها شأن طويريج، محطة مرور اجبارية للتجارة والثقافة والجيوش.

و"طوريج" او "طويريك" كمفردة قد تعني في الاصل ايضاً، الطريق السالك الاوحد او الاضمن او الاقصر للوصول الى كربلاء. وتوحي بعض المعلومات التاريخية الموثقة بان منطقة طويريج كانت المرفأ في التحضير لاحدى حملات الاسكندر المقدوني الاخيرة ضد قوات الفرس في بلاد ما بين النهرين نهاية القرن الرابع قبل الميلاد. وان انتصاره في معركة شرق طويريج أدى الى انهيار الاحتلال الفارسي لبابل وسقوطها تالياً بيد القوات الاغريقية الزاحفة على آسيا بقيادته.

اذ تحفظ لنا الوثائق الاغريقية نصوصا تفصيلية مثيرة عن معارك طاحنة جرت في حوالي الاعوام بين ٣٢٩ و ٣٣٠ قبل الميلاد بين القوات الفارسية الاخمينية بقيادة داريوس الثالث والقوات الاغريقية بقيادة الاسكندر المقدوني للسيطرة على بابل، توحي مؤشراتها بشكل قاطع برأينا بان اهمها، بعد معركة "كاوا كاميلا" الشهيرة قرب اربيل، معارك اصغر دارت رحاها في تموز ٣٣١ قبل الميلاد مع حاميات فارسية احدها في بلدة صغيرة على الضفة الغربية من الفرات، وهي على الارجح في موقع بلدة طويريج القديمة.

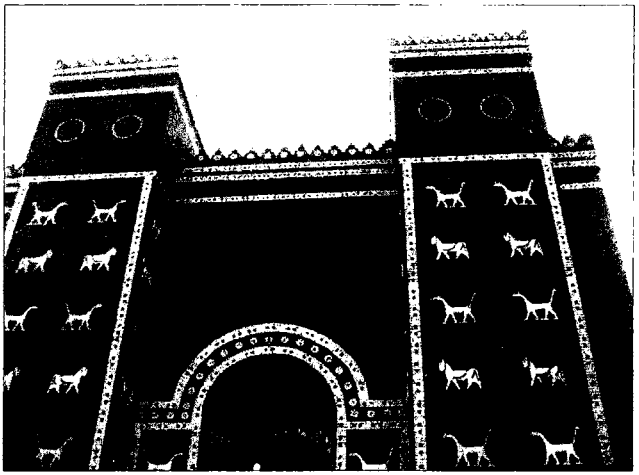

مدخل مدينة بابل الاثرية بعدستنا في ٢٠١١

ويحدثنا فلافيوس آريانس في كتابه "أيام الاسكندر الكبير في العراق"، ان الاسكندر وجيشه عندما عبرا دجلة باتجاه بابل، استقبله عدد من الفلاسفة البابليين وانحوا به جانبا بعيدا عن اصحابه ورجوه بأن يتوقف عن زحفه على المدينة، واعلموه نبوءتهم ان دخوله بابل في ذلك الوقت بعينه ليس في صالحه، لان الموت سيكون مصيره المحتوم فيها. لكنه رد عليهم ببيت شعر ليوربيديس يقول: "ايها الملك! لا تدخل المدينة مهما كانت الحال ان كنت مرسلاً النظر الى الغرب. ولا تقد جيشاً زاحفا الى الغرب، عليك ان تسير شرقياً!". ولذا امر قادة جيشه بالتوجه الى جهة الفرات لمهاجمة بابل "شرقياً" اي من غربها. فلقد خامره شك في نصيحة الفلاسفة البابليين له بعدم دخول بابل رغم انتباهه الى نبوءتهم. فقد جال في خاطره احتمال انهم يستهدفون صده عن زحفه عليها منطلقين من مصلحتهم الخاصة لا من نبوءة تذكر، لا سيما وانهم كانوا يستحوذون على ثروات المدينة وخاصة على كميات الذهب الهائلة الموقوفة لمعابدها وخصوصا معبد الاله بعل، والمتراكمة على مر الزمن لعدم وجود وجه تصرف بها.

وعلى الرغم من ذلك فان الاسكندر، على ما يروي ارسطو بولس، كان يميل الى النزول عند نصيحتهم او على الاقل عدم معاكستها من خلال تغيير اتجاه الدخول الى المدينة. وبناء على ذلك عسكر في اليوم الاول من زحفه قرب الفرات ثم على ساحله، في اليوم التالي، جاعلا النهر على يمينه، وراغبا في ان يجتاز شطر المدينة المواجهة له، ثم يستدير بجيشه، عقب ذلك، فيسير مشرقا. وتشير دلائل عدة الى ان طويريج وتحديدا صوبها الصغير المعروف باسم "الطنبي"، كانت تلك الارض التي عسكر فيها الاسكندر في اليوم الاول ثم انطلق منها لاحتلال بابل في اليوم التالي. وينقل المؤرخ اليوناني نفسه عن ارسطو بولس قوله ان نهر الفرات الواقع غرب بابل تحول الى مرفأ للاساطيل الاغريقية ومنها اسطول نيرخوس واسطول آخر نقل من سوريا مؤلف من سفن اشكالها شتى.

وكانت هذه السفن قد نقلت من فينيقيا الى الفرات قطعا واوصالا حتى بلغت مدينة تفساح (دير الزور) وهناك جمعت فصارت سفنا تمخر عباب الماء حتى بلغت بابل. ويقول الكاتب نفسه ان الاسكندر امر بقطع خشب السرو في "ارض بابل" وبنى بها اسطولا آخرا ذلك لان هذه الاشجار كانت تنمو بكثرة في بلاد آشور. اما الاشياء الاخرى اللازمة لبناء السفن فليس منها شيء في البلاد هذه لذا جلبت من سوريا. كما قدم عليه عدد من الصيادين والبحارة الفينيقيين كي يعملوا في السفن ويقوموا على ظهرها بخدمات اخرى.

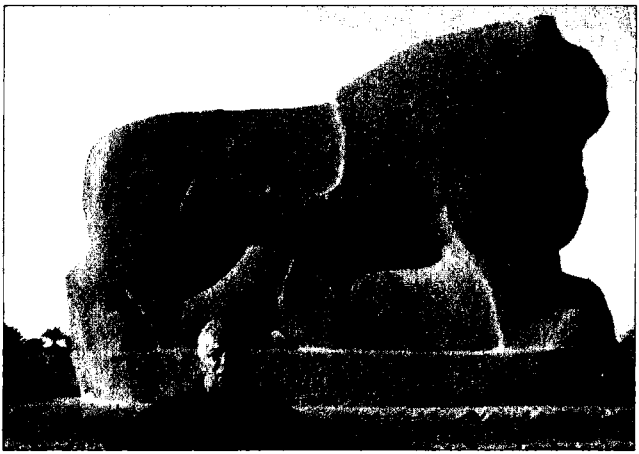

أسد بابل بعدستنا في ٢٠١١

وهكذا فقد اقام الاسكندر قرب بابل ميناءً وصل الحفر فيه حد جعله يستوعب نحو الف سفينة حربية راسية، كما شيد قرب ذلك الميناء مسفنا، اذ كان يصبو الى الانطلاق منه لاستعمار ساحل خليج العرب والجزر الموجودة فيه. (فلافيوس آريانس– "أيام الاسكندر الكبير في العراق" ترجمة فؤاد جميل – دار الوراق ٢٠٠٧– بغداد). ونعتقد ان احداث ذلك الغزو الاغريقي للعراق وعلاقتها بنهر الفرات وبابل تحتاج الى بحث موسع في المصادر الاغريقية القديمة ومعظمها مجهول لدينا لحد الآن. لكن لنلاحظ هنا ان "الطنبي" هو ذاته أسم قديم رغم ان أهل المنطقة قد لا يعرفون أصل هذه التسمية أو جذورها التاريخية، وتعني في الارجح "المعسكر" واستعملها العثمانيون بهذا المعنى. فقد جاء ذكر "الطُنُب" في لسان العرب بمعنى السّرادق او حبال السرادق أما أطناب الشجر فهي عروقها. وذكر ابن سيده أن "الطنب" حبل طويل يشد به البيت، والطنب بالفتح هو اعوجاج في الرمح. والطنبي (بالضم والسكون) موضع للقوافل في طريق مكة. وربما جاءت التسمية من وتد

البيت او السفينة، اذ عندما تمر السفن المبحرة في الخليج العربي يشاهد بحارتها أوتاد الخيام من بعيد، فيقولون تلك الأطناب ثم قيل طنب، وأصبحت بفضل ذلك اسما لجزيرة طنب الكبرى او طنب الصغرى مثلا.

وعلى العموم، أن تسميات البلدان في اللغة العربية مستمدة اما من مظهر بيئي، او من حادثة تاريخية (معركة أو كارثة او طقوس دينية)، او من وظيفة عسكرية او اقتصادية (زراعية او تجارية..) مورست او تمارس فيها. وهذا يصدق على مفردتي "طويريج" و"الطنبي" بداهة.

ويبدو ان الاهمية المرفئية للهندية هي التي تقف وراء استخدامها من قبل السلطات العثمانية خلال حملاتها العسكرية لضرب عشائر المنطقة الثائرة او التي رفضت دفع الضرائب الجائرة التي فرضها الولاة العثمانيون على السكان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فمن الثابت تأريخيا، ان ازمة مالية حادة قادت الدولة العثمانية الى فرض ضريبة على الاشخاص كما على الماشية والابواب والنخيل والاراضي اضافة الى ضريبة "القرعة" وهي تجنيد نسبة من الشبان للخدمة العسكرية الاجبارية مع الجيش العثماني في المناطق النائية الباردة من ممتلكات الدولة العثمانية. وينقل عن الرحالة الفرنسي لجان في مؤلفه "رحلة لجان إلى العراق في ١٨٦٦" (ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد ٣/١٢ لسنة ١٩٨٣) قوله عند زيارته مدينة الحلة في ١٨٦٦ ان السلطة العثمانية في الحلة اعدت اسطولا مكونا من ٢٣٦ مشحوفاً للتوغل في الهندية لشنّ الحملة على اهاليها في فترة اقترنت بارتفاع ملحوظ باعداد السكان في الحلة والهندية وكربلاء والكوفة والنجف اثر مباشرة السلطات العثمانية اصلاح القنوات المائية المرتبطة بنهر الفرات الذي كان يفيض اكثر من مرة في السنة كما جاء في كتاب "الحلة في العهد العثماني المتأخر ١٨٦٩-١٩١٤" للدكتور علي هادي عباس المهداوي (ص ١٧٢).

[illegible] الطبيعية لحوض نهر الهندية في مدينة طويريج، [illegible] الطبيعي حصراً، ارتفاع الارض وصلابتها، جعلتها على الدوام، [illegible] الاقوام، موضعاً مرفئياً على نهر الفرات ما يفسر تحول البلدة لاحقا، [illegible] هذه امتدت حتى منتصف القرن العشرين، الى ورشة العراق الرئيسية في جرش وتعبئة الرز والحبوب والمحاصيل الحقلية والمنتجات الزراعية الاخرى وكذلك الثروة الحيوانية وتصديرها بواسطة السفن الى المدن العراقية كافة. وذلك الدور الصناعي العريق للمنتجات الحقلية والزراعية هو ما ينبغي العمل على احيائه فيها الآن على اسس حديثة ومتطورة وعالمية التوجه وجنباً الى جنب مع احياء شبكات النقل النهري في حوض الرافدين على نفس الأسس.

وعودة على اسم طويريج، يذكر المؤرخ العراقي عبدالرزاق الحسني في كتابه المعروف "تاريخ المدن العراقية"، ان المدينة كانت في بدايتها تسمى "طريق المبتغى" الى كربلاء وقد تكرست التسمية باعتبارها فعلا الطريق الاقرب لزيارة ضريح الامام الحسين (ع). الا ان الحسني يستنتج خطأً ان كلمة "طريق" تعرضت اولا الى التصغير وفق منهج القياس فأصبحت (طويريق) ثم الى تصحيف آخر فأبدلت القاف جيما كعادة سكان المنطقة فصارت.. طويريج.

والحال لا نرى اي مبرر او ضرورة لاي من هذين التصحيفين المتخيلين، ما يجعل الرأي المذكور قسرياً وبالتالي خاطئاً. فمهما يكن الامر، ليس من المعقول ان يتجه شعب ما لتصغير عبارة هائلة المحتوى كـ "طريق المبتغى" لتصبح مجرد "طويريق"، لا سيما وان الامر يتعلق بالطريق الموصل الى ارض صارت تحتل لاحقا مكانة اعظم فاعظم قدسية لدى معظم مسلمي العالم مع مرور الازمنة كالعتبات المقدسة في كربلاء. ثم لماذا التصغير والطريق المعني هنا هو الاكبر والاقرب والاضمن بل الوحيد الرابط في كل العصور بين كربلاء وقصر الاخيضر وحاضرته من

جهة وكل بلاد النهرين تقريبا من جهة اخرى لا سيما مدنها الكبرى كأور وبابل وبورسيبا ونيبور.

وإلى جانب ما تقدم فإن المنطقة هذه ظلت مزدهرة ومحتفظة بمكانتها في العصور الغابرة، وخصوصاً في عهود التنوخيين واللخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة مملكتهم.

بيد ان الرأي الاكثر سذاجة، وجدناه لدى اولئك الذين يزعمون بلا سند موثوق يذكر ان مصدر اسم "طويريج" هو تحريف محلي لعبارة (توو- وي- ريج) الانكليزية على اساس القول بان لافتة وضعت على ضفاف الفرات في المنطقة كتبت عليها عبارة (Two-Way Reach) أي ملتقى الطريقين عندما وافقت الحكومة العثمانية على قيام شركات بريطانية بتسيير السفن للنقل النهري في نهري دجلة والفرات وخاصة "شركة الملاحة البخارية لنهري دجلة والفرات" المعروفة باسم (شركة لنج) التي اسسها هنري وستيفن لنج في ١٨٦٠ والتي اراد لها البريطانيون ان تحتكر الملاحة النهرية في العراق بعد ان كانت لندن قد حصلت منذ ١٨٣٤ على موافقة الباب العالي على تسيير باخرتين بريطانيتين في نهري دجلة والفرات تابعتين الى المعتمد البريطاني في بغداد الذي زعم انه ينوي استخدامها لنقل بريده وموظفيه وامتعة اخرى، وكذلك الامر بالنسبة للشركة العمانية العثمانية.

وكذلك الزعم ان طويريج كانت المحطة الوحيدة الموصلة بين طريقي البر الرئيسيين المتجهين الى الحلة شرقا لأحدهما والى كربلاء غربا للثاني، زاعمين في الحالتين ان تلك العبارة نفسها وضعت كعلامة مرور على مدخل او نهر المدينة، وان القوات البريطانية المحتلة نصبتها لارشاد سائقي عرباتها او ملاحيها وقد مكثت في اذهان الناس لفترة طويلة بعد انسحاب تلك القوات منها ثم تطورت التسمية مع الزمن فاصبحت

"تويريج" ثم طويريج لصعوبة نطق العبارة الانكليزية المذكورة بالنسبة لمعظم اناس المدينة تلك الايام.

الا ان هذا التفسير ضعيف ومتهافت برأينا اذ ليس هناك طوبوغرافيا او عسكريا او مروريا ما يثبت وجود ضرورة لوضع علامة كهذه. وفي كل الاحوال ليس هناك صور او وثائق او شهادات رصينة او وقائع حتى عرضية تثبت وجود علامة مرور كتلك كما لم يرد وجودها على لسان شهود موثوقين من معمري المدينة نفسها او المدن المحيطة عاشوا في تلك الفترة وبينهم مثقفون او مراقبون نبهاء عراقيون او غيرهم.

والاهم من ذلك ان المصادر البريطانية لا تشير الى علامة مزعومة كتلك. فالمس بيل التي زارت المدينة في ١٩١٧ واخذت لها صورا عديدة كتبت اسم طويريج هكذا: Tuwairij وليس كـ "Two-Way-Reach" في عدة رسائل مهمة لها احداها على الاقل الى هنري دوبس المندوب السامي البريطاني في العراق تزف له نبأ احتلال طويريج (The letters of Gertrude Bell، Volume 2، 1927). ويؤكد خطأ هذا الرأي لدينا وجود وثائق ونصوص تعود الى القرن التاسع عشر، وسابقة بالتالي على الاحتلال البريطاني للعراق بزمن طويل، يظهر فيها اسم طويريج كمدينة عراقية كبيرة ومعروفة.

ويذكر عدد من المؤرخين ان مدينة الهندية تعرضت مرارا الى هجمات الوهابيين من قبل، وان الباشا سليمان اتخذ منها مقرا لقيادة القوات العسكرية العثمانية المكلفة بمواجهة الغزوات الوهابية ضد كربلاء والنجف في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اذ ارسل قائده العسكري الكهية احمد الى الهندية في ١٨٠١ لاتخاذها عاصمة لعملياته عندما علم بنبأ من المنتفك ان الجيوش الوهابية تحركت لغزو ونهب المنطقة.

وثمة تصور ثالث راودنا برهة لا يستبعد الاصل البدوي المحض

لأسم طويريج بعد ان تأكد لدينا وجوده لدى القبائل العربية اذ يحمله عدد من الزعماء او الامراء منهم مثلا الامير طويريج بن هدل التميمي من شيوخ الشريفات في منطقة حفر الباطن. والشريفات فخذ من طفيل العربية التي تنتسب إلى طفيل بن عامر القيسي، ولها امتدادات في العراق وفي مدن شط الهندية خاصة ومن طفيل ينحدر الشاعر الشعبي العراقي الكبير الحاج زاير الدويج المولود في قرية برس التابعة اداريا لطويريج قبل اقتطاع ناحيتي الكفل وابي غرق منها.

وعلى العموم، اننا نعتقد ان اسم "طويريج" بابلي الاصول من ناحية المعنى في الاقل، وان الاسم البابلي مشابه للاسم الحالي على صعيد اللفظ ايضا ويعني الطريق المرتفع او الاقصر. وذلك شأنه شأن اسماء بابلية الاصول لمدن اخرى في المنطقة ذاتها التي كانت تسمى "طسوج النهرين" ومنها كربلاء وصفورا وعمورا والكفل وشثاثة وبرس ونواويس.. وكلها مفردات بابلية. بل نحن نرجح ان معنى طويريج كان لدى البابليين "طريق المبتغى" لزيارة كربلاء التي وقبل ان تصبح طريقا لزيارة الامام الحسين (ع) كانت مزارا مقدسا، حيث اورد الأديب اللغوي (انستاس الكرملي) ان بعض كتب الباحثين تذكر ان كلمة كربلاء منحوتة من كلمتي (كرب) و(إل) أي (حُرُم الله) او (مقدس الله) نظرا لأن (ال) كان معناها (اله) عند الساميين أيضا. لذا فهي تتضمن بالضرورة موقعا مقدسا اي (قرب) الله، روحيا خاصة، وان (كرب) البابلية قريبة جدا من العربية (قرب)، فيما ذكر السيد العلامة هبة الدين الشهرستاني ان كربلاء كانت مدينة قديمة حيث ورد ان اسمها يعني (كور بابل)، أي مجموعة من القرى البابلية.

وينقل العلامة الراحل مصطفى جواد عن أحد الباحثين في تاريخ كربلاء قوله ان "كل ما يمكن ان يقال عن تاريخها القديم انها كانت من أمهات مدن طسوج النهرين الواقعة على ضفاف نهر بالاكوباس

(الفرات القديم) وعلى أرضها معبد للعبادة والصلاة، كما يستدل من الأسماء التي عرفت بها قديماً كعمورا، ماريا، صفوراً، وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث موتى داخل اوان خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل العهد المسيحي، وأما الأقوام التي سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة تربتها وغزارة مائها لكثرة العيون التي كانت منتشرة في أرجائها".

وفي طويريج ذاتها مرقد السيد محمد علي ابن الحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن الإمام علي بن أبي طالب (ع) المعروف بـ(أبو هاشم) ، كما هو مثبت في اللوحة التذكارية المعلقة على قبره. وهناك رواية آخرى تقول بأنه الشيخ محمد علي بن حمزة الطوسي، وكان عالماً فقيهاً من أعلام القرن الخامس الهجري، وهو من تلامذة الشيخ محمد بن الحسن الطوسي. ويقع مرقد أبن الحمزة على الطريق العام المؤدي إلى جسر مدينة الهندية الجديد، وقد شيد سنة ١٩١٢ (١٣٣٠هـ.).

والمرقد بناء مستطيل الشكل طوله ٧,٥٨ متر وعرضه ٦,٦٠ متر تعلوه قبة يبلغ قطرها حوالي مترين وأرتفاعها عن سطح البناء متران أيضاً، كسيت من الخارج باللون الأخضر. ويتقدم مبنى المرقد إيوان صغير (طارمة (مسقف مستطيل الشكل طوله ٩,٢٥ متر وعرضه ٣,٥٠ متر تعلو وأجهته كتابات من الآيات القرآنية الكريمة باللون الأبيض على أرضية زرقاء من البلاط القاشاني. ويحيط بالبناء فناء مكشوف (صحن)، أضلاعه غير منتظمة، وبجانبه دار واسعة تابعة للمرقد.

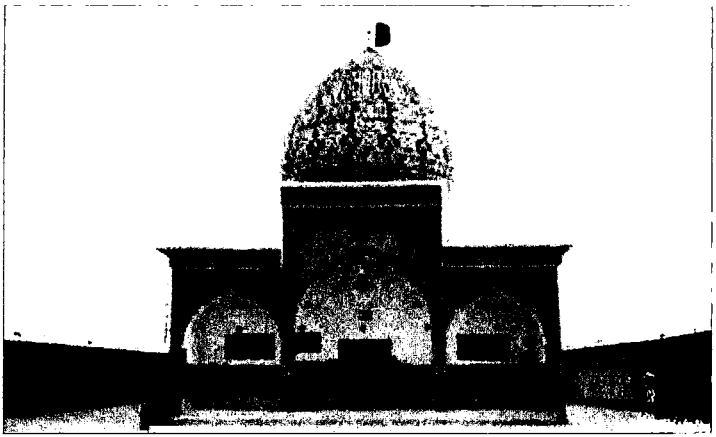

مرقد السيد محمد علي أبن الحمزة المعروف بـ "أبو هاشم" في الهندية

"الهندية" او الطريق الى الهند:

اطلق اسم "الهندية" على طويريج للمرة الاولى رسميا في ١٨٧٥ عندما رفعت البلدة اداريا الى درجة قضاء من اقضية الدرجة الاولى في العراق في التشكيلات الادارية الحديثة للدولة العثمانية وربطت بسنجق كربلاء. اما مصدر اسم "الهندية"، فمن المرجح لدينا انه متأتٍ، فمن المرجح لدينا انه متأتٍ من موقعها المفصلي على الطريق الذاهب الى الهند، وذلك لأنها كانت منذ الازمنة القديمة المرفأ الاكبر عند البابليين على الطريق النهري الطبيعي الموصل من بلاد ما بين النهرين الى الهند، اي نهر الفرات الرئيسي بالاكوباس الذي سمي "شط الهندية" ايضا. ونعرف طبعا ان الرأي السائد يربط اسم "الهندية" بالملك آصف الدولة رابع ملوك مملكة إودة في الهند (Asaf ud Daula،Nawab–Wazir of Oudd)، والمتوفي في عام ١٨١٠، زاعمين انه حفر شط الهندية منفقا على حفره "عشرة لكوك من الروبيات" الذهبية في عام ١٧٩٣ (١٢٠٨

هجرية) وافتتحه بعد سنتين فنسب اليه وقيل ان ذلك كان ايام الوالي العثماني احمد باشا وفي نحو ١٨٠٣. ويروى ايضا ان الغرض من حفر "نهر الهندية" كان ايصال الماء الى مرقد الامام علي في مدينة النجف وانه كان في البداية مجرد جدول بأسم "نهر الآصفي" الا انه تحول مع مرور الوقت الى "نهر الهندية" وأنه لم يصل بعدئذ إلى النجف رغم بقاء أربعة أميال فقط لإيصاله إليها لأن باشا بغداد، والرجل الذي اوكل له الباشا الإشراف على العمل، جعلا النهر يمر بمدينة الكوفة وغيرها من المدن عوضاً عن جعله يجري مستقيماً الى النجف.

لكن هذه الرواية الواسعة الانتشار تظل بالنسبة لنا غير مقنعة على الاقل رغم ظاهرها المقبول شكليا ورغم اعتمادها المستغرب من قبل اغلب المؤرخين. وهو اعتماد غير مدعوم ببحث منهجي رصين لحد الآن على اية حال. اذ قد يكون آصف الدولة – (وهو حسن رضا خان ابن شجاع الدولة، وجدُّ النواب اقبال الدولة، ومؤلف "الرسالة الآصفية"، ومشيد الحسينية الآصفية الشهيرة في لاكنو Luoknow عاصمة مملكته اوده الواقعة في الهند)– قد انفق وانجز فعلاً حفر قناة كبيرة للغرض اعلاه حملت لاحقا اسم نهر آصفي" او "نهر الآصفي" او حتى "نهر الهندي" نسبة اليه كملك هندي. وهناك بالفعل جدول جنوب كربلاء يحمل حتى الآن اسم "نهر الهنيدية" يقع ما بين الحي الصناعي في كربلاء وخان النخيلة ويعود في وجوده الى عدة قرون مضت. لكن من غير المنطقي تماماً برأينا ان تكون تلك القناة الاصطناعية التي حفرها آصف الدولة قد تحولت لتصبح خلال زمن وجيز ذلك الفرات العظيم الذي تقع عليه الهندية حاليا.

الملك آصف الدولة الهندي

ولا يغيّر في هذا الاستنتاج ان مشروع إنشاء تلك القناة تم بمساهمة الصندوق الهندي العائد لمملكة (أوده) وانها المساهمة الأولى خارج إطار مساهمات القوتين الدوليتين المتصارعتين على العراق آنذاك– أي ايران وتركيا– ما يشير ربما إلى بروز طرف جديد ذي مطامح وإمكانيات هو الطرف البريطاني اذ تطور ذلك الصندوق ليكون الأشراف عليه من قبل البريطانيين مباشرة بعد عام ١٨٥٢ كما ذكر المهندس عبدالاله سامي محمود في مقالة مهمة وجميلة بعنوان "إضاءة بلدانية حول تاريخ الهندية".

كما ان من غير المعقول بل من المضحك ان يكون اطلاق اسم "الهندية" على طويريج جاء، كما يزعم البعض، بعد زيارة قامت بها للبلدة القديمة والدة السلطان عبد الحميد الثاني التي كان اسمها "هندية" او تكنى بالهندية، فسميت البلدة باسمها مع مرور الزمن تيمنا بتلك الزيارة. فهذه الرواية المستخدمة بكثرة بشأن ناحية سدة الهندية تتناقض

مع الحقيقة التاريخية التي تشير الى ان عبد الحميد المولود في ١٨٤٢، هو ابن السلطان عبد المجيد الأول من زوجته الثانية" تيرمزكان قادين أفندي" الشركسية الأصل والتي توفيت عن ٣٣ عاما، و لم يتجاوز ابنها السبع سنوات، فأوكل عبد المجيد أمر تربيته إلى زوجة أبيه الشركسية ايضا "بيرستو قادين" التي اعتنت بتربيته، وأولته محبتها؛ لذا منحها عند صعوده للعرش لقب "السلطانة الوالدة".

وعلى اية حال، ما نراه بقوة ان نهر الهندية (او شط الهندية) هو تحديداً نهر بالاكوباس (الفرات القديم) وذلك من اقدم الازمنة. وان تسميته بنهر الهندية متأتية من كونه النهر الذي يفضي الى الهند. اذ ان هذا الطريق تحديدا ما استخدمه الزوار الهنود الذي كانوا يقدمون إلى العراق بواسطة السفن إلى خليج البصرة ومنها إلى النجف عبر الفرات. ونعتقد ان البابليين واثرهم الاسكندر المقدوني والرومان قد استخدموا نهر الهندية للوصول الى خليج البصرة وربما الى الهند. وفي الواقع لم يذكر كبار المؤرخين المسلمين على وجه التحقيق اي من النهرين يمثل مجرى البالاكوباس الاصلي كما لا يعلم في عهد اي من الدول او الملوك شُق ذلك النهر العظيم عند السدة. لكن نعرف ان ما يتفرع من الفرات عند سدة الهندية هو نهر الحلة (او شط الحلة) الذي يتجه الى بابل. ومن المؤرخين البلدانيين كياقوت من ينسب شقه الى نبوخذ نصر او قبله. ما يعني ان مجرى شط الهندية الذي يمثل القسم الاعظم من الفرات حاليا، يسير جنوبا حتى ينتهي بالبحر وطوله نحو ٩٠٠ كم، هو الفرات الاصلي.

وهذا الرأي يدعمه ما ذكره عدد من قدامى المؤرخين الاغريق بان الاسكندر المقدوني امر باعادة تشييد سدة الهندية على الفرات بعد ان كان قد امر بتوسيع مجرى نهر الهندية. ويذكر فلافيوس آريانس في كتابه "أيام الاسكندر الكبير في العراق" ان مصب الفرات عند السدة تلك

كان يسد قبلئذ باشراف مباشر من نائب الملك في بابل وكان ذلك يتم بجهد طائل نظرا الى ان الارض في هذه المنطقة ذات طبيعة طينية غير صخرية وان اكثر من عشرة الاف عامل اشوري كانوا يعملون في ذلك المشروع حتى الشهر الثالث وعندما سمع الاسكندر بذلك قرر تحويل سبيله الى بابل نزولا في الفرات حتى وصل النهر المسمى بالاكوباس. (ص ٥٤)

وهكذا، فما يثبت ان نهر الهندية هو نفسه البالاكوباس ما يذكره هذا المؤرخ الاغريقي من ان نهر بالاكوباس كان يبعد عن بابل بمسافة ٨٠٠ ستاد (حوالي ٤٩ ميلا) وقد ورد اسمه في المصادر البابلية باسم نائار بالوكات Naar Pallukat وسمي في عهد الاسكندر بالاكوباس. وكلمة نائار البابلية تدل على النهر او المجرى ومنها الكلمة العربية نهر.

فمن المؤكد لدينا ان نهر او شط الهندية أخذ اسمه من مروره في مدينة الهندية كما ان نهر او شط الحلة أخذ اسمه من مروره في مدينة الحلة. اما مصدر اسم مدينة الهندية الذي هو اصل التسمية هنا فربما يكون اسما قديما للمنطقة مصدره ان النهر المار فيها يتجه الى الهند كما اشرنا. بل لا نستبعد ان تكون البلدة قد استخدمت في الازمنة القديمة مرفأ لبناء السفن المتجهة الى خليج البصرة والهند كما الى ارض الفردوس والخلود عند السومريين دلمون (البحرين).

ومن المهم ان نشير الى ان الاسكندر عندما كان في بابل في ربيع ٣٢٣ ق.م، أرسل منها عدة بعثات استكشافية لاستطلاع سواحل الجزيرة العربية، وبعدما عادت تلك البعثات انهمك في وضع مخططاته الحربية لغزو بلاد العرب التي لم تر النور بسبب مرض خطير أدى إلى وفاته في العاشر أو الحادي عشر من شهر تموز ٣٢٣ ق.م في بابل نفسها.

اما الرأي القائل بان اسم "الهندية" قد يكون جاء من وجود عدد

مهم من الزوار المسلمين الهنود اختاروا قبل قرون عديدة الاقامة في منطقة قريبة من ضريح الامام الحسين لاسباب عبادية او اقتصادية او غيرها، فيبدو بلا سند تاريخي او واقعي يذكر، اذ ورغم وجود عدد من العوائل الهندية الاصل مقيمة في المدينة القديمة، فان من غير المنطقي ان يتم تغيير اسم نهر عظيم كالفرات لسبب ثانوي كهذا لا سيما وان عدد تلك العوائل صغير جدا وبدون تأثير سياسي او ثقافي يذكر وهي في كل الاحوال لم تمثل مكونا سكانيا جوهريا في المدينة بل مجرد بضع عوائل قادمة الى الهندية من كربلاء للتجارة او كسب الرزق خاصة.

ما بين بابل وكربلاء

وبكلمة، اننا نعتقد ان هذه البلدة المسماة طويريج او الهندية والواقعة في منتصف الطريق تماما بين بابل وكربلاء وعلى مبعدة بضعة فراسخ عن بلاط الامبراطورية البابلية الكونية، هي بلدة بابلية قديمة كما ذكرنا ولا سيما صوبها الشرقي المعروف بالطنبي. فمياه الفرات كانت تغمر سنويا اجزاء شرقية واسعة منها ومحيطة بها خلال مواسم الامطار والفيضات، الا انها كانت دائما بلدة زاخرة بالحياة من طسوج تلك الامبراطورية بغض النظر عن اصل التسمية وكون المؤرخين لم يتحدثوا عن وجود قرية حملت هذا الاسم الذي يمكن ان يكون من الأسماء السامية او الآرامية أو البابلية وكلها قريبة من العربية.

من جانب آخر، نعتقد ان نهرها الحالي هو تحديدا نهر بالاكوباس (الفرات القديم) الذي كانت الحضارة العظيمة لبلاد الرافدين تستقي منه قاطبة. ونلاحظ هنا ان كربلاء نعتت احيانا بأسماء عديدة مختلفة اخرى منها الغاضرية ونينوى وعمورا والنواويس والحائر والحير والطف وطف الفرات وشاطئ الفرات وشط الفرات. الا إن الهندية هي المقصودة على الارجح بطف الفرات وشاطئ الفرات وشط

الفرات نظرا لكونها المنطقة الاقرب الى كربلاء اطلالا على الفرات أو بالاكوباس.

ومما يعزز رأينا بعدم استبعاد ان يكون الاسم، وربما معناه، قديما جدا كون طويريج هي ايضا الطريق الاقصر بين مدينتي بابل العاصمة ومدينة بورسيبا البابلية القديمة المعروفة حالياً باسم (البرس) أو (برس نمرود) المحرف من الاسم القديم بارسبا أو بورسيبا والواقعة جنوب غرب الحلة، والتي كانت في الايام الزاهية للامبراطورية البابلية حاضرة كبرى ومركزا دينيا ساميا اشتهر بثورة النبي ابراهيم الخليل على عبادة الاوثان وفيها مقام له يزار حتى الآن. ويعتقد بأنها كانت امتداداً لمدينة بابل، ويسميها المؤرخون في المصادر القديمة (بابل الثانية). وبورسيبا من الأسماء السومرية ومعناه (سيف البحر) أي ساحل البحر. ولذا يعتقد أن هذه المدينة كانت تقع قرب بحر أو بحيرة، قد يكون بحر النجف المندثر حالياً لكن الواضح الاثر بعد للعيان.

وبورسيبا الواقعة جنوب شرق الهندية هي مدينة دينية التأسيس وربها الحامي كان نابو، وقد ورد ذكرها في شريعة حمورابي سادس ملوك سلالة بابل الأولى، حيث يذكر نص في الشريعة تلك ان تجديد أبنية المدينة المهمة لاسيما معبد نابو إله الحكمة والمعرفة تم في عهد نبوخذنصر الثاني وكذلك معبد إيزيدا الذي كرّسه لمردوخ. وقد جاء ذكرها بعد ذلك في العديد من الإشارات التأريخية للعهود التي تلت حمورابي وسلالة بابل.

وكان أكبر ازدهار لبورسيبا في عهد المملكة البابلية المتأخرة والمعروفة بالسلالة الكلدانية (٦١٢ – ٥٣٨ قبل الميلاد)، وخاصة في عهد الملك الكلداني نبوبلاسر وابنه نبوخذنصر. فخلال فترة حكم نبوخذنصّر (٦٠٤ – ٥٦٤ ق.م) بلغت بورسيبا، أوج ازدهارها وشهرتها الدينية باعتبارها مدينة الاله الحامي للامبراطورية البابلية نابو، وقد ساعدها

قربها من العاصمة الاولى بابل، في أن تصبح مركزاً دينياً هاما حيث بنى فيه حمورابي (الذي حكم في الفترة ١٧٩٢–١٧٥٠ ق. م.)، معبد إيزيدا أو أعاد بناءه وقد كرّسه لمردوخ (كبير مجمع آلهة البابليين)، واعتبر الملوك اللاحقون نابو إلهاً لمعبد إيزيدا وجعلوه ابن مردوخ، وأصبح في القدسية معبده الثاني مباشرة بعد معبد مردوخ في بابل.

وهناك زقورة غير مكتملة بناها نبوخذنصّر وهي الآن خربة، ونقب فيها في عام ١٩٠٢ عالم الآثار الألماني روبرت كولدواي. ويظهر أن الزقورة دُمِّرت جراء حريق بالغ القوة، وربما كان حريقاً غير مقصود في حصران القصب وفي الزفت الموضوع أصلاً في لب البناء لدعمه من الداخل. وقد دمر الملك الأخميني أحشورش الأول بورسيبا في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد.

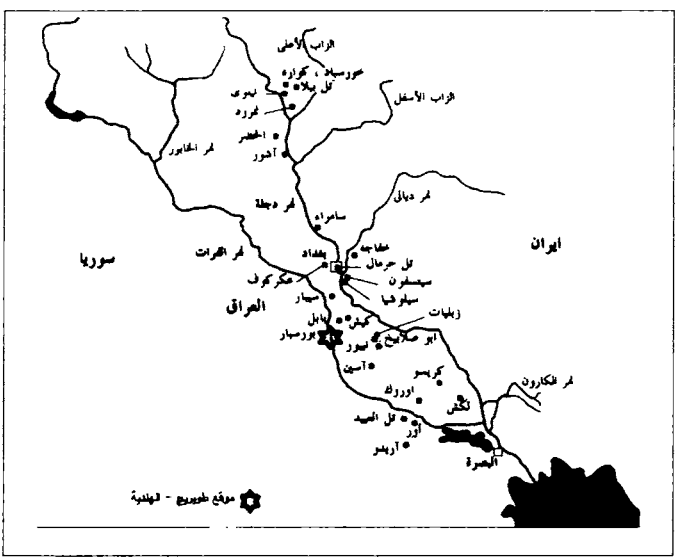

طوبريج تتوسط نيبور وبابل وبورسيبا

بقايا زقورة بورسيبا بعدستنا في ٢٠١٣ وكان ارتفاعها ٧٠ متر في الاصل

واستمرت المدينة في الوجود خلال العهد الفرثي والعهد الفارسي الساساني. وكذلك ذكرت المدينة في أخبار الفتوح الإسلامية للعراق حيث كان فيها جيش فارسي اشتبك مع جيوش المسلمين بعد موقعة القادسية في طريقهم لفتح المدائن، وقد ظلت بورسيبا مأهولة لزمن خلال العهد الإسلامي وتؤكد ذلك بعض الأخبار التاريخية العربية. ولا زال اكتشاف آثارها ومنجزاتها وتاريخها غير كامل تماما.

والمؤكد ان قضاء الهندية يحتوي هو ذاته على كنوز اثرية بابلية كبيرة

لم يتم اكتشاف معظمها بعد. وهذا على اية حال ما اثبته العثور في ٢٠١٠ على ٥٥ تلا اثريا في قضاء الهندية بحدوده الحالية. ونعتقد ان كثيرا من الاثار البابلية المهمة قد تكون تحت الارض بعد في المنطقة. اذ ان الهندية كانت امتداداً لمدينة بابل ولا تبعد عن عاصمة الامبراطورية سوى مسيرة نحو ساعة من الوقت مشيا على القدمين باتجاه الشمال الشرقي. واحيانا يمكن رؤية بعض مواقع بابل بالعين المجردة من ناحية ابي غرق المقتطعة من الهندية مؤخراً.

بين بورسيبا والاخيضر

اما بالنسبة لبورسيبا فالمسافة مماثلة نظرا لأنها عمليا ضمن المناطق المجاورة لقضاء الهندية وعلى مسافة عشرة أميال تقريباً. كما يأتي العثور على بعض الآثار في مواقع ضمن طويريج مؤخرا كالموقع المعروف بـ "تل كريط الخبازة" الواقع على مسافة ١٢ كم غرب المدينة وكذلك موقع "تل جدية أم حاكم" ليدعم هذه الفرضية القوية. فأراضي الجدول الغربي والخيرات وابي رويَة وغيرها من المقاطعات الغربية للهندية لا تبعد الا نحو ٢٥ كم عن حصن الاخيضر فيما تزخر هذه المنطقة الفاصلة بالمواقع والتلال الاثرية غير المنقب فيها بعد ضمن مقاطعات الثمانية والصليعة (السويف) والسجلة وأم الحمري والرايط والغزرة الخبيبيزة والجواوة. ومنها أراضي الصليعة وغيرها من مناطق تتخللها عدة طرق زراعية الى جانب الطريق الدولي الذي يربط النجف بسوريا والاردن. واغلب هذه المواقع يشكو الإهمال لعدم وجود مخصصات فيما يواجه البعض منها ظروفا بيئية سيئة واحتمالات السرقة.

وقد تم بالفعل في مطلع العام الحالي ٢٠١٢ إكتشاف مقبرة تاريخية تعود الى فترة ما قبل الإسلام في الهندية. وحصل الامر صدفة اثناء قيام عمال بمد أنبوب للغاز الطبيعي في محطة الخيرات الغازية الواقعة غرب

المدينة. وتضم المقبرة بعض الرفات بينها ما يعود لامرأة عثر على مشطها المتكلس بالإضافة إلى قلادة من الأحجار الثمينة إلى جانب لقى شخصية من بينها مكحلة وخلخال (حجل) مصنوع من المعدن وجرار مزججة تستخدم للعطور ومواد التجميل وقوارير فخارية تعود الى العهد الفرثي اي قبل نحو قرنين قبل الاسلام. والطريف ان نصف هذه الاثار استولى عليها بعض العمال قبل ان تتدخل سلطة الآثار المحلية لاسترجاعها.

ونعتقد ان اكتشاف هذه المواقع يفتح المجال ايضا لمعرفة تفاصيل العلاقات القديمة ما بين بابل وحصن الاخيضر وكهوف الطار وكنيسة

الاقيصر وسواها من الاثار الجديدة في جنوبي بحيرة الرزازة الواقعة شمال غرب مدينة الهندية، وهي منطقة صحراوية حاليا الا ان هناك مؤشرات قوية على وجود سابق لبحيرات وجداول واهوار مطمورة حاليا الا انها كانت كثيرة المياه وزاهرة حضاريا في الفترات السومرية والبابلية.

والحال لا تبعد هذه عن الهندية بخط مستقيم الا نحو ٤٠ كم اي نفس المسافة تقريبا بينها وبين كربلاء من جهة الشمال الشرقي فيما تبعد ١٥٠ كم عن بغداد. لكن اهمية علاقتها مع الهندية تتأتى خاصة من وقوع الهندية على الطريق الاقصر من بابل وبورسيبا الى كهوف الطار وكنيسة الاقيصر وقصر او حصن الاخيضر القائمة في تلك الصحراء الغربية وكذلك واحات عين التمر الشديدة الخضرة والجمال ومركزها مدينة عين التمر التي كانت تسمى شثاثة سابقا وهي القضاء الثاني بعد الهندية في التقسيم الاداري الحالي لمحافظة كربلاء. وعلى اية حال فان الانساب والاعراف والتقاليد الحضارية لمجتمعي الهندية وعين تمر أقرب الى بعضها بل تكاد تتشابه تماما بينما تختلف اختلافا جليا مع تلك التي لغيرهم من سكان كربلاء. ولعل انتساب الكثير من سكان عين تمر والهندية الى نفس القبائل العربية كقبيلة بني أسد بن خزامة المضرية يفسر جزئيا هذه العلاقة.

ويتملك المثقفين والمتعلمين في الهندية توق متوارث للتعرف على آثار حصن الاخيضر وكهوف الطار والكفل وبورسيبا يماثل ذلك الذي لديهم نحو أثار بابل. وقد زرت الاخيضر مرتين للاستمتاع بسحر بنائه المتين. كانت الاولى في عام ١٩٦٨ ولم يكن الحصن قد تعرض الى عمليات ترميم كبيرة بعد. اما الثانية فكانت في آب ٢٠١٠ برفقة خبيرين باحوال المنطقة هما الاستاذان بهاء حميد العبادي من كربلاء واحمد قاسم الدراوشة من مدينة عين تمر.

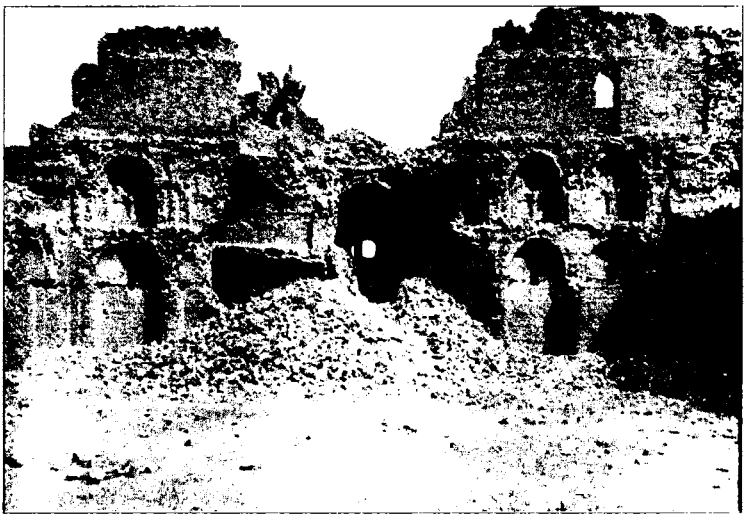

قصر الأخيضر في ١٩٢٠ بعدسة كريسويل

ويبدو الاخيضر كحصن عسكري هائل يضم قصرا او اكثر ومنشآت ملحقة اخرى، كما توحي بذلك هندسته المعمارية الخارجية وقلاعه الداخلية ودهاليزه وكلها مشيد بالحجر والآجر والجص.

اذ هناك في داخله قصر فخم تحفه ابراج شاهقة دفاعية فريدة يبلغ عددها ٤٨ برجا وله اربعة مداخل رئيسية، والقصر مستطيل الشكل يبلغ طوله من الشمال الى الجنوب ١٧٦ م وعرضه من الشرق الى الغرب ١٦٩م وارتفاع السور الخارجي ٢١ م بعرض ٤،٥ م الى ارتفاع ١٠،٥ م واما ابعاده من الداخل فتبلغ ١١٢ م و٨٦ م.

ويقسم الحصن الى الجزء المركزي الذي يحتوي على الرواق الكبير والبيوت الاربعة والحمام والمطبخ، فيما يقع القصر في الواجهة الشمالية الشرقية داخل الحصن. ويختلف المؤرخون في أصل تسميته وفي تحديد زمن بنائه ومن بناه اذ يذهب البعض منهم الى القول بان طراز بنائه وشكل

اقواسه ومحاريبه يوحيان بأنه من الآثار العربية المبكرة جدا فينسبون بناءه الى جذيمة احد ملوك الحيرة من اللخميين (المناذرة) فيما يرى غيرهم انه يعود اما الى القرن الهجري الاول أي الى صدر الاسلام معتقدين انه بني من قبل امراء كندة، او الى الحقبة الاموية او العباسية مع احتمال ان الذي شيده هو عيسى بن موسى ابن اخ الخليفة العباسي المنصور.

لكننا نعتقد بقوة ان حصن الاخيضر يعود في الاصل الى الماضي البابلي كاحد سلسلة الحصون الدفاعية التي تحمي الامبراطورية البابلية من الهجمات الاجنبية (اغريقية او مصرية..) من جهة الغرب، لكنه خضع لترميمات وتطويرات عديدة خلال الازمنة والدول المتوالية قبل ان يصل الينا بهيئته الحالية كحصن صحراوي هائل ومتين.

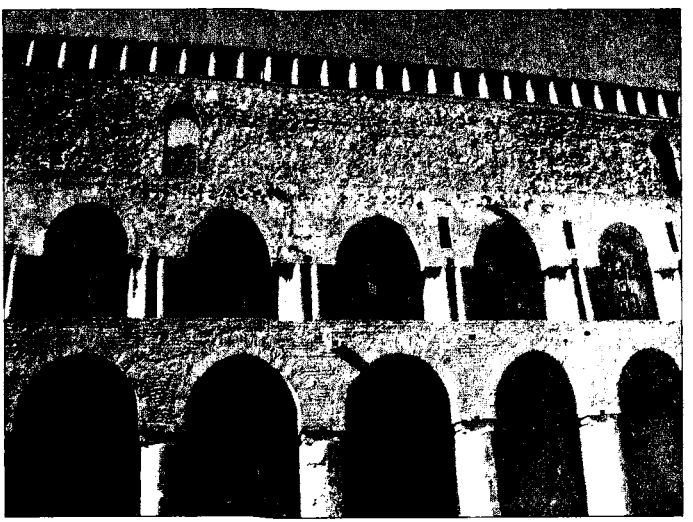

حصن الاخيضر في ٢٠١٠ بعدستنا

ويتألف الاخيضر من حصن متين وضخم برع في هندسته بناؤوه، وهو مشيد بالحجر والجص اجمالا لكن بعض اجزائه مبني بالطابوق

(الآجر) والجص ايضا، فيما يتكون الجزء الشمالي المركزي من ثلاثة طوابق وهو محاط برواق كبير تبرز فيه عناصر معمارية مختلفة. اما الجزء العلوي من الحصن فهو محاط من الاعلى بقبو. وفي القصر مجاري مياه سرية داخلية تحت الارض تسير الى مسافات بعيدة خارج الحصن كما توجد انفاق سرية داخلية انطلاقا من قاعات الجزء المركزي في البيوت الاربعة التي تحيط الجزء المركزي باتجاه المساحة المحصورة بين الجزء المركزي والحصن الخارجي.

ونفس المسافة تربط الهندية مع مدينة عين التمر التي كانت تسمى (شثاثا) او (شثاثة) وهي كلمة بابلية تعني (الرقراق الصافي) وقد تم تغيير اسم المدينة عام ١٩٣٨ الى (عين تمر) تذكيرا بمدينة عين التمر التاريخية المندرسة والتي كانت من اشهر المراكز العسكرية قبل الإسلام، ثم غدت حصناً إسلامياً حتى زمن اندثارها.

وقد ولد في هذه المدينة عام ١٣٠ للهجرة (٧٤٨ م) احد اكبر ادباء العصر العباسي من طبقة بشار بن برد وأبي نواس، هو شاعر الزهد والحكمة إسماعيل بن القاسم ابو اسحاق الشهير بابي العتاهية. والمنطقة الممتدة بين الهندية وقصر الاخيضر وعين تمر تبدو مشحونة بالاسرار والغرائب و"المعجزات" كما يعتقد البعض وربما بالاحداث التاريخية المجهولة بعد غالبا، والتي تعود الى ازمنة قد تمتد جذورها الى نحو خمسة آلاف سنة كما هي زاخرة بالطاقات السياحية المهدورة.

ويخبرنا الاستاذ احمد قاسم الدراوشة الخبير بتاريخ (عين التمر) ان المدينة الحالية كانت على الاغلب قرية من قرى حاضرة تاريخية قديمة كان اسمها "عين تمر" الا انها أندثرت بفعل عوامل عديدة لعل ابرزها انحسار المياه عنها بفعل تقلص واندثار عدد كبير من بحيرات

وجداول كانت تحيط بها لم يبق منها سوى بحيرة الرزازة التي تواجه هي الاخرى خطر الاندثار بفعل الشحة المتزايدة لمياه الفرات.

اما حاليا فلا زالت "عين تمر" تمتاز بعدد من العيون المائية المعدنية التي يتدفق الماء من اعماقها متجها نحو الأراضي الزراعية الواقعة على مسافات بعيدة احيانا. ويصل عمق الماء في هذه العيون قرابة أربعة أمتار او أكثر، وابرزها عين (السيب) الكبيرة المشتق اسمها من انسياب الماء فيها بقوة من الأعلى الى الأسفل باتجاه اراض واسعة خالقة حولها شبكة زاهية من بساتين النخيل والفواكه وخصوصاً أشجار التفاح، وهي تقع في الطرف الشرقي من المدينة وشكلها بيضوي، وكثيراً ما يستحم بها ابناء المدينة لبعدها عن الاحياء السكنية والاسواق. وهناك عيون كبيرة اخرى اهمها (العين الحمرة) نسبة الى حمرة أرضها، وكذلك "العين الزرقة" لزرقة مياهها القوية وعين أم الكلواني وعين أم طير وعين بيت السمينة وعين السورة والقيامة وعين جفه وعين المالح.

كما توجد في قضاء عين التمر مناطق أثرية ومقامات دينية كثيرة احدها للنبي أيوب وقطارة الامام علي. وقد ذكرت (المس بل) في كتابها المعروف عن المنطقة، ان عدد النخيل في شثاثة كان في عام ١٩٢٤ نحو ١٧٠ ألف نخلة جاعلة منها واحة داخل الواحة التي يغطي النخيل معظم مساحتها المزروعة والبالغة ٦٤٣٥٢ دونم وتمثلها منطقة عين تمر بمجملها.

ولا تبعد عن الهندية سوى مسافة نصف يوم مشيا على الاقدام لقافلة إبل، كهوف الطار الاثرية الواقعة في مرتفعات وسط الصحراء على الطريق الى الاخيضر على مبعدة ٣٠ كم جنوب غرب مدينة كربلاء و١٢ كم الى الشمال الشرقي من حصن الاخيضر ذاته.

كهوف الطار

ويعتقد الاستاذ بهاء حميد العبادي، الخبير بالتاريخ القديم لكربلاء، ان انشاء كهوف الطار يعود إلى آلاف السنين ولعلها أقدم مستوطنة في تاريخ العراق القديم، ويقدر عددها بنحو ٤٠٠ كهف منحوتة بطبقتين احيانا على شكل غرف بمداخل موحدة الشكل كما يبدو ومبنية بتنظيم واضح اكتشفت بعثة يابانية ان ارتفاع كل فتحة دخول منها يبلغ مترا ونصف وهي صالحة لسكنى البشر في حرارة الصحارى المحيطة مرجحا إنها حفرت بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر قبل الميلاد وانها اتخذت في البدء كمنازل من قبل السكان الاصليين ثم كقبور مع مرور الزمن كما استخدمت كمواقع دفاعية في فترة تتواكب زمنيا مع قيام حضارات في دول محيطة او قريبة كالغساسنة والمناذرة والحضر ومطلع العصر الاسلامي كما عثرت فيها على لقى أثرية كبقايا انسجة ومواد استعمالية اخرى تشترك بعض تلك الحضارات في امتلاكها.

بيد ان الرفعة الحضارية الماضية للمنطقة المحيطة بمدينة الهندية غربا تبوح بها ايضاً، كنيسة الاقيصر المكتشفة حديثا وسط دهشة الجميع لكن المهملة جدا بعد. فهذه الكنيسة الضخمة نسبيا والواقعة على مسافة ٧

كم الى الشمال الغربي من حصن الاخيضر تشير الى وجود سابق لمدينة كاملة وربما دولة اقليمية عميقة الجذور كانت تزخر بالحياة والحضارة والقوة لقرون عديدة قبل او ربما قبيل العصر الإسلامي.

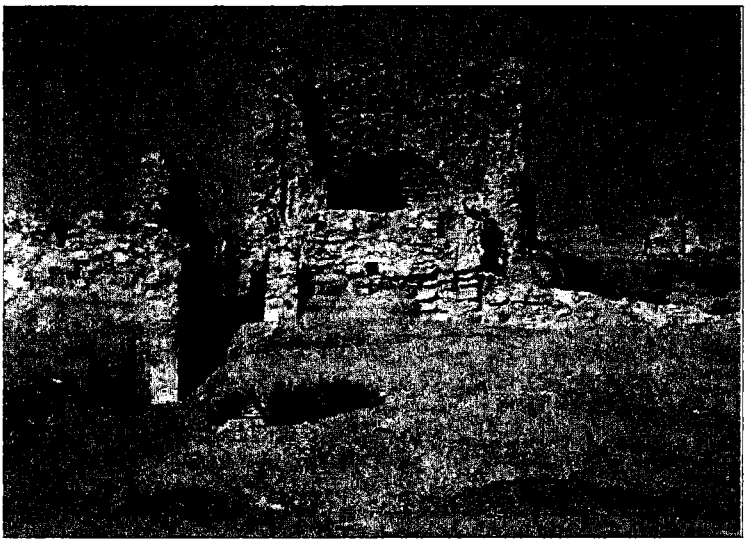

صورة كنيسة الاقيصر بعدستنا في ٢٠١٠

وتتمثل الاقيصر في كونها كنيسة مسيحية كبرى لم يسمع بها احد من قبل تحمل جدرانها المكتشفة تحت الرمل كتابات آرامية تعود إلى القرن الخامس الميلادي وبقايا رموز مسيحية كما اكتشفت لصق الكنيسة قبور كثيرة البعض منها لرهبان وشخصيات الكنيسة، وهي لا تبعد عن موقعها سوى ٢٠ متر لأقربها. ويبلغ عمق كل قبر نحو المتر وربع المتر وكذلك طوله فيما يبلغ عرضه اكثر من نصف المتر بقليل. اما الكنيسة ذاتها، فبنيت على الارجح في منتصف ستينيات القرن الخامس الميلادي ما يسمح بالاعتقاد بانها قد تكون اقدم كنيسة كبرى في التاريخ. وتبين المعلومات القليلة المتوفرة لدينا بشأنها أنها كانت محاطة بسور خارجي من الطين تعلوه ابراج أربعة. ويبلغ عدد ابوابه خمسة عشر بابا مقوسة

من الأعلى. اما هيكل الكنيسة ذاته فطوله ستة عشر مترا وعرضه أربعة أمتار من الطابوق الفرشي المفخور، كما يبدو ان الطبقات الخارجية من جدران مبنى الكنيسة كانت مكسوة بالجص ومطلية ببياضه. وهي تقنيات معمارية ازدهرت بشكل خاص في القرنين السابقين على ظهور الإسلام، فيما تؤكد تنقيبات أجريت في منتصف سبعينات القرن الماضي إن اتجاه القبور الملحقة بالكنيسة يذهب دائما نحو بيت المقدس.

وفي الطريق بين الحلة وطويريج من جهة الشرق يقع مشهد "آلهة الشمس" عند البابليين الذي اقامه نبوخذنصر حسب بعض الروايات، فيما تقول روايات اخرى يتناقلها السكان عن تاريخ "مشهد مرد الشمس" هذا ان الامام علي (ع) كان قد "وصل الى هذا الموقع في الطريق الى صفين وقد قاربت الشمس المغيب و لم يكن قد صلى بعد فدعا الله ان يعيد الشمس الى كبد السماء ليؤدي فريضته فعادت باذن الله قراب رمحين وبعد ان صلى الامام سارت نحو الغروب فبنى هذا المشهد اكراما للذكرى.

مشهد مرد الشمس

بيد ان الكتابة التي وجدت هناك تدل على ان نبوخذنصر الملك البابلي هو الذي اقام هذا المشهد اكراما لإلهة الشمس (شمش) فلما جاء المسلمون هذا".

وينقل الحسني عن كتاب "الاشارات الى معرفة الزيارات" لأبي الحسن علي بن ابي بكر الهروي المتوفي في حلب عام ٦١١ هجرية المطبوع في دمشق سنة ١٩٥٣ قوله ان في مدينة الحلة مشهد الشمس "يقال ردت لحزقيال النبي (ع) ويقال ليوشع بن نون (ع) وقيل لعلي بن ابي طالب (ع) والله اعلم". (الحسني ص ١٤٤).

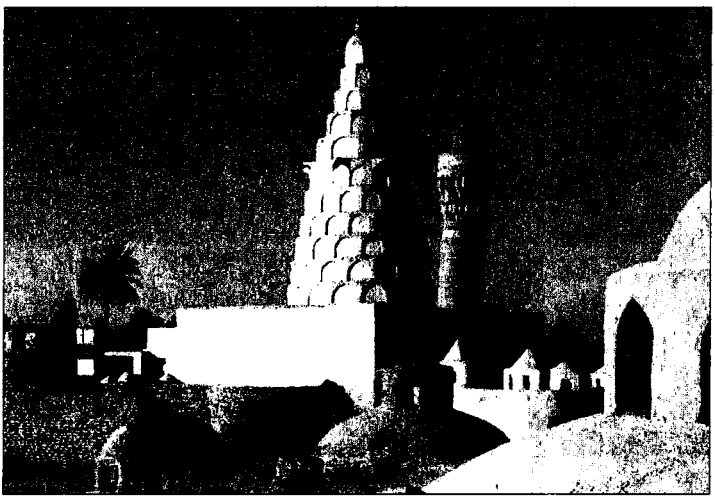

منارة الكفل مع القبة المخروطية

ومن المناطق الاثرية السياحية التي كانت تابعة للهندية لازمنة طويلة ناحية الكفل التي تقدر مساحتها بحدود (٥٤٣) كم مربع، وتضم (١٧٥) الف دونما من الاراضي الزراعية، وهي تبعد عن الحلة ٣٠ كيلومترا من جنوبها الشرقي وتحدها من الجنوب والجنوب الغربي مدينة النجف والكوفة ومن الغرب ناحية الحيدرية المعروفة باسم (خان النص)

لتوسطها المسافة بين النجف وكربلاء واحتوائها على خان قديم، اما شمالها الغربي فتمثله مدينة الهندية وفي شرقها ناحية القاسم. والكفل مدينة تفوح بالتواريخ لكثرة ما تحتويه من تلال اثرية واسوار ومبان تعود للعهود البابلية تشتمل على (٧٦) موقعا اثريا منها ما هو بقايا اسوار بابلية وشواهد تاريخية.

ويقطن الكفل حاليا نحو ١٥٠ الف نسمة جلهم من ابناء القبائل ويتردد عليها اليهود من مختلف الانحاء لزيارة النبي حزقيال المعروف بذي الكفل لأنه كما يعتقدون كفل الشعب الاسرائيلي بالنجاة من البابليين. وانه مدفون في مسجد قديم في هذه القصبة تقوم على طرف منه مئذنة جميلة الصنع ذكرها ياقوت الحموي في معجمه تحت اسم "برملاحة" التي كانت مأهولة في فترات متتالية للبابليين والاخمينيين والسلوقيين والفرثيين والساسانيين والعصر العباسي.

وتضم ناحية الكفل مقام ولادة النبي ابراهيم الخليل المولود في ما يقارب ١٩٠٠ ق.م في قرية مازالت تسمى باسمه (قرية ابراهيم الخليل) وهي القرية نفسها التي شهدت محاولة حرقه والمذكورة في القرآن الكريم فضلا عن وجود قبر النبي الصابر ايوب في شمال الناحية على طريق حلة – كفل إذ توجد قبة وصحن يقصده الزوار من جميع انحاء العالم.

وتقول مصادر تاريخية متطابقة ان النبي ذي الكفل واسمه (حزقيال بن بوزي) وهو احد انبياء بني اسرائيل جاء من فلسطين الى بابل عاصمة الدولة الكلدانية مع المسبيين اليهود اثناء السبي البابلي الاول في سنة ٥٩٧ ق.م وانه كان يقوم بمهمة الكاهن لهم مدة عشرين سنة حتى وفاته فدفن في الكفل وله مزار وقبة مخروطية الشكل وصحن يمتلك قدسية عند الديانات السماوية الثلاثة وقد ذكره القرآن الكريم في الآية: (واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين). كما يقع في المنطقة مرقد

الصحابي رشيد الهجري وضريح الامام زيد بن علي بن الحسين ومراقد اخرى منها مرقد بكر بن علي وعبد الله بن زيد، فضلا عن مسجد النخيلة الذي صلى فيه الامام علي بن ابي طالب اثناء مروره في المنطقة.

الكفل زاخرة بالآثار القديمة

وتبعد مدينة الكفل عن مدينة الحلة ثلاثين كيلومتراً من نقطة ينقسم فيها الفرات الى قسمين قسم يدعى (نهر الشامية) او نهر ابو كفوف على حد تعبير مصادر الري في عشرينات القرن الماضي وقسم آخر يدعى (نهر الكوفة).

وشاع اسمها (بذي الكفل) في أوائل العهد العثماني في حين ذكرها البلدانيون او الرحالة العرب بأسم (القسونات) تلك القرية التي عدت واحة في الصحراء تمتد من حدود بابل البابلية والتي قامت علي ارض اثارية سميت عند قدامى البابليين باسم (بر ملاحة) ووصفها ياقوت الحموي في معجمه بأنها موضع من ارض بابل قرب حلة دبيس بن مزيد الاسدي ومنها قبر باروخ استاذ حزقيل وقبر يوسف الربان وقبر يوسغ

وليس يوشع ابن نون، وقبر عزرة، وليس عزرة بناقل التوراة الكاتب، وفيها ايضاً قبر حزقيل المعروف بـ(ذي الكفل) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأنبياء ايضاً.

ولأهمية هذه القرية – المدينة جعلها العثمانيون ناحية وجاء ذكرها في وثائق سنة ١٨٥٠ بأنها تابعة الى قضاء الهندية وبقيت ناحية ملحقة بهذا القضاء حتى سنة ١٩٦٩ حيث صدر مرسوم جمهوري يلحقها بقضاء الحلة في محافظة بابل. واختلفت المصادر في شخصية (ذي الكفل) فقيل انه بشر بن ايوب النبي الذي جاء بعد حومل بن ايوب وقيل انه الياس وقيل اليسع وقيل جاء بعد سليمان يقضي بين الناس كقضاء داود، وقيل انه لم يكن نبياً بل عبد صالح تكفل لنبي في قومه، ثم قيل انه تكفل الأسرى اليهود لدى نبوخذ نصر بأن يكونوا صالحين غير اشرار فوافق نبوخذنصر على كفالته لهم فمنحهم العاهل البابلي حرية ممارسة الطقوس والعمل والتجارة والزراعة واقامة اكاديمية ينتجون فيها افكارهم الدينية الخاصة بهم لكنهم غدروا به وبتاريخه بعد سقوط بابل بيد القبائل الاخمينية الفارسية الغازية.

ومعروف ان الكفل تتوسط الطريق العام بين محافظة بابل ومحافظة النجف واكثر سكانها من قبائل عربية عريقة النسب كطفيل وبني مسلم والجبور وغيرهم ويشتغلون بزراعة الأراضي الخصبة وتربية الأغنام والجاموس وتعد ارضها جغرافيا ملائمة لأقامة المؤسسات الصحية الطبية لتربتها وهواؤها العليل بل هي الأرض التي تصلح في نظر الخبراء لان تكون موقعاً سياحياً لاسيما السياحة الشتوية لان الفرات يشق المدينة الى اقسام عدة. واهم مميزات مرقد (ذي الكفل) منارته التي عرفت بأسمه وهي مخروطية الشكل من اعمال الجايتوخان المغولي.

ومنذ القديم حتى وقت قريب كان اليهود العراقيون ويهود البلدان

الاخرى يقيمون احتفالاتهم الدينية واعيادهم القديمة فيها على مدى فصلين في كل سنة اذ كانوا يحملون الصواني الحافلة بالشموع الملونة تعبيراً عن الرموز العبادية التي تعبر عن تاريخهم الحضاري. وقد بلغت اعداد المشاركين منهم في تلك الاحتفالات في مطلع القرن الماضي اكثر من ثلاثين الف يهودي ولمدة اسبوعين او اكثر وكل ذلك يظهر مدى انفتاح المجتمع العراقي على الاثنيات والسلالات المتباينة في تنوعها وخصائصها القومية والدينية.

وتتفق المصادر الكبرى علي ان ليس ثمة تاريخ يسجل لمدينة الكفل قبل العصر البابلي الحديث (٦٢٥–٥٣٩) قبل الميلاد انما في حدود هذا العصر قد حددت اثاريتها وذلك من خلال تحريات البعثات التنقيبية في طبقات ارضها اذ تنتشر فيها تلال آثارية كثيرة بما يقدر بـ ٢٠ تلاً آثارياً: منها تل ابو حنطة، وأشات "ابو لكن" وتل اسود وتل رميزان وبعض تلالها الآثارية ترجع الى العصور التي تلت العصر البابلي الحديث.

الفصل الثاني

بيتنا وبستان بابل

في الغربة اكتشفت للمرة الاولى طويريج او الهندية، المدينة التي ولدت فيها وامضيت فيها وحدها كل سنوات البراءة والطفولة والصبا الاربعة عشر. فمنذ ان غادرتها عائلتي الصغيرة نحو بغداد في منتصف عام ١٩٦١ وطيلة حياتي اللاحقة في عدد من اجمل واشهر عواصم الدنيا، لم تغادرني الهندية مطلقا برغم انها تراجعت احيانا لتصبح مجرد ذكرى غابرة وحتى غائرة لا سيما بعدما غمرتنا بغداد آنئذٍ بسحرها وكرمها من كل صوب. فدار السلام بغداد تلك تحديدا صارت مدينتي الاولى الاخرى حال انتقالي اليها وهذا لحد الآن برغم اغواءات باريس ولندن وبيروت وسواهما من عواصم الدنيا التي عرفها العمر عن كثب.

بيد ان الهندية وحدها المكان الذي ظللت اشعر حياله بحنين غامض ورومانتيكي في الواقع، وحتى بعض الطمأنينة كذاكرة، ولذا حملت اسمها طواعية لقبا، ادبيا في البدء، تكرس وحده يوما بعد آخر وكقدر ما ربما. وكان ذلك منذ دراستي الاعدادية في ثانوية الشعب في الكاظمية بين ١٩٦٤ و١٩٦٦، عندما كان المربي واستاذ اللغة العربية مظفر بشير يشجعنا نحن تلاميذه على محاولات الكتابة آخذا بعض نصوصنا البسيطة لنشرها في الصحف الكثيرة والمقروءة جدا آنذاك. وفي مرة حالفني الحظ لديه وقرر تشجيعي على كتابة الشعر فأختار مقطعا لي قرر ارساله للنشر في صحيفة (البلد) البغدادية التي نشرته بالفعل في شتاء ١٩٦٦. الا انه

سألني قبل ارساله قائلا: ما الاسم الادبي الذي تريد؟ قلت: الهنداوي! ثم بدهشة ما بعدها دهشة وجدت الاستاذ يربت على مسمعي الصغير قائلا "بوركت ايها الهنداوي الفتى! وعاشت الاسماء.. وهل اجمل من اسم يجعلك تغرف الشعر حيثما التفتّ، فمن خيري الهنداوي الى خليل الهنداوي كلكم هنداويون موهوبون!". و لم اتابع كلماته التالية حينها بل غرقت في حيرة تشبه الضياع اذ لم اك قد سمعت بكل تلك الاسماء ابدا من قبل.

كما لم اسمع من قبل ان لمدينة "بَلْخ" الافغانية سبعة أبواب، اهمها "باب الهنداوي"، الى جانب "باب النوبهار" و"باب الحديد"، وان اجمل واحدث احياء مدينة جدة في الحجاز يحمل اسم الهنداوي او الهنداوية نسبة إلى عبدالرزاق الهنداوي أحد أهم الاقتصاديين هناك، وان أسر سياسية وادبية ذائعة الصيت تحمل اسم "الهنداوي" في الاردن ومنها رئيس الديوان الملكي الاسبق ونائب رئيس الوزراء والوزير لعشرين مرة السياسي الاردني الراحل ذوقان الهنداوي، واخرى في سوريا ومنها احد اشهر ادباء بلاد الشام والعالم العربي في القرن الماضي خليل الهنداوي، وأسرة ثالثة في ليبيا منها الروائي الليبي اللامع سالم الهنداوي، ورابعة في فلسطين منها اشهر سجين في بريطانيا المتهم باختطاف طائرة العال الاسرائيلية نزار الهنداوي الذي كتب لي مرة من سجنه عارضا ان اطرح قضيته على منظمة العفو الدولية التي كنت اعمل فيها وقد فعلت ذلك على الفور، وأسر اخرى في مصر وتونس والجزائر والمغرب وحتى في ايران ومنهم عوائل وشخصيات مرموقة وعلماء ومفكرون ورياضيون وفنانون وسياسيون..

وكل تلك الآسر في الاصل مهاجرة في ماض ما من الايام او آخر من نفس تلك الربوع، ومرويّ من ماء شط الهندية نفسه البالاكوباس المقدس مهما نسي ذلك الاصل او تناءى او زالت ملامحه.

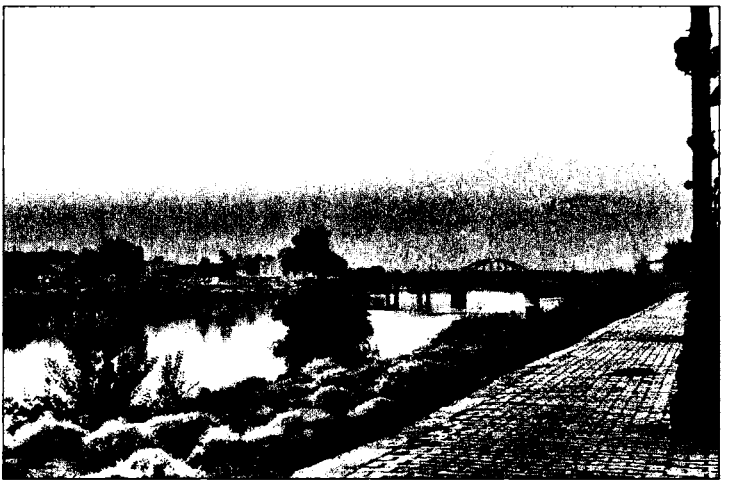

شط الهندية في طويريج عند لحظات الغروب

دهشتي الاخرى في ١٩٦٦ كانت اكتشافي ان اثنين من الاصوات الخمسة التي استلهمها الروائي العراقي الكبير غائب طعمة فرمان الخمسة في روايته الشهيرة (خمسة اصوات) هي تحديدا من طويريج وهما الشاعر المجدد وأمير التمرد في كل الشعر العربي الحديث حسين مردان والصحفي اللامع لكن المنسي ظلماً منذ وفاته في ١٩٧٤ محمد حسين الهنداوي. فقد كان كلاهما مصححاً في جريدة (الأهالي) ايام مجدها في الخمسينات برفقة الروائي غائب طعمة فرمان (محرر الاخبار السياسية فيها) وعبد المجيد الونداوي (مدير تحريرها) في جو متميز من النشاط السياسي والثقافي.

ولقد تقاطعت يافعا مع الرجلين في اكثر من مناسبة ووجدت منهما ودا بالغا، الا انني لم اكتشف تلك العلاقة الا بعد رحيلهما بزمن طويل. بيد ان ما بدا لي مشتركا بينهما وبين عشرات الاخرين من ابناء الهندية هو الحنين اليها والى بساتينها حيث الماء والشمس والظلال والازهار وعطر القداح والخصب والقمر والجمال والبهجة العفوية اينما امتد

النظر. وهي حقائق سجلها من قبلُ شعراء وفنانون عراقيون، اذ اعترف الفولكلور العراقي في اكثر من لحظة وجدان له ان العيش الرغيد في طويريج كان بمثابة الحلم كما عبرت عن ذلك الاغنية العراقية القديمة والشهيرة التي غناها الفنان حضيري ابو عزيز وقبله كثيرون ومطلعها:

آني أردْ اشرّج تشريج واگضي العمر بطويريج

الدنيا بيها بلا ضيـج"

وهو ما تلهج به ايضا امثال واهازيج شعبية شائعة في القرن الماضي يقول احدها:

"ما تبقى إلك هموم، أبشر يزاير

من توصل طويريج ما تظل حاير"

وعن الجمال في طويريج، يخبرنا الكاتب حامد كعيد الجبوري ان الشاعر الشعبي الشهير عبد الصاحب عبيد الحلي ارتجل قصيدته الغنائية الشهيرة "يا عزيز الروح يا بعد عيني" في حفلة في مدينة طويريج في بيت الشاعر وقارئ المقام الشهير عبد الامير الطويرجاوي، وقد غناها الاثنان وهما من ذوي الصوت الشجي الرخيم ومنها:

لاحـوّت مثـــلك، ديرة الحلة

ولا قضاء طويريج يابه، ولا النجف كله

سلوتـــي انـــت، وبيـــك اتسله

لورحت عني ياعيني من يســـليني؟"

وهذا بحد ذاته يوحي بان طويريج كانت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مرتعا للجمال والثقافة والعبادة في آن واحد.

ويتربع قضاء طويريج على ضفاف الفرع الرئيسي لنهر الفرات وكذلك على جدولين متفرعين منه هما جدول الكفل وجدول بني حسن (ويسمى ايضا الجدول الغربي)، اللذين يتفرعان بدورهما الى نحو عشرين نهير هي على الاول: نهر اللاوندية، ونهر البو كريدة، ونهر الحميدية، ونهر الطبر، ونهر السنية، ونهر الشجيرية، ونهر عوفي، ونهر المهناوية، ونهر الدسمية، ونهر المنفهان، ونهر طفيل، ونهر العوجة، ونهر بني سالة. وعلى الثاني: نهر الدويهية، ويتفرع الى ام جمل وابو جدوع والسلام والعجمية، ونهر ابو سفن، ونهر شط الله، ونهر ام رويه، ونهر المشورب، ونهر شط ملا ويتفرع الى الزبيدات وابو رويه وابو عويجيله، ونهر العبد عونيات ويتفرع الى الاعيوج وام طرايد، ونهر الشوجية.

وكان الفرات في الايام التي سبقت انشاء سدة الهندية ينشطر في موضع يبعد ٤٥٠ مترا عن موقع السدة الحالي الى فرعي الحلة والهندية. وتذكر مصادر عثمانية وغربية ان "كل عقد من عقود القرن التاسع عشر كان يشهد مزيدا من مياه الفرات تتدفق في فرع الهندية.

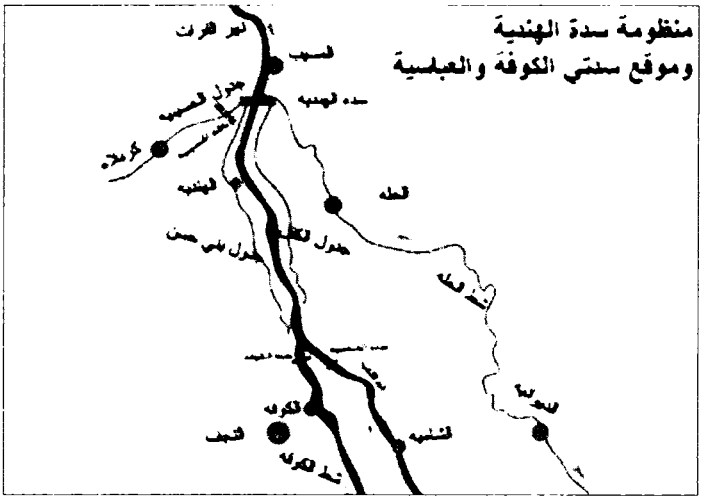

وما حل عام ١٨٨٥ حتى اوشك فرع الحلة على الجفاف، واقلق العشائر التي اقامت على شطوطه من امد قريب. فجيء بالمهندسين الفرنسيين لأصلاح الحالة، وانهوا عملهم في عام ١٨٩١. وبذلك صار بوسع الجميع ان يروا في هذا المشروع شيئاً حيوياً للقبائل، لا يمكن ان ينجز الا على يد مؤسسة تفوق القبائل في قدرتها الامر الذي يعد مثلا من مظاهر اعتمادهم الجديد على الحكومة".

ويعتقد المؤرخ البريطاني ستيفن لونكريك في كتابه "اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" ان الماء بدأ يجري في شط الهندية بصورة منتظمة منذ ١٨٠٠، وفي ١٨٣٠ اصبح من الضروري توجيه قسم من ماء الفرات الى فرع الحلة الذي بدأ يقل ماؤه، فحاول علي رضا باشا والي بغداد بين ١٨٣١ و١٨٤١ وبعده خلفه نجيب باشا بين ١٨٤١ و١٨٤٩ من اجل ذلك انشاء سدة له. وتمكن عبدي باشا من سد الفرات وبناء ناظم قوي له من الآجر. وقد تهدم ذلك الناظم سنة ١٨٥٤. ثم بنى عمر باشا سدا عظيما من التراب والحطب فلم يبق الا قليلا. وكان تعميره موضع عناية خلفائه باستمرار. وما حلت سنة ١٨٨٠ حتى اصبح فرع

الهندية هو مجرى الفرات الاصلي تقريبا. ومن الواضح ان المهندسين الفرنسيين بقيادة شوندفر كان لهم الدور الحاسم في بناء سدة الهندية اذ كانت تلك محاولته في بناء سدة محكمة عرضها ياردتان مع فتحة في وسطها. وقد تصدعت السدة المذكورة في ١٩٠٣ وبقيت الحالة سيئة في شط الحلة الى ان اكمل (ولكوكس) انشاء سدة الهندية في ١٩١٣. (لونكريك ص ٣٧٤).

ويذكر أحمد سوسة في كتابه "وادي الفرات ومشروع سدة الهندية" الصادر في ١٩٤٥، ان تحول مجرى الفرات الى نهر الهندية عام ١٨٥٥ كان سببه ان اراضي الهندية هي اخفض مستوى من اراضي الحلة وهو ما ادى الى نتائج سلبية اثرت على السكان ونشاطهم الاقتصادي لا سيما الزراعة ولما ادركت الحكومة العثمانية تأثير ذلك على مصالحها الاساسية المتمثلة بالرسوم والضرائب استدعت مهندس الري الفرنسي شوندفر في خريف عام ١٨٨٩، الذي اجرى كشوفات على مجرى الفرات في المنطقة ونظم تقريرا مفصلا وارفقه بخارطة لمنطقة الفرات الاوسط، وقدمها الى والي بغداد سري باشا وبعد ان اطلعت الحكومة العثمانية على توصيات المهندس الفرنسي وافقت على المشروع بانشاء سد على صدر نهر الهندية، والذي تم انجازه عام ١٨٩٠، حيث جرى افتتاحه وسط مهرجان رسمي كبير بحضور الوالي نفسه.

والحال، وحتى بعد ان اقيمت سدة الهندية في موضع السد البابلي "بالكوباس" الذي كان يجلب الماء لعاصمة امبراطورية بابل، فان شط الهندية ظل نهر الفرات الوحيد، اذ ان شط الحلة اصبح جدولا او نهرا قائما بذاته يبلغ طوله ١٠٤ كيلومترات مزودا بكميات من المياه تكفي لأرواء بساتينه وري ارضه، فيما اصبح شط الهندية مجرى الفرات العام، وصار ينقسم بعد اجتيازه قرية الكفل بكيلومترين الى شطرين كبيرين هما شط الكوفة وشط الشامية. وكما تفرع نهر الحلة، يتفرع جدول

الكفل من نهر الفرات في موضع يبدأ نحو ١٢٠ مترا شمال موقع سدة الهندية ايضا، ويجري هذا الجدول موازيا لنهر الفرات مسافة ٦٩ كيلومترا محولا الجانب الشرقي من مدينة الهندية الى شبه جزيرة فيما تقدر الاراضي الزراعية التي تستفيد من مياهه بنحو ١٢٢٠٠٠ مشارة من الاراضي الواقعة بين الضفة اليسرى لنهر الفرات كله تقريبا والحدود الغربية لأراضي شط الحلة.

لكن الهندية يطوقها جدول آخر يتفرع من الضفة اليمنى لنهر الفرات شمال السدة بنحو ٨٠٠ متر ويمتد الى مسافة تقرب من ٦٨ كيلومترا وهو يروي نحو ١٣٨٠٠٠ مشارة من الاراضي الواقعة بين الضفة اليمنى من نهر الفرات والصحراء. وهكذا فان مدينة الهندية تتربع على ضفتي الفرات كشبه جزيرة غناء بالخصب والبساتين تحدها جداول المياه شرقا وغربا.

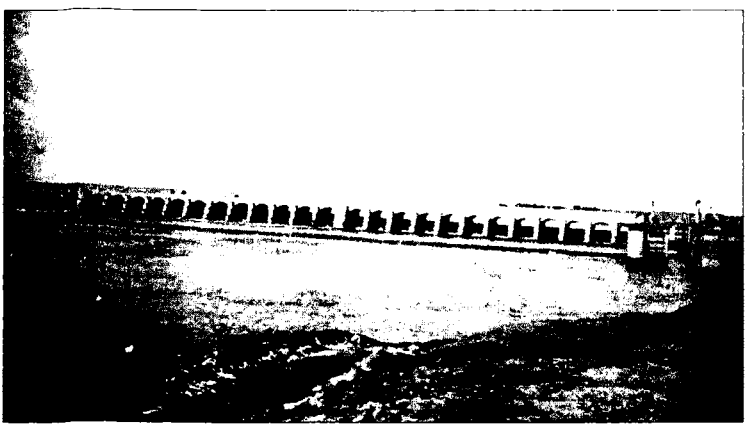

سدة الهندية في ١٩١٥ بعدسة المس بيل

جسر استرالي الاصل

ويقسم الفرات مركز مدينة الهندية الى قسمين هما الصوب الكبير والصوب الصغير. والاخير غدا اليوم اوسع وأحدث من الصوب الكبير لنشوء عدة احياء جديدة فيه اهمها احياء المثنى وابو جوعانة والعسكري، بينما كان في القرن التاسع عشر مجرد فناء حصين لعسكرة القوات العثمانية وسمي ايضا الطنبي من اختياره موقعا لنصب سرادق قائد الجيش التركي فيه. ويربط الصوبين الجسر الحديدي القديم وهو الجسر الاشهر على نهر الفرات في العراق منذ الامبراطورية البابلية حتى العصر الحديث.

جسر الهندية القديم بني عام ١٩١٣

والجسر المدشن في ١٩٥٦ مصنوع من الحديد والخرسانة المسلحة ومقام على ركائز كونكريتية متينة بعد ان كان جسر طويريج سابقا عبارة عن سفن خشبية موصلة ببعضها بالواح متحركة. وكان ذلك الجسر معرضا دائما للتصدع بفعل قوة التيار في ايام صعود ارتفاع

منسوب النهر وقد ظل هذا الحال حتى اخذت الحكومة العراقية الملكية على عاتقها هذا الامر فاتفقت مع احدى الشركات الانكليزية وجاءت بالمهندس الانكليزي وقيل انها كانت رسالة ماجستير له وهناك جسر اخر شبيه له في استراليا يحمل نفس التصميم.

وقد استمر العمل حوالي ٥ سنوات ليلا ونهارا فادخلوا سبيكتين كبيرتين من الحديد (شيلمانتين) بعمق ٢٠ مترا تحت الارض والثالثة وضعوا عليها قالب من الاسمنت وهكذا تم انجاز الجسر سنة ١٩٥٥ في زمن نوري السعيد. وهكذا ودعت الهندية جسرها البسيط السابق الذي كان عبارة عن مجموعة من الدوب المتحركة يفتح يوميا مرتين صباحا ومساء لعبور القوارب والسفن ومن ثم يغلق لعبور الاهالي.

وقد لعب جسر الهندية طوال الازمنة دوراً فعالاً في تطوير المدينة والاتصال والتنقل، وساهم بالتالي في زيادة السكن في الهندية وعلى الرغم من ذلك لم تكن الابنية الموجودة فيها مهمة كثيراً او متطورة فلم تكن تحتوي الا على بعض القصور التي يسكنها بعض الاثرياء والملاكين. ويبلغ طول الجسر (١٧٣,٧) متراً وعرضه ١٤ متراً يتوسطه قوس حديدي مزدوج ومزخرف وبلغت كلفة إنشائه ٣٥١,٢٩٩ ديناراً.

وقد شهدت بنفسي افتتاحه في السادس او السابع من نيسان من عام ١٩٥٦ من قبل رئيس الوزراء نوري السعيد حيث حضرت احتفال التدشين ضمن جمع من تلاميذ مدارس المدينة تم احضاره للترحيب بنوري السعيد الذي وصل بطائرة هيلوكوبتر.

وقد جاء افتتاح الجسر رمزا لمشاريع إعمارية كبرى في العراق ضمن احتفال عام اذ افتتح نوري السعيد بعده طريق الحلة – النجف الذي يمر بمدينتي الكفل والكوفة التاريخيتين وكان يبلغ طوله ٧٢ كم

واعتبر في حينه من أهم الطرق الرئيسة في بغداد إذ سهل السفر بين بغداد والمراقد المقدسة في كربلاء والنجف كما سهل نقل النعوش إلى مقبرة السلام في النجف.

رئيس الوزراء العراقي الراحل نوري السعيد يفتتح جسر الهندية في ١٩٥٦

كما افتتح نوري السعيد في نفس اليوم جسر الكوفة وهو جسر حديدي قائم علي ركائز كونكريتية طوله ٢٤٥ متراً وعرضه عشرة أمتار وله سبع فتحات وقد قامت بإنشائه شركة فيليب هولزمان الألمانية بدءا من آذار (مارس) ١٩٥٢ وبكلفة ٣٥٦,٨٦٥ ديناراً عراقياً.

لكن سكان الهندية رفعوا للحكومة العراقية في العام التالي عريضة طلبوا فيها إنشاء جسر ثان الى الجنوب من الجسر الجديد عند طرف المدينة نظرا للامتداد العمراني للمدينة باتجاه مجرى النهر نحو الجنوب.

والجسر الحديث الثاني هو من المشاريع الاستراتيجية والحيوية الهامة في المنطقة وهو بطول ٢٦٤ مترا وعرض ١٥ موزعة على ١٢ مترا للتبليط و١،٥ متر للممرات، وقد دخل مرحلة التنفيذ في نهاية ٢٠٠٦ وهو متكون من جزئين اساسين الاول عبارة عن جسر خراساني فيما يتكون الثاني من مقتربات للجسر بطول ١١ كم وبكلفة اجمالية قدرها اربعة مليارات و٤٨٠ مليون و٥٠ الف دينار مخصصة من الدولة.

وكان إنشاء جسر ثان حديث في طويريج مطروحا كأحد مشاريع مجلس الأعمار المشكل في اواخر العهد الملكي الا ان المشروع لم ينفذ الا في عام ٢٠٠٩ اذ استمرت معاناة اهل المدينة لسنوات طويلة نظرا لاتساع الرقعة السكنية للقضاء على جانبي الفرات ومن كلا الجهتين الشمالية والجنوبية لذا فقد أصبحت الحاجة ملحة لتنفيذ هذا المشروع المتبلورة فكرته منذ اكثر من سبعينات القرن العشرين بل غدت الحاجة له أكثر إلحاحا بعد سقوط نظام الطاغية صدام حسين في ٢٠٠٣.

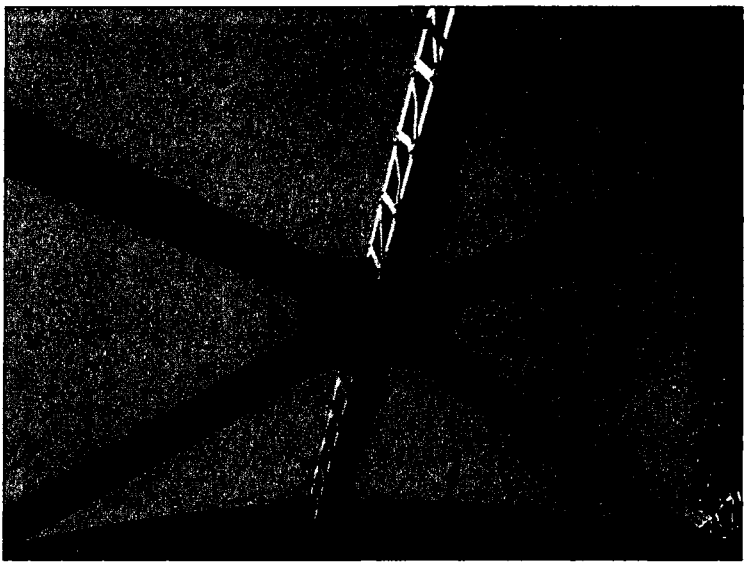

قبة جسر الهندية الحديدي

حيث ظل جسر الهندية الحديدي الاول بمثابة المعبر الاجباري الوحيد لمئات الآلاف ان لم نقل ملايين الحجاج سنويا من زوار العتبات المقدسة في كربلاء بمناسبة عاشوراء وزيارة الأربعين وغيرها اذ يأتون مشيا على الإقدام او بالسيارات وبشكل شديد الكثافة بعد ظهر كل خميس طيلة أيام السنة مما يخلق حالة دائمة من الاختناقات المرورية الامر الذي دفع البعض الى دعوة الجهات الحكومية الى نصب جسور عسكرية طافية خلال هذه المناسبات كتلك المستخدمة على شط العرب لحين انجاز الجسر الثاني للمدينة كأجراء مؤقت.

وفي ١٥ ايار ٢٠٠٩، تم افتتاح جسر الهندية الثاني بحضور رئيس الوزراء نوري المالكي. والجسر الذي تمت المباشرة فيه منذ حزيران ٢٠٠٦ ونفذته شركة عراقية بكلفة ٤ مليار و ٥٠٠ مليون دينار، بطول ٢٦٥ متر.

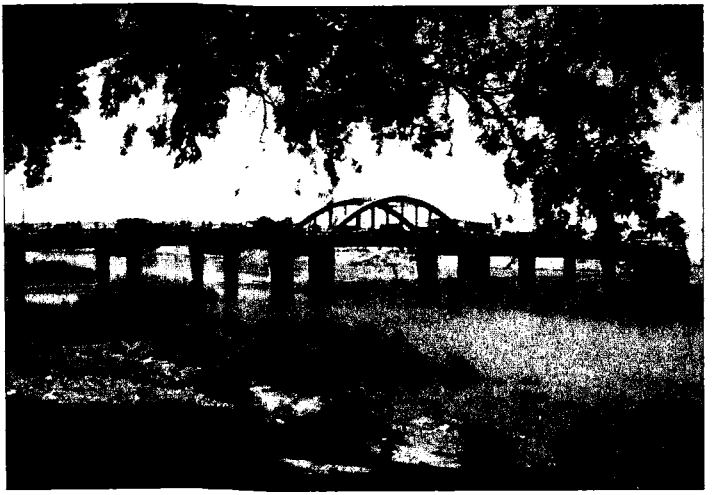

عزيز قوم ذلّ

وفيما ترتفع دعوات جديدة إلى إنشاء جسر ثالث في المدينة لتخفيف الزخم المروري الحاصل فيها لاسيما وان قضاء الهندية يشهد توسعا سكانيا وتجاريا كبيرا فضلا عن كونه يحادد ثلاث محافظات هي النجف وبابل وكربلاء، اجريت على جسر طويريج القديم عملية صيانة في ٢٠١٠ بكلفة مالية بلغت ٢٢٠ مليون دينار واستمرت لمدة ثلاثة أشهر تضمنت قلع الفضاء الوسطي وصيانة الصفائح الحديدية واستبدال المتضرر منها وإعادة صب الكونكريت لنفس الفضاء وبنفس المواصفات القديمة كما تم قلع الإسفلت القديم لسطح الجسر والمماشي بشكل كامل وكذلك معالجة المناطق المتضررة للسطح الخرساني وتأهيل المماشي فضلا عن إعادة اكساء الجسر بالكامل بمادة الإسفلت واطلاء الهيكل الحديدي بعد إزالة الطلاء القديم.

الاهمال دمر مجرى الفرات التاريخي في الهندية

وتحيط بطويريج شبكة غزيرة من المياه حيث يحدها من الغرب والشرق جدولان مهمان هما جدول بني حسن وجدول علي الغربي فيما يتهادى نهر الفرات كالبحيرة المترامية الاطراف في وسطها قاسما المدينة الى قسمين. وكان لابد لزائر هذه المدينة قبل ١٩٥٥ ان يشاهد جسرها التاريخي الذي بني عام ١٩١٣، قبل ان يحل محله جسر حديدي هو الجسر الوحيد في هذه المدينة. اما الريف فهو هنا كما وصفه احد الكتاب العراقيين "لوحة أبدع الخالق في خلقها حيث الجداول والبساتين المظللة ورائحة العنبر، والنسيم الذي يكحل الاجفان ليغمر الزائر بفيض من المشاعر الدافقة التي تود لو ان اللحظات تطول وتطول لترسم الاحداق هذه المناظر البديعة التي لابد ان تحفر لها مكانا في الاذهان مدى العمر".

مقهى شعبي على ضفة النهر في الهندية

وذاع صيت الهندية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن الماضي كميناء نهري لاسيما لنقل الرز من منطقة الفرات الاوسط الى المناطق الاخرى. اذ كانت تجثم على امتداد ضفتي النهر واطراف القصبة معامل ابتدائية لتقشير الشلب ليكون رزا تدعى ب"المجارش" قدر عددها بزهاء ثلاثين مجرشة يشتغل فيها نحو الف وخمسمائة عامل فيما كانت كميات الشلب الطائلة ترد من اطراف "المشخاب" و"الشامية" ومن نواحي القضاء نفسه فتجرش فيها وتصدر الى مختلف الانحاء وهذا ما جعلها مخزنا من مخازن التموين الكبيرة وتساعدها على ذلك سهولة المواصلات النهرية والبرية.

وقد ادى ذلك النشاط الاقتصادي كما كتب المؤرخ العراقي الراحل عبد الرزاق الحسني في كتابه "العراق قديما وحديثا" الى جعل المدينة مركزا يستقطب الايدي العاملة من الانحاء المجاورة ويزخر بقوافل

الابل التجارية. وكان البدو يفدون عليها على الدوام حتى قبل سنوات قليلة.

روضة الفرات الاوسط

فقد اعتبر عبد الرزاق الحسني في كتابه المذكور اعلاه الهندية بانها "روضة مدن الفرات الاوسط" واصفا قصبة طويريج التي هي مركز قضاء الهندية بانها "متوسطة بعمرانها، جميلة بمناظرها، حسنة بموقعها، تمتد على ضفة النهر اليمنى، ويربطها بالضفة اليسرى، التي بدأت العمارة فيها مؤخرا، جسر حديدي متين بني عام ١٩٥٥ وتحيط بها الحقول والبساتين التي تسقيها الجداول والنهيرات الكثيرة وتنير شوارعها وبيوتها الاضواء الكهربائية منذ عشر سنوات، وفيها من النفوس (٦٨٠٠) نسمة، اما نفوس القضاء فعددهم (٨٢٤٦٦) نسمة بحسب احصاء ١٩٤٧". كما لاحظ الحسني ان "اسواقها مستقيمة طويلة، وشوارعها عريضة مزفتة، ورصيفها الممتد على ضفة النهر اليمنى من اجمل ما تقع عليه العين فيها، وقد غرست الاشجار المختلفة على جانبي هذا الرصيف، كما غرست على جوانب بقية شوارعها"، ورأى في وسط القصبة "ميدان فسيح تزينه حديقة غناء وتشغل جانبا منه بناية مشروع اسالة الماء وامام هذه الحديقة صرح الحكومة الواسع ودار القائمقام المشيدة على الطراز الحديث، وعلى مسافة قصيرة منها بناية المدرسة الابتدائية وسائر المدارس الرسمية تحف بها حدائق واسعة ودور للاهلين كثيرة".

والهندية "مدينة الجداول المنسابة بهدوء مع نسيمات الصباح حيث تتمايل اعناق النخيل وتفوح رائحة العنبر، وتتصاعد رائحة البساتين المختلطة بعبق القداح والياسمين"، كما كتب باسل عبد الجبار في مقالة جميلة عن الطبيعة في طويريج نشرها قبل سنوات عديدة شدد فيها على ان الذاكرة تختزن فيها على مدى الايام صورا "تجسد معالم محفورة

في سجلات الزمن لأماكن تركت بصمات واضحة في تاريخ المسيرة الطويلة، انها صور رائعة لابداعات الخالق واختراعات الطبيعة، جمال ساحر اخاذ يشبه لوحة ابدع في رسمها فنان، ومناظر تستقر في الذاكرة تداعب الوجدان والمشاعر لايمكن ان تمحى. ومهما مرت الايام وتقادم الزمن تظل شاخصة، تروي قصة الزمن للذين مروا.. والذين ينتظرون، وما بين اللحظة واللحظة هناك نداء قادم يخرق السكون وينادي المشاعر ويغري الناظر: انه نداء الطبيعة الخلابة مابين الماء والخضراء واية البهاء والحسن".

مشهد صيادي السمك في شط الهندية فجرا (بعدسة المس بيل في ١٩١٨)

تقول بعض المصادر ان تحول شط الهندية ليصبح نهر الفرات الرئيسي تحقق تدريجيا في القرن التاسع عشر خاصة. فمنذ عام ١٨٠٠، بدأ الماء يجري بصورة منتظمة في شط الهندية. وفي ١٨٣٠ اصبح من الضروري توجيه قسم من ماء الفرات الى فرع الحلة الذي بدأ يقل ماؤه، فحاول

علي رضا باشا والي بغداد بين ١٨٣١ و١٨٤١ وبعده خلفه نجيب باشا (١٨٤١-١٨٤٩) انشاء سدة لهذا الغرض واظهروا اهتماما بالغا به.

وينبع هذا الاهتمام من قلق العثمانيين حيال هجمات الوهابيين على المنطقة وسكانها حيث تعرضت النجف وكربلاء وكذلك مدينة الهندية ذاتها الى غارات عديدة خلال القرن التاسع عشر قامت بها قبائل وهابية شبه همجية وشملت فرض الحصار عليها ونهبها وقتل ما امكن من سكانها. فبعد ظهور حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد، وانتشار مذهب الوهابية المتشدد بين قبائلها بسعي من أمراء آل سعود الذين كانوا على المذهب الحنبلي قبلئذ، تعززت شوكة الوهابيين عسكريا ومعها اطماعهم بسرقة كنوز العتبات المقدسة في الاراضي العراقية المجاورة. وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت الغارات الوهابية تشن دوريا في الربيع على النجف وكربلاء خاصة.

وفي ربيع ١٨٠١ قرر الوالي سليمان باشا اتخاذ الهندية قاعدة لقواته عندما علم بنبأ من المنتفك ان الجيوش الوهابية بدأت خلال الربيع حملة حربية واسعة لغزو المنطقة فسارع الى ارسال قائده العسكري احمد الكهية الى الهندية لاتخاذها مقرا لعملياته ولمواجهتم قبل هجومهم على كربلاء. وقد عسكرت قواته الكهية فعلا في منطقة الطنبي، الا ان بطء التحركات احبطت خطته في وصوله هو نفسه الى المدينة قبل بدء هجمة القوات الوهابية. اذ ما كاد احمد الكهية يغادر بغداد حتى وافت الوالي اخبار هجوم مئات المسلحين الوهابيين بقيادة سعود بن عبد العزيز على كربلاء في عشية اليوم الثاني من نيسان على كربلاء في غزوة قتلوا خلالها اكثر من ألف من سكانها العزل ونهبوا ما في البيوت والأسواق من اموال وسلاح وفضة وذهب، كما هدموا قبة مرقد الامام الحسين (ع) ونهبوا نفائس العتبات المقدسة وعلى الأخص صفائح الذهب بعد أن اقتلعوها من السقوف والجدران وكذلك الشمعدانات والسجاد الفاخر

والمعلقات الثمينة والأبواب المرصعة وكل الموجودات الثمينة من هدايا ملوك الفرس.

وقد ذكرت هذه الحادثة في كثير من المراجع الغربية والشرقية، على أن أهم من أشار إليها وتطرق بالتفصيل لها دائرة المعارف الإسلامية، ولونكريك في كتابه "أربعة قرون من تاريخ العراق".

قروية تنقل المياه من شط الهندية (بعدسة المس بيل في ١٩١٨)

وهكذا، لم يجد وصول الكهية إلى الهندية نفعا، اذ لم يلبث ان جمع جيشه فيها واتجه الى الحلة والكفل ثم الى النجف لينقل خزائنها إلى بغداد. الا ان هجمات الوهابيين لنهب كربلاء والنجف والمدن العراقية القريبة تكررت بعد ان اخفقت قوات والي بغداد ورجال القبائل العراقية في دحرها و لم تحجّم قوة الوهابيين الا في ١٨١١ على يد والي مصر محمد علي باشا.

الا ان نجاح هجمات الوهابيين تلك كشفت عن هزال قوة الوالي العثماني في المواجهة العسكرية لذا سرعان ما وجدت القبائل العراقية نفسها قادرة على التمرد على حكومة بغداد وهو ما بدأ فعلا منذ ١٨١٤ عندما ثارت قبائل الهندية على حكومة والي بغداد مستغلة انحسار سيطرة الاتراك على منطقتها. وقد بلغت تلك الثورات اشدها خلال ولاية نجيب باشا كما حدثت في عهد سردار اكرم ثورات اخرى لقبائل الهندية ضد التسلط العثماني.

لكن هذه الثورات ستكون عاملا حاسما في اندفاع السلطات العثمانية الى احياء مشروع انشاء سدة الهندية. فالعثمانيون، الذين استأنفوا الحكم المباشر للعراق عام ١٨٣١، اكتشفوا خطورة تأثير ثورات قبائل الهندية لا سيما خلال عهد نجيب باشا، على خططهم الهادفة الى زيادة سيطرتهم المركزية على البلاد والى ابتزاز الاموال عبر فرض المزيد من الضرائب وجبايتها بطرق خالية من الرحمة تمثلت بحملات التأديب العسكرية المتكررة.

وظل الفرات يحرص ان يلتهم سنويا واحدا منا على الاقل، عندما كنا نسبح صغارا في مياهه لا سيما في مطلع كل صيف حين تصل مياه النهر الى اعلى مستوياتها في الربيع، وقت ذوبان الثلوج عند مجاريه العليا، فضلاً عن سقوط بعض الأمطار على منابعه، ثم تبدأ بالانحسار. ولم تكن تركيا عبر سدّي اتاتورك وبريك، وسوريا عبر سد تشرين وبحيرة الاسد، قد اعلنتا حروبهما المائية اللئيمة على العراق والتي دمرت معظم الحياة الزراعية على ضفتي الفرات في معظم بلاد الرافدين.

وفي نبذة تاريخية عن حياته كتب مفتي لبنان الجعفري آية الله السيد حسين الحسيني (١٩٠٦– ١٩٧٠) انه كان في المنطقة في أواخر العشرينات وكانت الثورة العراقية الكبرى قد انتهت منذ وقت قريب،

وقد تم تنصيب الملك فيصل الأول ملكاً على العراق، مضيفا "عندما قصدنا النجف الأشرف من كربلاء "سلكنا في ذلك طويريج وكانت تفصل بين كربلاء وطويريج بحيرة يجتازها المسافر بالسفن، ورحنا نمشي من طويريج (الهندية) مع النهر، ونمرّ بالعشائر وكان العمل يجري بحماس في حفر الجدول الأيمن المعروف بجدول (بني حسن) وتطهيره". (انظر: http:// www.banihashem.org/albeqaa/index.htm). الا اننا لم نستطع العثور على مصادر تؤكد وجود بحيرة كالتي يذكرها هذا العالم الديني ما يدفعنا الى الاعتقاد بانها اندرست او موسمية او من مخلفات فيضانات تلك الفترة.

العلامة اللبناني الراحل السيد محمد حسين فضل الله، المولود في النجف عام ١٩٣٥ والمترعرع في أحضان الفرات الاوسط حتى ١٩٦٦، كان يحمل مشاعر دافئة حيال طويريج وارضها الطيبة تثير الدهشة. فخلال زيارة اليه قمت بها في مكتبه في الضاحية الجنوبية ببيروت منتصف عام ١٩٩١ وكنت حينها مبعوثاً خاصاً لمنظمة العفو الدولية في لبنان، فاجأتني ببهجة عبارات الحنين التي اطلقها تجاه طويريج بعد ان تأكد من نسبي اليها. بل وجدته يتدفق لبرهة من الزمن في سرد ذكريات حميمة عن المدينة وطبيعتها وشطها ومقاهي نهرها ومجالس علمية فيها كان يتردد عليها بين حين وحين معبرا ايضا عن شوقه لتأمل جلال وجمال الفرات في المنطقة وطبيعتها السخية.

ولقد تذكرت حينها كيف كان والدي يحرص، بمتعة ما بعدها متعة، ان يستريح مغرب كل يوم تقريبا على واحدة من المقاعد الخشبية في مقهى بسيط على فرات الهندية وهو يرسل دخان نركيلته بعيدا دوائر في الفراغ متأملا الكون صامتاً كما لو انها كانت اللحظة المثلى لديه للهروب من هموم دنيا لم تكف او تكل من زيارته، وبعد ان تكون النار قد توغلت بعيدا في دواخل حفنة من تنباك الرجيبة، كان هو الذي جلبه ونقاه ونث عليه قطرات ماء بيديه.

لكن الفرات في الهندية كان يعني ايضا ودائما الكنز الآخر لشعبها مثلته تلك الثروة الحيوانية الهائلة الموشكة على الانقراض اليوم كما يبدو، وخصوصا الأسماك والاغنام والجاموس والدواجن المختلفة أضافة لأنواع الطيور المحلية والوافدة حيث تشكل المنطقة مشتى مثاليا للطيور البرية المهاجرة كاللقالق والسندهند والخضيري كما للسنونو والارانب التي لا يأكلها احد.

واتذكر كيف كنا نصطاد بدشاديشنا الاسماك الصغيرة التي تمتلئ بها المبازل في البساتين المحيطة بالبلدة ثم نشويها ونلتهمها بلذة طفولية سرعان ما تتبخر في طريق العودة الى البيت حيث ينتظرنا التوبيخ والزجر وحتى العقوبة الخفيفة لمخالفتنا اوامر الوالدين. اما نهر الهندية ذاته فكان مملكة اسماك طبيعية بديعة دأبت على انتهاكها شباك الصيادين (السلية) او "كرفات" صيد السمك الربيعية التي كانت تثمر كل يوم تقريبا، فجرا او عصرا، عن صيد اطنان من مختلف انواع الاسماك الرئيسية كالشبوط والبني والقطان والحمري وأبو خريزة والبياح التي تنقل الى علوة السمك لتباع بالمزاد (كوترة) فيما يمكث على الجرف ركام المئات من سمك الجري التي اذ يعاف تناولها السكان، فينقض عليه عمال ينقلونها بسيارة الى بغداد لبيعها الى مطاعم متخصصة بتقديم وجبة الجري هناك.

ويبدو ان تناقص الاسماك في حوض الفرات الاوسط كله بدأ يتفاقم تدريجيا بعيد ١٩٦٠ ليتحول الى كارثة وطنية بسبب تناقص المياه والاهمال وربما الاستهلاك المفرط كأحد مترتبات التضخم السكاني وانتشار ما يعرف بـ "سمك الزعيم". اذ يقال ان الحكومة جلبته في زمن رئيس الوزراء الاسبق الراحل الزعيم عبد الكريم قاسم وألقته في الأنهار اعتقادا منها بانه سيأكل يرقات البعوض المسبب للملاريا ولكن شهيته الجامحة دفعته ايضا الى التهام بيوض الأسماك العراقية التقليدية وربما الاسماك ذاتها بشراهة كادت تقضي على الثروة السمكية للبلاد برمتها.

واتذكر بدهشة حية بعد ذلك المشهد التراجيدي من على جسر الهندية الحديدي عندما، في صيف ١٩٧٠، بدأت تظهر في وسط مياه النهر اشبه بجزيرات قاتمة من "سمك الزعيم" الذي قيل انه يحب التشمس تحت الماء، ويعتقد انه نوع من السمك المسمى السمتي او البلطي ذاته، والذي راح يتكاثر بشكل مثير لا سيما بسبب رفض السكان تناوله خشية التسمم او الاصابة بالملاريا كما اشيع. وقد استمرت ظاهرة "سمك الزعيم" في التفاقم حتى الآن كما يبدو لكن هناك من يعتقد ان حجمها تراجع بعد وصول قوافل الوافدين المصريين كعمالة مطيعة استوردها نظام البعث بدءا من منتصف السبعينات وبلغت بضعة ملايين لاسيما خلال الفترة بين بدء الحرب العراقية الايرانية في ١٩٨٠ والاحتلال العراقي للكويت في آب ١٩٩٠. اذ يقال ان المصريين كانوا يتلذذون بالتهام "سمك الزعيم" ساخرين من جهل العراقيين بمذاقه الطيب. لكن العراقيين سرعان ما اندفعوا هم ايضا في التهامه لا سيما في سنوات جوع الحصار الذي جعلهم ينافسون جهلاء الوافدين المصريين في ذلك السباق الحزين ايضا كما في سباق الارتداد الى بعض اسوأ مظاهر التخلف كارتياد السحرة والمشعوذين وتعاطي المخدرات والتملق والنفاق الاجتماعي وغيرها من ممارسات منبوذة لدى المجتمع المتحضر في مصر والعراق عادة.

مدينة المجارش والتنباك

اشتهرت منطقة الهندية المحاطة بالبساتين من جميع الجهات بخصب اراضيها الزراعية وبانتاج التبغ بكميات كبيرة وخاصة التنباك (وهي مفردة ايرانية تعني تبغ الاركيلة) وبنوعيات اجود مما تشتهر به بعض مدن كردستان العراق، حيث ينقل هذا النوع من التبغ الى كربلاء كي يجفف ويعبأ بالاكياس ليرسل الى مراكز الاستهلاك، كما عرفت بساتينها بكثرة الفواكه والمحاصيل الحقلية ومنها الى جانب التبغ التمور والحنطة والذرة

والرز اذ تشتهر الهندية بزراعة الرز (العنبر) وهي نوعية تمتاز برائحتها الطيبة ومذاقها الشهي. والمدينة اضافة الى ذلك محطة تجارية بين محافظتي الحلة وكربلاء وهي تعتمد في زراعة اراضيها على مياه الفرات الا انها تتميز وتنفرد بسعة الانهر المتفرعة من النهر العظيم ذاته.

وهي اضافة الى ذلك كانت دائما محطة تجارية بين مدن الحلة وكربلاء والنجف والكوفة والمدن المشاطئة للفرات. فقد ذاع صيتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن الماضي كميناء نهري حيوي في نقل المسافرين بين الهندية ومدن الفرات الجنوبية الاخرى لا سيما الكوفة عبر رحلات نهرية يومية منظمة وممتعة واقتصادية تقوم بها بواخر صغيرة وزوارق متينة. اذ كنا في ايام الطفولة نسمع صفير وصولها ومغادرتها فجر كل يوم.

وكتب الاديب العراقي الراحل عبد الغني الخليلي في مذكراته المنشورة في مجلة "الموسم" التي يصدرها محمد سعيد الطريحي ما يلي: " كنت في صباي كلما اشتقت الى زيارة اهلي في طويريج قصدت الكوفة ومن هناك حيث ترسو مراكب خشبية صغيرة على شاطيء الفرات اركب واحدا منها. وكان موعد رحيله الى طويريج يبدأ عادة عند المساء بعد الفراغ من صلاة العشاء.. اذكر كنت اسهر ليل الفرات البهيج بضوء القمر وبحداء الملاحين وبمنظر شجيرات الصفصاف وهي تلقي بغدائرها الخضر في الماء... ويقترب المركب من مدينة طويريج في غبش الصباح الباكر يعلن بصفيره الحلو عن نهاية الرحلة. . (انظر العدد ٢٣-٢٤ من مجلة الموسم لعام ١٩٩٥).

وكان يتردد بانتظام على الهندية لنقل المواد الاستهلاكية لا سيما الغذائية منها واليها، عدد كبير من السفن الشراعية والبخارية المزودة بعربات نهرية مسحوبة (وتسمى دوبة) كان بعضها يجلب المواد

الغذائية اليها ومنها الى كربلاء خلال مواسم الزيارات الدينية، الا ان اكثرها واهمها كان يأتي اليها في المواسم الزراعية لجلب الشلب ثم نقله منها رزا بعد جرشه الى الاسواق (ويسمى ايضا "تمّن") من خلال بيوتات تجارية متخصصة في معاملاته اشتهر منها بيوتات معروفة لحد الآن منها ابو الحامض، ومجيد حاج ابراهيم، والمواشي، والبوعنبر، والسعداوي وغيرهم. وكانت هناك حركة نقل قوية باتجاه الفرات الشمالي وبغداد عبر سدة الهندية حيث يأتي التجار من عانة وسامراء والرمادي لشراء الرز المجروش ونقله الى مناطقهم.

وقد ادى ذلك النشاط الاقتصادي الى جعل المدينة مركزا يستقطب الايدي العاملة من مختلف الانحاء المجاورة ويزخر بقوافل النقل بكل الوسائل الحديثة والقديمة بما فيها قوافل الابل، حيث كان البدو يفدون عليها على الدوام من البادية الغربية والجنوبية للتجارة والعمل والاستقرار وذلك حتى اربعينات القرن العشرين. وهناك عدد كبير من سكانها هم في الاصل من ابناء القبائل الرحل، فيما يعتقد ان كثيرا من الزوار القادمين من دول اخرى ومن طوائف شتى لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء خاصة قرروا هم ايضا اختيار طويريج موطنا جديدا لهم مع مرور الوقت وهو حال مستمر لحد الآن مما يفسر وجود جاليات سكانية مختلفة الاصول في المدينة التي تفتح صدرها للجميع.

ولعل ذلك النشاط وما يترتب عليه من انفتاح على العالم الخارجي، كان الى جانب قربها من العتبات المقدسة في كربلاء من الاسباب الاساسية في بروز الهندية كمرتع للافكار الفقهية والادبية والانشطة السياسية المختلفة المعارضة للسلطة الدكتاتورية المركزية. فلقد كانت الهندية احدى قلاع الانتفاضة الشعبانية في عام ١٩٩١، وقدمت خلالها عشرات الشهداء الذين عثر على رفاة كثيرين منها في المقابر الجماعية المكتشفة بعد سقوط نظام صدام حسين لا سيما في الحلة وكربلاء.

اما من الناحية الاقتصادية فالهندية مدينة زراعية اشتهرت بزراعة التبغ والرز والتمور والذرة وهي اضافة الى ذلك محطة تجارية بين محافظتي الحلة وكربلاء. فالاطنان المنتجة من الارز في الشامية والمشخاب تجلب الى الهندية لتجرش وتصدر اما الى كربلاء والمسيب. اذ ان الزراعة والتجارة صنوا حياتها الاقتصادية الاهم منذ القرن التاسع عشر. كما اعتمدت على تطوير الثروة الحيوانية، وايضا على المجارش الوطنية التي كانت تدار بالايدي من قبل نساء ورجال وقد امتدت على طول ساحليها حوالي ٢٥ مجرشة وبعمق ٣٠ الى ٤٠ مترا عن النهر بما فيه الطنبي وهو الصوب الصغير الذي احتوى ٣ او ٤ مجارش. وكانت الاف الاطنان من الرز المنتجة في الشامية والمشخاب تجلب الى الهندية لتجرش وتصدر اما الى كربلاء والمسيب والكوفة او الى بغداد ومدن اخرى او الى مناطق نائية في البادية الغربية بينما كانت منافذ الهندية الرئيسية تشهد يوميا لا سيما في فصل الربيع وفود افراد وجماعات من البدو الرحل للتزود بالرز المجروش تاركين جمالهم في اماكن خاصة لربط حيوانات النقل تعرف بالطولات مقابل اجر زهيد، اذ كانوا يضطرون احيانا على امضاء ليلة او اكثر في الهندية او حتى امضاء العمر.

فقد اتسعت حركة تجارة الحبوب المنقولة الى المدينة عبر السفن الشراعية التي كانت تمخر في النهر الذي اتسعت شواطئه لما يحتويه من مياه متدفقة وقد اشتهرت المدينة بالمجارش المحيطة بضفتي النهر اذ كانت تديرها النساء ليلاً وهي ممتدة على طول الفرات داخل المدينة من جنوبها الى شمالها ولهذا فقد كانت طويريج تستقبل غالبية انتاج المنطقة الجنوبية والوسطى من الحبوب لاسيما (الرز) ومن ثم تصدره الى مناطق العراق كافة وبقيت المدينة مسيطرة على تجارة الحبوب الى ان ظهرت المجارش الحديثة فكسدت التجارة فيها وتحولت الى مدينة

الكوفة لتوفر تلك المجارش التي تعد محركاً رئيسا لتجارة الحبوب لا سيما وان المجتمع العراقي كان يعتمد بصورة رئيسة على الزراعة آنذاك.

ولقد حولت تلك المجارش الهندية الى محطة اقتصادية لامعة في المنطقة لاكثر من قرن بين تاريخ سقوطها بيد العثمانيين اثر حملة نجيب باشا على المنطقة في ١٨٤٢ وبين افتتاح سدة الهندية في نهاية ١٩١٣ وحتى ثلاثينات القرن العشرين. فقد وفدت الى الهندية عشرات العوائل ومئات الايدي العاملة الرجالية والنسائية من مختلف انحاء العراق للعمل سواء كعمال في المجارش او في السفن النهرية التي صارت ترتاد شواطئ الهندية محملة ايابا بالشلب وذهابا بالرز، او في الخدمات والمهن اليدوية الكثيرة التي ولدت بفضل تلك الحركة الاقتصادية ومنها الحمالة والكيالة والمطاعم والمقاهي والخياطة..والخ التي حولت الهندية الى مدينة عمالية حديثة. وفي مقابلة صحفية نشرت في عام ٢٠٠٤ يذكر الحاج علي ابو الخير وهو متابع جيد لتطور الاحداث في الهندية، ان الصفة الغالبة للحياة في المدينة قبل افتتاح السدة كانت تحولها الى ما يشبه "معمل لجراشة الشلب". وقد استمر التطور على تلك الشاكلة الى فترة قصيرة بعد افتتاح السدة قبل ان يضطر عمال الجراشة على الهجرة الى بغداد بحثا عن عمل جديد بسبب الكساد الاقتصادي بعد ان بدأت مدن فراتية اخرى كالكوفة باقامة مجارش للشلب لديها لسد حاجاتها المحلية من الرز.

لكن التدهور الاقتصادي صار قدر الهندية منذئذ وكذلك البطالة رغم ان هناك اليوم مصفى لتكرير النفط بطاقة إنتاجية تصل إلى ١٤٠ ألف لتر في الساعة ويعد الأكبر في منطقة الفرات الأوسط وينتج المحروقات المتمثلة بالكاز والغاز الطبيعي والبنزين والنفط الأبيض والأسود.. كما توجد مستودعات لخزن الوقود في الهندية.

الزراعة هي ايضا تدهورت رغم خصب ارض طويريج وطيب فراتها. فمثلا، كان من المنتوجات الزراعية المهمة في طويريج التنباك الذي يستعمل في ما يسمى عربيا (الأركيلة) او (الشيشة) او عراقيا (النركيلة) او محليا (الغرشة) وهو نوع محسن من التبغ ذي جودة عالمية عالية تشتهر به ناحية الرجيبة. ولعل بداية ظهور الغرشة منها اي من بابل ثم انتشرت عالميا عبر تركيا، حيث وصلت هناك في منتصف القرن الرابع عشر، وأصبحت للغرشة مكانة اجتماعية مهمة هناك، بل وارتقت إلى أن أصبحت هدايا يتبادلها الدبلوماسيون في ما بينهم كرمز للصداقة، الى حد أن وقعت أزمة دبلوماسية لأن السلطان العثماني رفض منح السفير الفرنسي حق تدخين الغرشة معه عام ١٨٤١. ونال التنباك شهرة اكبر بعد فتوى المرجع الديني محمد حسن الشيرازي قائد ما يعرف بـ "ثورة التنباك" اصدرها من مقره في سامراء ضد تدخين التنباك ليس لأنه محرم من ناحية شرعية بل لمحاربة التغلغل البريطاني في ايران ولأجبار الشاه ناصر الدين على إلغاء اتفاقية منح بموجبها لشركة بريطانية حق الاستيلاء على انتاج وبيع التنباك الايراني الذي كان ينتج ويستهلك بكميات كبيرة في ايران ومنها يصّدر الى مختلف دول الجوار والعالم. ويقدم عالم الاجتماع الراحل علي الوردي معلومات قيمة عن هذه الثورة وتأثيرها في العراق في الجزء الثالث من كتابه الكبير "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث".

لكن تدهور زراعة وانتاج التنباك في الهندية بشكل واسع يعود بشكل خاص الى اهمال الدولة للثروة الزراعية بشكل عام لحد الآن وعلى كافة الصعد بدءاً من خدمة الارض الزراعية الى البذار والأسمدة والأدوية والانتاج والتسويق والنقليات والقروض وكلفة الانتاج. ويكفي ان نذكر ان انتاج التنباك وتصديره يدر حاليا اموالا مهمة على مزارعه في ايران ومصر وكذلك في لبنان وخاصة في جنوبه حيث يوجد

حاليا اكثر من ٤٣٠٠ مزرعة تنباك غالبيتها في سهل عكار يبلغ انتاج كل مزرعة ٣٣٠ كيلو أي ما مجموعه حوالي ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلو سنوياً واذا تدخلت الدولة لتنظيم انتاج هذا المحصول الزراعي، يمكن ان يحصل الشيء نفسه واكثر في مزارع الهندية التي توفر كافة متطلبات انتاج وتصنيع انواع التنباك المطلوبة عالميا كالطقس والاراضي المروية والايدي العاملة.

الفصل الثالث

الهندية وأهلها

خياط الهندية واشهر خياط في العراق محمد ماضي في صورة له عام ١٩٦٥

مجتمع قضاء الهندية من اكثر المجتمعات تحركاً وتغيراً خلال القرن الاخير بفعل الطبيعة المفتوحة لارضه الجامعة بين الخصب والمياه والجمال والحضارة والثقافة والعبادة والسهلة الغزو في آن واحد، ما جعلها جذابة وجاذبة للاقوام القادمة من شتى الانحاء ولا سيما القبائل العربية التي حالما تنتهي من تدمير انماط الحياة السائدة وتستقر في ربوعها، تفقد تدريجيا عصبيتها القبلية وانماط حياتها القاسية الاولى مغيرة الملامح

السابقة لمجتمع المدينة. وهذا الاستنتاج ينطبق بشكل او آخر على المدن العريقة المجاورة كالسماوة والمشخاب وابي صخير وسوق الشيوخ وهيت وحديثة والشطرة.

ويشير تقرير مفصل جديد ان المساحة الكلية لقضاء الهندية بمركزه وقراه الخمسين هي حاليا اكثر من ١٣٦٦٤٨ دونما موزعة على صوبين كبير وصغير، منها ٣٢٤٣١ دونما خضراء من البساتين الخصبة المغطاة بأجود انواع النخيل واشجار الفواكه. اما مساحة مركز المدينة فهي ٨,٤ كيلومترا مربعا، الصوب الكبير منه، وهو مركز المدينة، مؤلف من اربعة اطراف هي "الكص" وكان ارقى احياء المدينة اذ كانت ابنيته مشيدة بالطابوق والحجر ومسقفة بالحديد (الشيلمان) ويليه "سيد حسين" ثم "شيخ حمزة" و"محرم عيشة".

اما القسم الثاني الذي كان يسمى الصوب الصغير فهو في نظرنا اقدم اقسام الهندية واهمها استراتيجيا وتاريخيا الا ان مكانته تلك تراجعت بفعل تصاعد الاهمية التجارية للصوب الكبير خلال القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين بفضل انتعاش نشاط المجارش والنقل النهري.

الا ان الصوب الصغير سرعان ما استعاد حيويته في النصف الثاني من القرن الماضي فتوسع بشكل ملحوظ اذ يضم حاليا معظم المساكن المبنية في الاحياء الجديدة الكبيرة في الهندية مثل "المثنى" و"ابو جوعانة" و"العسكري"، ليغدو اكبر من الصوب الاول.

ربع مليون ناخب

اما بشريا فقد كانت الهندية دائما بين اكبر اقضية العراق من ناحية الكثافة السكانية قبل تقسيمها قبل اربعة عقود. وتورد السجلات

الرسمية ان عدد سكان الهندية كان مماثلا لعدد سكان كربلاء في عام ١٨٩٣ اذ جاء في السالنامات العثمانية ان عدد سكان الهندية كان ٤١٦٢ نسمة مقابل ٤٧٨٣ نسمة لكربلاء. وبينما كان عدد سكان الهندية في ١٨٩١ نحو ٣٢٢٤ نسمة ارتفع في ١٨٩٤ الى ٨٦١٤ نسمة ثم تراجع الى ٧٤٠٥ في ١٩٠٠. (انظر جداول عدد السكان في السالنامات العثمانية بين ١٨٩١ و١٩٠١ كما جاء في كتاب "الحلة في العهد العثماني المتأخر ١٨٦٩-١٩١٤" للدكتور علي هادي عباس المهداوي - ص ١٨).

ويقدر عدد سكانها حاليا بأكثر من ٣٥٠٠٠٠ نسمة، يسكن اكثر من مائة الف منهم في او بالقرب من مركز القضاء الذي يعد عصب الحياة فيها. وحسب معلومات تخمينية للامم المتحدة في ٢٠٠٣ فان مجمل سكان قضاء الهندية هو ٣٠٤٠٣٥ فيما اشارت سجلات انتخابات ٢٠٠٩ الى وجود ٦١٩٦٦ ناخب مسجل في مركز القضاء على اساس بيانات وزارة التجارة الى جانب عدة آلاف من المهجرين العائدين او الراغبين بالعودة الى ديارهم لا سيما ممن لجأ منهم الى ايران وسوريا والدول الاوروبية والولايات المتحدة واستراليا حيث وجدت على الدوام ولحد الآن تجمعات كبيرة لأبناء الهندية بينهم شخصيات ثقافية واكاديمية وسياسية متميزة ومرموقة.

وبلغ مجموع الناخبين المسجلين في كل قضاء الهندية بين ٢٠٠٤ و٢٠١٢ ما يلي:

السنة	مجموع الناخبين المسجلين
٢٠٠٤	١٧٦٨١٥
٢٠٠٨	٢٠٤٠٦٨
٢٠١١	٢٢٠٠٠٠

وكان الناخبون في قضاء الهندية موزعين ٢٠٠٥ كما يلي:

اسم الناحية	رقم المركز الفرعي	عدد الناخبين المسجلين في ٢٠٠٥	عدد الناخبين المفترض تسجيلهم في ٢٠٠٥
مركز الهندية	٦٨٦	٤٥٧٥٢	٥٧٤٥١
الجدول الغربي والخيرات	٦٨٧	٤٩٨٤٦	٥٢٩٥٤
ابي غرق	٥٩٩	٣٣٤٤٠	٣٨٨٥٢
الكفل	٦٢٢	٤٨٧٧٧	٥٤٨١١

من جانبها تقدم لنا الاحصاءات السكانية الرسمية للسنوات الثلاثين الماضية الاخيرة عن عدد سكان الهندية ما يلي:

الوحدة الادارية	احصاء ١٩٧٧	احصاء ١٩٨٧	احصاء ١٩٩٧
نفوس الهندية	٧٠٧٦٦	١١٢٨٤٤	١٥١٤٠٤
مركز الهندية	٢٦٦٩٣	٧٧٣٢٥	٦٤٥٧٩
الجدول الغربي	٢٣٧٨٥	٣٥٥٥٢	٥١٠٩٧
الخيرات	٢٠٢٨٨		٣٥٧٢٨
ابي غرق			٥٩١٤١
الكفل			٨١٤١٨
نفوس كربلاء عين التمر			٥٩٤٢٣٥ ١٦١٦٢

وطويريج مدينة إخاء منذ النشأة الاولى. ففي مطلع القرن العشرين كان سكان المدينة يتألفون من اقوام متعددة من العرب، وهم الاغلبية الساحقة، والفرس (وخاصة من أصفهان) والهنود والاكراد الفيليين والتركمان واليهود الذين قدر عددهم في ١٩٤٠ بأكثر من خمسين اسرة من قدامى الاسر يعمل افرادها في التجارة والمهن الحرة خاصة ولهم معبد خاص باسم "التوراة" ظل مغلقا لفترة طويلة بعد رحيلهم. وخلال زيارة الى العاصمة البريطانية لندن في عام ١٩٨٧ تعرفت عن كثب على ناشط يساري عراقي وعضو في المنتدى العراقي بلندن ظل يتباهى بانه "طويرجاوي" وهو الراحل السيد سلمان داود سلمان المعلم في احدى مدارس الهندية في اربعينات القرن الماضي أي قبل ان تضطر عائلته على الهجرة في حوالي عام ١٩٥٠. وقد دهشت لشدة حنينه الى الهندية كما لدفء ذاكرته عن اسماء واحوال وتقاليد اهلها ومتابعته لاخبارهم قدر الامكان.

وفي مقال نشرته صحيفة "الحياة" اللندنية بتاريخ ١٣ ايلول ٢٠٠٩ عن مراسل لها في طويريج وتحت عنوان "كلمات شرف قطعها الآباء تحفظ ممتلكات يهود عراقيين"، نكتشف ان علاقة بعض ابناء الهندية المسلمين استمرت بجيرانهم اليهود العراقيين طيلة العقود الماضية من دون انقطاع على رغم درايتهم الكاملة بما سيؤول إليه حالهم وأفراد عائلتهم إذا كشفت السلطات أمر هذه العلاقة.

ونقلت عن احد وجهاء المدينة قوله ان والده كان قد سافر إلى فلسطين المحتلة اكثر من مرة خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٢ الى ١٩٦٨، للقاء أصدقائه هناك وايصال بعض الأمانات والأموال الخاصة بهم»، مشيراً الى أن النظام السابق أوكل لوالده مهمة إدارة بعض الممتلكات العائدة لليهود قبل مصادرتها، لافتا الانتباه إلى أن العلاقات الاجتماعية بين المسلمين واليهود العراقيين في قضاء طويريج، «كانت عميقة»، إذ

«كانت تربط معظم أهالي القضاء علاقات جيدة وحميمة باليهود كونهم من السكان الأصليين للقضاء».

عشائر طويريج

ينحدر معظم عرب طويريج من قبائل عديدة عريقة وكبيرة تجمعها الاعراف والقيم التقليدية المشتركة الا انها دخلت احيانا في حروب دموية ومعارك طاحنة من اجل الكلأ والماء لا سيما عندما واجهت قبائل رئيسية منها خطر مجاعة افرادها بسبب انهيارات سدة الهندية المتكررة في القرن التاسع عشر مما كان يؤدي الى جفاف نهر الحلة خاصة وموت الزراعة في المدن والقرى المعتمدة في سقيها على مياهه. وقد وثقت احداث بعض تلك المعارك بقصائد شعرية معروفة لحد الآن احيانا. أما ابرز هذه القبائل فهي ال جشعم و بنو طُرف و آل فتلة وبنو حسن والدعوم وآل كريط وآل يسار.

فآل جشعم قبيلة عريقة الاصول وقديمة العهد في العراق والهندية موطنها الأصلي، وكان شيوخها أمراء غزية حيث أمتدت أمارتهم الى هيت، وقيل كان لهم عشر حصة الدولة العثمانية من عائدات نهر الحسينية حين جرى شقه في زمن سليمان القانوني. ومن أبرز قادتها ال ثويني، ويتركز سكنها حاليا في المناطق الواقعة بين كربلاء وطويريج. أما فروعها في الهندية فهي الضياغم، والنعيم، والبو حديدة، والبو غصيبة، والصهبان. ويرأس هذه الفروع الشيخ محسن محمد الجشعمي.

اما بنو طُرف فهم قبيلة عربية عريقة الاصول ومحاربة مهاجرة من الاهواز وأصلها من بني طرف الطائية الحويزية. من فروعها في الهندية آلبوعوفي وهم الرؤساء، والبو دبيّس، والمكاطيف، والبو حسين، وآل شيخ زاير، والبو زغنون، والكرافة، وكنانة، وبنو صالح. وهاجر قسم من بني طرف في مطلع القرن التاسع العشر الميلادي من الحويزة الى كربلاء

لزيارة العتبات المقدسة وعند وصولهم قرروا البقاء في أراضي الهندية لخصوبتها ووفرة مياهها وبعد فترات من الزمن لحقت بهم مجاميع من عشائر الحويزة أمثال (الزابية والكرافة وبني سالة والحيادر) ودخلت في عدادهم حتى أصبحت بني طرف عشيرة كبيرة تنقسم حالياً الى قسمين هما آل اسعيد وهم ذرية أسعيد بن حرز بن هيجل والمهاجرون الاوائل الى الهندية ويتسلسل شيوخهم فيها من الشيخ ثعيب بن حاج محمد المتوفي في ١٨٨٤، الى الشيخ جفات بن الشيخ كنجي بن الشيخ سلطان بن الشيخ ثعيب الرئيس الحالي للعشيرة، وآل صيّاح ويشكلون نصف قبيلة بني طرف في العراق والأحواز، اما تسلسل شيوخها فيبدأ مع الشيخ عوفي بن عبدالله المعاصر للوالي مدحت باشا، وتصل الى الشيخ شاكر بن الشيخ عبد بن الرئيس الحالي للعشيرة.

وتنتمي قبيلة آل فتلة إلى قحطان، وهي قبيلة كبيرة وعريقة، اصلها من زبيد وقيل من قبيلة النخع السبئية. اقسامها في العراق عديدة احدها في قضاء الهندية برئاسة آل چلّوب وآل موسى، وآخر في قضاء الشاميّة برئاسة آلبو هِدلة، وقسم في المشخاب وأبو صخير برئاسة آل فرعون. وهم مزارعون متوطّنون هاجروا الى الهندية من مناطق الديوانية في حوالي منتصف القرن التاسع عشر اثر موت اراضيهم جراء جفاف شط الحلة.

قبيلة بني حسن العراقية من جانبها فرع من بني مالك وهي غير بني حسن الأردنية. وهي مجموعة أحلاف عدنانية كبيرة من بقايا قبيلة بني هلال المضرية وتنسب ايضا الى ثروان العبادي العقيلي، هاجرت الى الهندية من مناطق الديوانية في حوالي منتصف القرن التاسع عشر لنفس السبب اعلاه ولها مضارب تمتد من الكفل حتّى حدود كربلاء وهي من عدة أفخاذ في الهندية منهم آل جميل والتراون والجرّاح وآل جبّاس وال صبار والبو عوض والبو عارضي والبو سلامة والرحيم والحواتم وال دهيم وزغيب. اما أبرز شيوخهم فهم ال عباس.

والدعوم قبيلة غزية وبطن من بني خالد في العراق وقيل من الجبور الزبيدية القاطنة في ناحية القاسم بالحلة ومنها نزح قسم من افرادها إلى كربلاء والهندية وسدّة الهندية في منتصف القرن التاسع عشر لنفس الاسباب المذكورة. ويقع موطن إقامة هذه القبيلة على جدول بني حسن على طريق كربلاء الهندية. والدعوم برئاسة ميري خان آل علي، أما فروعها فهم آل سمير وآل هيجل والجغيلات.

اما آل كريط فهي قبيلة قادمة الى الهندية قبل قرن ونصف تقريبا وتنتسب إلى قريط بن عبيد بن كلاب من ذرية قيس بن عيلان، وقيل تنحدر من شمر عبدة يقطن أفرادها في ضواحي الهندية في اراضي أبو رُوَيّه التابعة لناحية الخيرات، ويسكن قسم منهم في ناحية أبي غرق. ولها أفخاذ، منها: الحوافظ، وآلبو خلف، والحويفظات، والعشاير.

وهناك ابناء عشيرتنا الاكرع وهم اقل عددا في الهندية. والاكرع من القبائل الشمرية الاصيلة في الفرات الاوسط. وافخاذها اثنا عشر هي: ال شبانة، والهلالات، وآل عمر، وآل الحمد، وآل مجاوير، آل المرمض، البونايل، زبيد، الطواريف، الكروش، الشواحن، الرواشدة. ويقطن عدد من عوائلها الهندية قبل القرن العشرين قادمة من انحاء الدغارة وكان افرادها يترددون على الكوفة والنجف. وقد استقر بعضهم في الهندية نهائيا، كما وصلها افراد آخرون اثر فشل ثورة العشرين هربا من انتقام السلطات الاستعمارية البريطانية اثر اعتقال عدد من رؤسائها عندما اصدر الحاكم السياسي البريطاني للواء الديوانية الميجر دايلي امرا القبض على جماعة من قادة قبائل الفرات وزجهم في السجون وقد بدأ بالشيخ سعدون آل رسن رئيس قبيلة الاكرع فسجنه في الديوانية ثم قبض على الشيخ شعلان ال عطية وعلى الحاج مخيف فنفاه الى هنغام.

وهناك عشائر عريقة اخرى اقل عددا في المدينة ومعظمها حديث التوطن في الهندية اذ لا زال سكان القرى وحتى البادية يفدون عليها للاقامة فيها. وهناك عدد كبير من القبائل الرحل تتردد على المنطقة حتى قبل سنوات قليلة. وابرز تلك العشائر ال مسعود وآل يسار والاكرع الشمرية وبني اسد وجليحه والضيف والعويد والجنابات وال دبيس من فروع عشيرة العزايز ومنهم البو هبيش والبو خطار والبو محمد والبو خليل والبو ياسين والبو خضير، وهناك عشيرة الحوافظ والحويفظات، وابوزريدة والبو شاوي من بني كعب، والبو كريدة من فروع جبور ال واوي و ال علي أحد عشائر بني مالك.

وعن عشائر الهندية والمناطق المحيطة هناك عدة كتب مهمة وتقارير ومتابعات سمعنا بوجودها دون التمكن للاسف من الاطلاع عليها، منها كتابان صدرا مؤخرا للدكتور فلاح محمود خضر البياتي بعنواني "مدينة الهندية (طويريج) نشأتها وتطورها الحضاري" و"دور قضاء الهندية (طويريج) في الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠م"، وكتاب مخطوط للاستاذ طه ياسين الحسيني اضافة الى دراسات مهمة منشورة للاستاذين الشيخ كاظم المسعودي والشيخ عزيز جفات الطرفي وسواهما تتضمن معلومات قيمة استفدنا وانتهلنا منها كثيرا في هذه الصفحات عن الاحوال المعيشية والاسرية الخاصة بها.

مجتمع الهندية الجديد

ينقل ستيفن لونكريك في كتابه "اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" عن مصادر تركية القول بان طويريج "لم تكن قد مصرت بعد في القرن السادس عشر" حيث كان البالاكوباس، ويعني فرع الهندية من الفرات، "جافا مطمورا مهجورا" (ص ١٤). لكننا لا نعرف مدى دقة تلك المصادر التركية بل لا نشك في جهلها، اذ نعتقد ان الهندية كانت

موجودة كبلدة صغيرة وقديمة ثم بدأت بالتطور الى مدينة حديثة العمران ابتداء من مطلع القرن السابع عشر او قبل ذلك بقليل.

وما يؤكد هذا الرأي ما ذكره الرحالة الفرنسي لجان في وصفه لخان الهندية في رحلته الى العراق سنة ١٨٦٦ (ترجمة بطرس حداد، مجلة المورد ٣/١٢ لسنة ١٩٨٣) قوله في وصف بناية خان الهندية: "في أولها بناء مربع الشكل أبيض اللون يشبه القلعة، إنه خان يأوي إليه المسافرون والزوار الذين يقصدون أضرحة الصالحين وان المسافر أو الزائر إذا كان يسلك الطريق المباشر بين الحلة – كربلاء، فتكون أول محطة له خان حسن أغا، بعد ذلك يستأنف سفره فينزل في خان الهندية وهي المحطة الثانية، بعدها يستمر في سفره حتى الوصول إلى مدينة كربلاء.

أما إذا سلك الطريق الثانوي بين الحلة – كربلاء فسيكون محطته الأولى خان عنزة في (الطهمازية)، ثم بعد ذلك يستأنف سفره حتى الوصول إلى الهندية فينزل في خانها فتكون المحطة الثانية، وبعدها يستأنف سفره للوصول إلى مشهد الإمامين الحسين وأخيه العباس في كربلاء.

ومن الجدير بالذكر ان ذلك الرحالة الفرنسي لا يتحدث هنا الا عن خان الهندية الواقع على الطريق بين الحلة وكربلاء. والحال ان ذلك الخان هو نفسه خان الوقف المعروف القائم حاليا والذي ظل حتى مطلع القرن الماضي محطة لاستقبال المسافرين المتوجهين من جنوب العراق الى كربلاء. وينقل عن العالم الديني الراحل عبد الرزاق الجزائري. قوله قبل قرنين، ان السفر الى كربلاء لزيارة الحسين(ع) في القرن الثامن عشر كان يتم انذاك بواسطة السفن الى الهندية اولا والمبيت في خان الوقف قبل السفر في صباح اليوم التالي الى كربلاء عن طريق البر.

وتشير سالنامة الدولة العثمانية لسنة ١٨٤٩ الى وجود الهندية كأحد اقضية ايالة (ولاية) بغداد التي كانت تمثل المركز وتضم ايضا في الفرات

الاوسط الحلة وكربلاء والنجف والمسيب والشامية وغيرها. (بلديات العراق في العهد العثماني/عبد العظيم نصار، ص٥١). وهذه الحقيقة تدحض اعتقاد بعض المؤرخين المحليين ان العمارة الجديدة في مركز المدينة لم تنطلق حقا الا مع حلول القرن الثامن عشر، لتعرف ازدهاراً لامعاً في التاسع عشر وخاصة مع عهد الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٥)، أي مع موجة اولى وعفوية من توطن القبائل. بل ويقال ان رجلا من قبيلة زحّاف كان اول قبائلي بدأ التوطن ذاك. لكن لم يتحدث احد عن وجود قبيلة باسم زحاف في العراق او أي مكان آخر.

كما لا يمكن ان تعني هنا كل المهاجرين من مختلف القبائل الى البلدة القديمة للعمل فيها، او اسما لفرع من عشيرة مهاجرة في اشارة تحديدا الى عشيرة النصاروة كما زعم بعض الباحثين. ونعتقد ان المقصود بالبيت الشعري القائل "ادجاج زحاف عليك تزاحفت بيض العمائم في الليالي السود" المنسوب لاحد الظرفاء هو الاشارة الى كثرة الزوار "الزاحفين كالدجاج" على بيت احد رجالات الاسرة القزوينية الدينية الابرز في المدينة وربما السيد مرزا صالح القزويني. والحال لا يمكن اعتماد هذا البيت الشعري للتحدث عن أول رجل بدأ البناء الجديد في البلدة بينما يقر بوجود اسر دينية عريقة فيها.

ومن هنا نعتقد ان المقصود فيها الاشارة الى الاهمية الادارية المتزايدة للهندية في فترة تنظيم تسريع عملية توطين القبائل في اعقاب صدور قانون الولايات العثمانية في ٨ تشرين الثاني ١٨٦٤، والذي اعيد بموجبه تقسيم الولايات العثمانية ليعقبه في ١٨٧١ صدور نظام ادارة الولايات العثمانية في كانون الاول ١٨٧١ الذي هدف بذريعة اشراك الاهالي بادارة شؤون بلادهم الى تنظيم ربط الادارات الفرعية في الاقضية والسناجق بمقر الوالي وربط الولايات بمقر الحكومة العثمانية المركزية في اسطنبول. ولقد تزامنت تلك العملية مع اشتداد هجرة الايدي العاملة

الريفية الى البلدة اثر تحولها تدريجيا الى المركز العراقي الاقتصادي الاهم على نهر الفرات بفضل ازدهارها كمركز لتجارة الشلب العراقي الذي ينقل للتحضير في مجارشها الكثيرة قبل ان يتم تصديره منها الى العالم كافة.

ومهما يكن الامر، ان المصادر التاريخية المتوفرة تؤكد بالمقابل استقرار المزيد من العشائر لامتهان الزراعة في قضاء طويريج في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ساعد على تطوره وخاصة ابتداء من تطبيق التشكيلات الادارية الحديثة فيها عام ١٨٧٢، والتي تم بموجبها منح القضاء مركزا اداريا تحت اسم "الهندية" وجعل تابعا الى سنجق كربلاء بعد ان ربطت به ناحية واحدة، وصنف القضاء من اقضية الدرجة الاولى.

كما تؤكد مصادرنا ان الهندية كانت اكثر الاقضية سكانا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ففي ١٩٣٥ فاق عدد نفوس قضاء الهندية عدد نفوس سكان قضاء الحلة بأكثر من عشرين الف نسمة اذ بلغ رسميا ٧٨٢٧٩ نسمة للهندية وملحقاتها مقابل ٥٧٨٧٤ للحلة وملحقاتها حسب احصاء نشره الدليل الرسمي العراقي لعام ١٩٣٦ (ص ٦٧٣). ولم يدخل في ذلك الاحصاء عدد افراد قبائل الهندية وابرزها في ذلك الحين قبيلتا بني حسن وكان رئيسها عمران الحاج سعدون، وال فتلة وكان رئيسها سماوي الحاج جلوب.

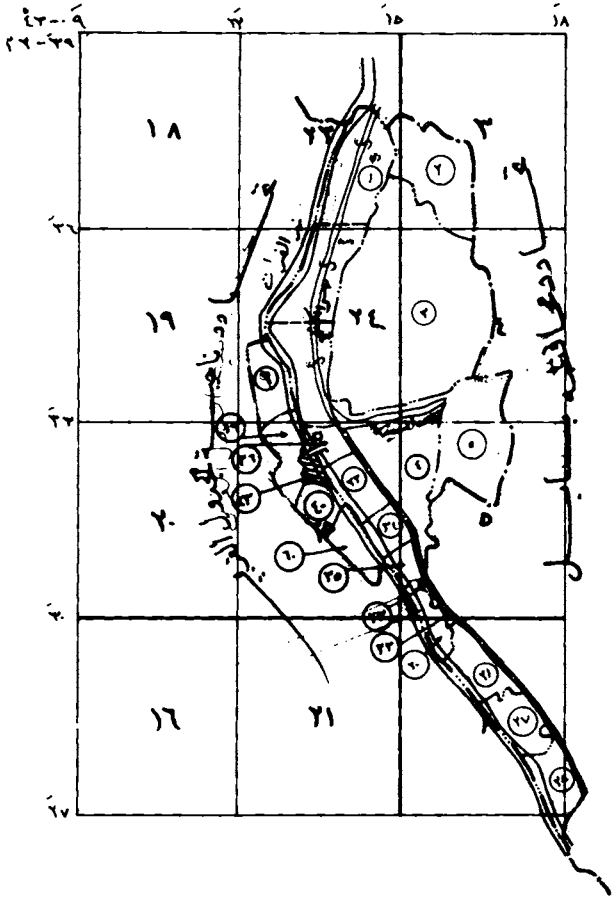

اسماء مقاطعات قضاء الهندية ومواقعها في الرسم اعلاه:

١- جناجة أ، ب، ج، د./ ٢- الكطنة/ ٣- المنفهان/ ٤- الرشيدية الشمالية/ ٥- ام الهوى وملحقاتها القسم الغربي/ ٢٠- ام طوب الشمالية/ ٢١- ام طوب الجنوبية/ ٢٢- الكطيوية القسم الغربي/ ٢٣- ام جلعة/ ٢٧ - شمالي الزريجة/ ٢٨- جنوبي الزريجة والخرابة/ ٣٣- الرشيدة الغربية/ ٣٤- الرشيدة الوسطى/٣٥- الرشيدة الجنوبية/

٣٦- قصبة الهندية الشرقية/ ٩ - امليبيج الشرقي/ ١٩- السيد عوينات الشرقية/ ٤٠- محرم عيشة / الجدول الغربي سابقا/ ٤٣- قصبة الهندية (صوب الكبير)/ ٦٠- الخنيابية/ ١٩- مصاليب الكيم/ القسم الغربي/ ابي غرق.

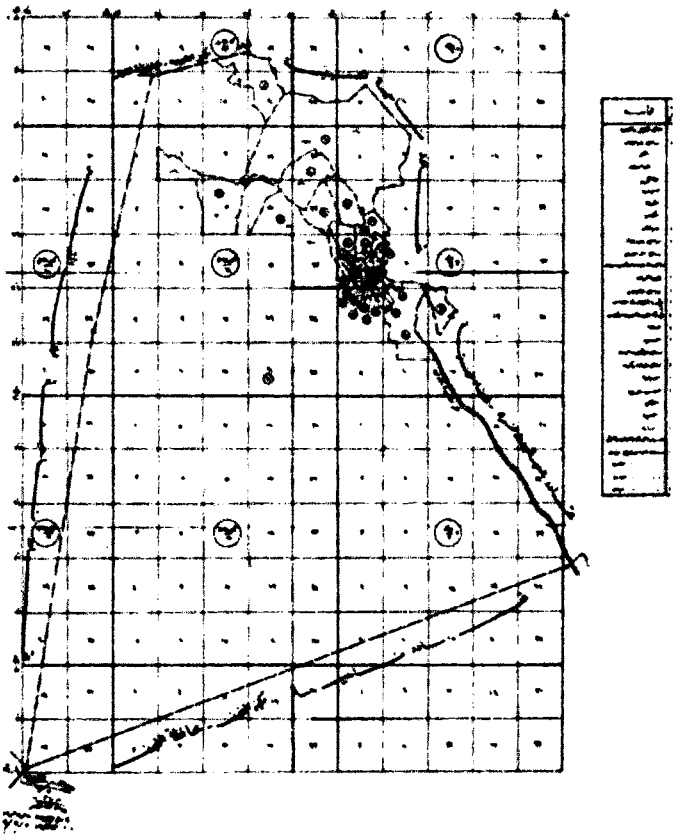

فهرست تثبيت حقوق الاراضي في محافظة كربلاء

تنظيمات ادارية عشوائية

اما اداريا، فكان قضاء الهندية احد اهم الاقضية القديمة على الخارطة الادارية العراقية الحديثة. ويذكر لونكريك في كتابه "اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" (ترجمة جعفر الخياط) ان قضاء الهندية كان القضاء الاول في سنجق كربلاء واقضيته الاخرى النجف والرزازة الصحراوي" (ص ٣٧٦) مضيفا التوضيحات التالية: "ان العراق التركي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والذي كان "بشكله الاخير يومئذ يحده سنجق دير الزور الذي لا تتبعه اية ولاية، وولاية ديار بكر التي لها سنجق المركز وسنجقا ارغنة وماردين، وايران. وكان العراق يتألف آنئذ من ولايات ثلاث هي:

– ولاية الموصل التي كانت تضم ثلاثة سناجق وهي سنجق المركز وتتبعه اقضية دهوك وزاخو والعمادية وسنجار وعقرة، وسنجق كركوك وتتبعه اقضية اربيل ورانية وراوندوز وكوي سنجق وكفري، وسنجق السليمانية وتتبعه اقضية بازيان وحلبجة وشهرزور ومركة.

– ولاية بغداد التي كانت تضم سنجق المركز واقضيته عانة والرمادي وسامراء والكاظمين والعزيزية والكوت وخانقين وبعقوبة ومندلي وبدرة، وسنجق الديوانية وتتبع له اقضية الحلة والسماوة والشامية، وسنجق كربلاء واقضيته الهندية والنجف وقضاء الرزازة الصحراوي.

– ولاية البصرة التي كانت تضم سنجق العمارة واقضيته دويريح والزبير وقلعة صالح، وسنجق البصرة نفسها واقضيته الفاو والقرنة والكويت، وسنجق المنتفك واقضيته مركز الناصرية والشطرة وسوق الشيوخ والحي. وكان سنجق الاحساء يضم ثلاثة اقضية وهي الهفوف والقطر والقطيف. فيما كان سنجق القصيم الخيالي في وسط الجزيرة العربية يضم، على الورق فقط، قضائي بريدة والرياض. وقد تشكل سنجق القصيم هذا بشكله المذكور منذ ١٩٠٥."

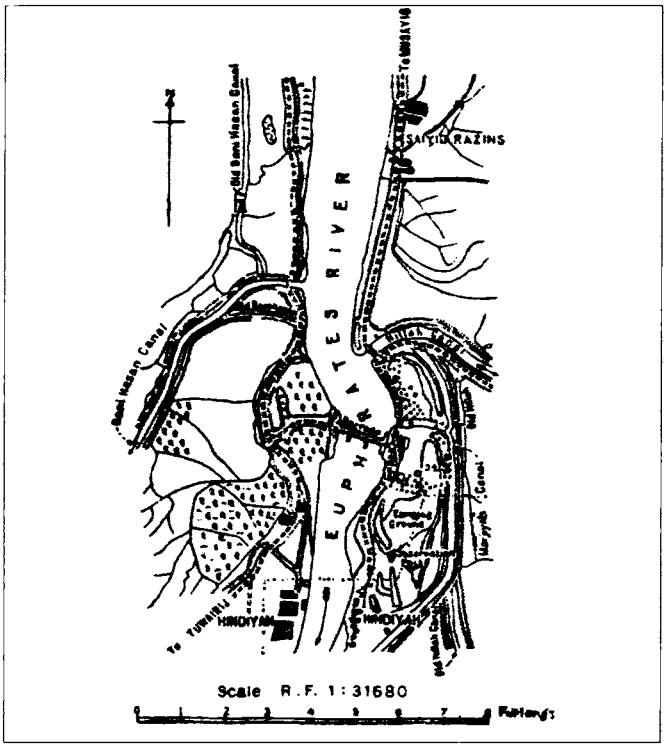

رسم طوبوغرافي بريطاني لمنطقة الهندية منشور في ١٩٢٢

وبعد ان كان تابعا للواء كربلاء في مطلع القرن الماضي اصبح جزءاً من لواء الحلة بين الثلاثينات والسبعينات من نفس القرن قبل ان يقرر النظام البعثي في ثمانينات القرن العشرين تقطيع الهندية عشوائيا بين محافظتي بابل وكربلاء بموجب قرار مجلس قيادة الثورة في ١٩٦٩/٦/٢٦ وبموجب تطبيق قانون المحافظات في ١٩٦٩/١٠/١ الذي اسفر عن انشاء محافظات النجف وصلاح الدين ودهوك والمثنى، مما ادى الى الحاق الجزء الأكبر من الهندية ومساحته الحالية نحو ١١٤٩ كيلومتر مربع بمحافظة كربلاء من جديد فيما ترك الجزء الآخر، الاقدم تاريخيا، تابعا الى محافظة بابل.

مراسيم جمهورية

رقم ٩٦

بناء على موافقة مجلس قيادة الثورة ـ مكتب امانة السر بكتابه المرقم م ق/١٠/٢٢/٩١٢ في ٢٤ـ٢ـ١٩٧٦ ، واستنادا الى احكام المادة الرابعة من قانون المحافظات رقم (١٥٩) لسنة ١٩٦٩ المعدل ، وبناء على ماعرضه وزير الداخلية .

رسمنا بما هو آت : ـ

فك ارتباط قضاء الهندية من محافظة بابل ، والحاقه بمحافظة كربلاء .

على وزير الداخلية تنفيذ هذا المرسوم .

كتب ببغداد في اليوم الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ١٣٩٦ المصادف لليوم الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ١٩٧٦ .

احمد حسن البكر
رئيس الجمهورية

الوقائع العراقية عدد ٢٥١٨

وهكذا كانت الهندية اكثر المدن العراقية تضررا بآثار ذلك القرار اذ اقتطع جزء كبير من اراضيها متمثلا بكل من ناحية ابي غرق الزراعية الكبيرة وناحية الكفل الأثرية والسياحية ليظلا ضمن محافظة بابل فيما الحق مركز القضاء ومناطق صغيرة اخرى بمحافظة كربلاء ما جعل الاهمال مضاعفا ولحد الآن في الواقع. وقد زعم في حينه ان هذا التقسيم مثّل حلاً وسطاً للصراع بين ادارتي كربلاء والحلة بعد نشوب خلاف بين محافظيهما هاشم قدوري وعزيز صالح اذ سعى كل منهم الى ضمها بكامل مساحتها الى ادارته للسيطرة على القضاء العريق وثرواته. الا ان هذا الزعم ساذج لان السبب الحقيقي في تقسيم قضاء الهندية كان ذا طبيعة امنية وسياسية وتحمل عقوبة للقضاء الذي كان مركزا للمعارضة الوطنية اليسارية والاسلامية على مر العقود.

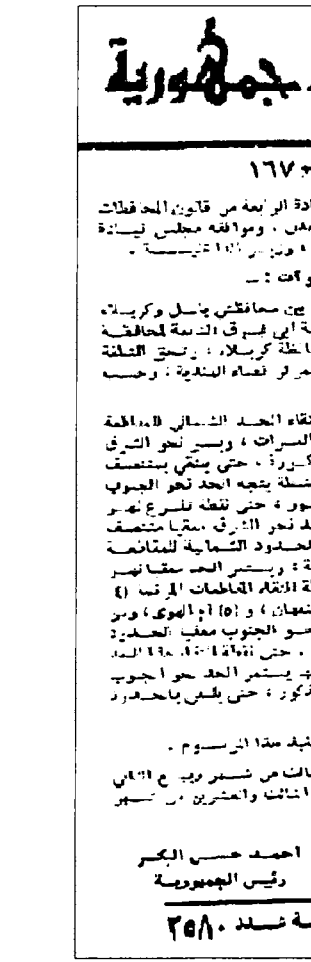

مراسيم جمهورية

رقم ١٦٧

استنادا الى احكام المادة الرابعة من قانون المحافظات رقم (١٥٩) لسنة ١٩٦٩ المعدل ، وموافقة مجلس قيادة الثورة ، وبناء على مقترح [illegible] ،

رسمنا بما هو آت :-

تعدل الحدود الادارية بين محافظتي بابل وكربلاء في المنطقة الواقعة بين ناحية ابي غرق قضاء المدينة لمحافظة بابل وقضاء الهندية بمحافظة كربلاء ، وتلحق المنطقة الملوحة من ناحية ابي غرق قضاء المدينة ، وحسب الوصف التالي :-

تبدأ الحد من نقطة التقاء الحد الشمالي للمقاطعة الرقمة (٩) جنوب نهر الفرات ، ويسير نحو الشرق بمحاذاة حدود المقاطعة المذكورة ، حتى ينتهي بمنتصف جدول الكفل ، ومن هذه النقطة يتجه الحد نحو الجنوب مقتفيا وسط الجدول المذكور ، حتى تقطعه فلنرع نهر السنية منه ، ثم يتجه الحد نحو الشرق مقتفيا منتصف نهر السنية ، حتى يصل الحدود الشمالية للمقاطعة الرقمة (٤) الرشيدة الشمالية ، ويستمر الحد مقتفيا نهر السنية ، حتى يصل الى نقطة التقاء المقاطعات الرقم (٤) الرشيدة الشمالية ، و (٢) النعمان ، و (٥) ام الهوى ، ومن هذه النقطة يتجه الحد نحو الجنوب مغرب الحدود الغربية للمقاطعة الرقمة (٤) ، حتى [illegible] ، ومنه يستمر الحد نحو الجنوب مقتفيا منتصف جدول الكفل ، ومنه يستمر الحد نحو الجنوب مقتفيا منتصف المسول المذكور ، حتى يلتقي بالحدود الادارية الناحية الكفل .

على وزير الداخلية تنفيذ هذا المرسوم .

كتب ببغداد في اليوم الثالث من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩٧ الصادف اليوم الثالث والعشرين من شهر آذار سنة ١٩٧٧ .

احمد حسن البكر
رئيس الجمهورية

الوقائع العراقية عدد ٢٥٨٠

بيد ان سكان القضاء عموما ظلوا يرفضون دون جدوى هذا التجزيء الاداري المجحف ويعبرون دوما عن الرغبة بعدم التبعية الادارية لهذه المحافظة او تلك التي تسببت دائما بالتهميش الاقتصادي والخدماتي مطالبين بتحويل القضاء الكبير والغني بالثروات الطبيعية والبشرية الى وحدة ادارية مستقلة بعد استرجاع المناطق المهمة التي الحقت بمحافظة

بابل لأسباب واهية، وبهذه الطريقة يمكن ان تغدو الهندية محافظة بذاتها تفصل بين بابل وكربلاء وبين كربلاء النجف على ان تمنح ايضا امتدادها الطبيعي غربا في البادية الغربية العراقية حتى غربي العراق فتتصل بالحدود السعودية من جهة عرعر ليشمل وادي الابيض والجانب العراقي من وادي الخر ووادي عرعر، ومنح محافظة كربلاء بالمقابل امتداها في البادية الغربية العراقية لتشمل المثلث المقابل للرزازة وعين التمر والمنتهي قبالة جديدة عرعر جنوبا وبزاوية تلاقي الحدود العراقية السعودية الاردنية شمالا وهي مناطق الحقها النظام البعثي بمحافظة الانبار اداريا لأسباب سياسية وامنية بعدما كانت وحدات ادارية قائمة بذاتها.

وعلى العموم، ومهما كانت تبعيتها الادارية، او مصير تقسيمها بين كربلاء وبابل، فان طويريج لم ولا تعترف ابدا بالتبعية الثقافية لاية مدينة اخرى حتى اتهم ابناء الهندية بالتكبر او التمرد او حتى الغرور. اذ ان الحقيقة هي ان هذا الانطباع الصحيح شكليا نابع من ان الهندية عانت دائما من الاهمال التام خلال تبعيتها الادارية الى حاكميتي محافظة كربلاء حاليا ولواء الحلة سابقا. ولعل تراكم الطمى والرمال في وسط نهر الفرات في الهندية دليل صارخ على تقاعس الحاكميتين الدائم وكذلك وزارة الري العراقية في كري نهر الهندية لتنظيفه من الرواسب وفي معالجة تفاقم مشكلة نقص المياه ما ادى الى هيمنة اليابسة على نحو ثلاثة ارباع النهر التاريخي. اذ راح مجرى الماء فيه يضيق تدريجيا ليغدو عرضه في الصيف حاليا ثلث ما كان عليه في نفس الموسم قبل خمسين عاما ما ادى الى يباس مساحات شاسعة من البساتين المثمرة وموت الكثير منها الى الابد ربما وهي ظاهرة لا تكف عن الاتساع حاليا.

وكان العراق بموجب التقسيمات الأدارية للعهد الملكي يتألف حتى نهاية ١٩٦٩ من اربعة عشر لواء يشمل كل منها على مركز واقضية ونواح وقرى عديدة. وكان عددها الاجمالي ١٤ لواء و ٦٦ قضاء

و١٧٤ ناحية و٩٩١٨ قرية، يتولى ادارة اللواء فيها المتصرف والقضاء القائمقام والناحية المدير، اما القرى فلها مختار يتولى شؤون ادارتها ويرتبط مباشرة بمدير الناحية. وكانت بغداد بمثابة المقر الاداري للألوية (المتصرفيات) كما لمراكز الوزارات ومجلس الأمة سابقا والمديريات العامة. واعتمد ذلك التنظيم على قانون أدارة الألوية الاول الصادر سنة ١٩٢٧ والمستقاة اكثر مواده من قانون الولايات العثمانية، والتعديلات اللاحقة على قانون ادارة الألوية رقم ١٦ لسنة ١٩٤٥ الذي عدل عدة مرات آنئذ قبل صدور اول تعديل في العهد الجمهوري على قانون ادارة الألوية وذلك في سنة ١٩٥٩ حيث بقيت التقسيمات الأدارية كما كانت عليه سابقا فيما انشأت ادارات محلية في جميع الألوية ومنحت مجالس مستقلة وميزانية لكي تكون نموذج للأداره اللامركزية. وكان الهدف من ذلك رفع مستوى الألوية، لكن هذا التعديلات لم تجد طريقها الى التطبيق عمليا.

الا ان كافة تلك القوانين السابقة الغيت بعد استيلاء حزب البعث على السلطة في تموز ١٩٦٨ بموجب قانون المحافظات رقم ١٥٩ لسنة ١٩٦٩ الذي نص نظريا على تشكيل مجالس محلية وبلدية ومنح صلاحيات واسعة للمحافظين ورؤساء الوحدات الأدارية، لكن هذا القانون بقي حبرا على ورق و لم ينفذ منه شيء سوى الشكل والمسميات مقابل فرض الهيمنة الصارمة للسلطة الحزبية البعثية المركزية، حيث استبدلت صفة الألوية بالمحافظات، واستحدثت اربعة محافظات جديدة هي تكريت والسماوة ودهوك والنجف. كما منح بعض المحافظات اسماء سياسية كالتأميم ومركزها كركوك وصلاح الدين ومركزها تكريت والقادسية ومركزها الديوانية وذي قار ومركزها الناصرية او اسماء تأريخية كنينوى ومركزها الموصل و وبابل مركزها الحلة وواسط مركزها الكوت والأنبار ومركزها الرمادي.

ومن نواحي الهندية قبل التغيير الاداري ذاك، ابوغرق موطن قبائل آل فتلة، واليسار، وطفيل والمراشدة. وناحية الجدول الغربي التي مركزها قرية الرجيبة الواقعة على مسافة اربعة كيلومترات عن مركز القضاء غربا. وهي قرية كبيرة متباعدة البيوت وتأخذ مياهها من جدول "ام طراريد" الصغير المتشعب من جدول بني حسن وينتهي الى اراضي ام نعجة قرب الكوفة. واهم قبائل الرجيبة بنو حسن وكريط والدعوم وجليحة. اما ناحية السدة التي فيها "سدة الهندية" فهي تابعة اداريا الى قضاء المسيب الا انها اقرب الى الهندية جغرافيا ومن كل النواحي الاخرى. واقترن هذا التطور خلال ثلاثينات القرن الماضي بظهور حركات سياسية تمثلت بخلايا وشخصيات وبيوتات يسارية واخرى ليبرالية او قومية او اسلامية تعبيرا عن تبلور صراع اجتماعي جديد عززته بحبوحة اقتصادية بفضل السياحة والزراعة.

كما ظهرت بموازات تلك التيارات طلائع حركة ثقافية وفنية مستفيدة من التفاعل مع افكار ونزعات جديدة قادمة من بغداد ومناطق اخرى بما فيها غير عراقية اذ تسمح بعض المؤشرات بالاعتقاد ان الحركة الوطنية الإيرانية التي كان يرأسها الزعيم الوطني الايراني الدكتور محمد مصدق وحزب تودة اليساري الايراني كانا في السر نشيطين جدا في نهاية الاربعينات بين الزوار الايرانيين القادمين الى كربلاء وان اجتماعات سرية كانت تجري في الهندية بعيدا عن انظار اجهزة الامن العراقية والبريطانية.

الفصل الرابع

طويريج في مهب السياسة

المغفور له الملك فيصل الاول مع السيد هادي القزويني خلال زيارة للهندية عام ١٩٢٥

قضاء قبل ١٨٧٥

كانت طويريج الروضة الداخلية لعاصمة الامبراطورية البابلية لمئات السنين، ومركزا اقتصاديا نشيطا وميناء حيويا لسفر البشر والثقافة في حوض الفرات الاوسط على مر الازمنة بينما كان البالاكوباس او الفرات خطها الدفاعي الاول لمواجهة الهجمات المحتملة انما النادرة القادمة من الصحراء الغربية. فالامبراطورية الفرعونية في مصر لم تخف

بوما اطماعها الكونية بل تمددت مرارا في سوريا وبلاد الشام ولامست التخوم العراقية دون ان تجرأ على التحرش بها. بيد ان الحيثيين مثلوا احيانا تهديدا جسيما على بابل ومحيطها في فترات من ازدهار دولتهم في الاناضول بين القرنين العشرين والثاني عشر قبل الميلاد بعد ان كانوا قد اقتبسوا كل العلوم والفنون البابلية وصاروا واسطة نقلها الى اوربا. والقبائل البدوية القادمة من جزيرة العرب كانت تشكل خطرا موسميا مدمرا للحواضر الرافدينية التي سرعان ما تستقر فيها وتتخلق بآدابها وتتثقف بثقافتها. لكن الخطر العسكري الاكبر على بابل في العقود الاخيرة قبل الميلاد حين تلاشى نجمها العسكري، كان ممثلا بجيوش الامبراطورية الفارسية الغازية من الشرق وبجيوش الامبراطورية الاغريقية الغازية من الغرب.

وكما ذكرنا، فعندما كان الاسكندر وجيشه يعبران دجلة باتجاه بابل قرر ذلك القائد الاسطوري تغيير اتجاهه لدخول بابل من جهة الشمال الى الغرب فعسكر قبل دخولها قرب ساحل الفرات اولا في مكان قد يكون طويريج الحالية، التي هناك ما يشير الى ان الرحالة الالماني كارستن نيبور زارها في رحلته من البصرة الى الحلة في ١٧٦٥، ولقد باتت فيها ليلة الأديبة الفرنسية السيدة جان مكر ومدام ديو لافوا خلال جولتها في منطقة الفرات الاوسط عام ١٨٨١ وكذلك اوليفيه في رحلته الى العراق بين ١٧٩٤ و ١٧٩٦. لكنهم لم يكتبوا معلومات وافية عن الحياة الادارية والاجتماعية في الهندية في فترة كانت من اول واكبر الاقضية العراقية وتابعة لحاكمية الحلة التي تحولت في ١٨٦٩الى سنجق (لواء) ضم خمسة اقضية هي الهندية والنجف والشامية والديوانية والسماوة ووازى سنجق الحلة في الاهمية الاقتصادية والادارية سناجق بغداد والبصرة والموصل آنئذ وكان فيه دار لضرب النقود.

اما في العصر الحديث، فلا توجد وثائق متداولة عن تاريخ الهندية

السياسي قبل القرن الثامن عشر. اذ كانت كغيرها من مدن الفرات الاوسط بل العراق كله مهملة طيلة عمر الدولة العثمانية وحتى بدء تسلل النفوذ البريطاني في العراق. ومع ذلك فان المعلومات التاريخية المتوفرة تؤكد كما لاحظنا ان استقرار العشائر في طويريج في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وتطبيق التشكيلات الادارية الحديثة في الدولة العثمانية بعد عام ١٨٧٢، ادى الى جعل قضاء طويريج من اقضية الدرجة الاولى في العراق وربطه بسنجق كربلاء ومنحه مركزا اداريا تحت اسم "الهندية".

وقد سبق ذلك قيام الادارة العثمانية بتأسيس بلدية في قضاء طويريج قبل ١٨٧٥ وتأسيس مجلس بلدي تألف من اداريين عثمانيين هم كل من سعيد افندي رئيسا، وحسون اغا عضوا، وشوكت اغا عضوا، وذو النون اغا عضوا، وياسين افندي كاتبا. اما المجلس البلدي التالي للسنتين ١٣٠١ و١٣٠٢ هجرية فضم كلا من حسون اغا رئيسا، وعبد اغا عضوا، وشوكت اغا عضوا، ووناس اغا عضوا، وحداد اغا عضوا، وحبيب افندي كاتبا. وقد اعيد انتخاب حسون اغا رئيسا للمجلس البلدي مرة اخرى وكلّ من حاج عيسى افندي عضوا، ومنحل افندي عضوا، وجراح حسن اغا عضوا، ومحمد علي اغا عضوا، ومنحل اغا عضوا، وتوفيق افندي كاتبا وأمين صندوق. (بلديات العراق في العهد العثماني ص ٢١٥).

الهجمات الوهابية على طويريج

تلك التطورات الادارية عكست ايضا تزايد الاهمية السياسية والاستراتيجية للقضاء. اذ بالفعل، ومنذ منتصف القرن الثامن عشر بدأ اسم الهندية يبرز بين حين وآخر في الاحداث السياسية المركزية للعراق. وتفيدنا مصادر عدة ان الهندية تعرضت الى هجمات الوهابيين مرارا بين ١٧٩٠ و١٨٢٠. فقد كانت عشائر بقيادة عبد العزيز بن سعود الوهابية

قد تحولت الى قوة عسكرية مهيمنة في نجد منذ ١٧٧٥. الا انها سرعان ما تحولت الى قوة توسعية طامعة بحوض الفرات خاصة ولا سيما بعد نجاحها باحتلال الاحساء في عام١٧٩٥ . اذ شجعها ذلك على السعي الى مد نفوذها خارج حدود نجد والجزيرة العربية وتحديدا شمالا باتجاه العراق وباديته الغربية الشاسعة.

ورغم ان المماليك سعوا الى التحالف مع قبائل شمر والظفير وعشائر من عنزة والجبور وعملوا على توطينهم في العراق لمواجهة هجمات الوهابيين فيه بعد نزوحها من الجزيرة الى العراق تحت ضغط قوات ابن سعود، لم يلبث الوهابيون ان بدأوا سلسلة هجمات لغزو العراق تمثلت آنئذ بغارات دموية متكررة على لوائي المنتفك (الناصرية) والخزاعل (الديوانية) ثم بمحاصرة النجف مرتين قبل ١٨٠٠.

غزوة وهابية على جنوب العراق

وتلك الهجمات وتكرارها نبه العراقيين الى خطورة المخطط الوهابي عليهم سياسيا ودينيا، كما نبه الوالي العثماني بعد ان صار معروفا ان بعض القوى الاستعمارية الغربية لا سيما بريطانيا العظمى

كانت تغذي ابن سعود وحركته مبكرا وبكل انواع الدعم السياسي والعسكري بهدف ارغام الاتراك على مغادرة العراق. وهو ما كشفته مذكرات الجاسوس البريطاني همفر الذي ارسلته وزارة المستعمرات البريطانية الى الجزيرة العربية في عام ١٧١٠ والتقى بمؤسس الحركة الوهابية عندما كان في البصرة.

ولقد تعاقبت الهجمات الوهابية الدموية وظلت تتوالى على النجف وكربلاء والهندية بشراسة وقوة لاكثر من قرن لاحق قبل هزيمتهم في ١٨١١ اذ اشتد بأسهم الى درجة ان قوة كبيرة من مقاتلي عشائر المنتفك والظفير وشمر وكعب ارسلها الحاكم المملوكي سليمان باشا أخفقت في دحر الوهابيين نهائيا.

وفي الواقع، وبينما غدت هجمات الوهابيين وضغوط عشائر العراق على مدن الفرات الاوسط عائقا كبيرا امام تطورها، فانها سمحت بالمقابل لمدن كالهندية ان تزدهر لتصبح سوقا تجارية كبيرة ومركزا للتبادل في مختلف المجالات لا سيما الاقتصادية والثقافية بسبب طابعها السكاني العربي وعمق وخصوبة اراضيها ووقوعها على نهر الفرات. اذ كانت حقول الرز الرئيسية في العراق قد نشأت على امتداد نهر الهندية وخاصة بين طويريج والكوفة حيث مضارب عشيرتي ال فتلة وبني حسن اللتين كانتا تمارسان الرعي وتربية الحيوانات قبل توطنهما في الهندية خلال القرن التاسع عشر.

مقاومة الهيمنة العثمانية

غير ان قبائل الهندية سرعان ما دخلت في معارك قاسية ضد الحكومة العثمانية هذه المرة بسبب مطالبة الاخيرة بضرائب ثقيلة مقابل الاراضي التي حصلت عليها القبائل تلك. وقد استمرت تلك المعارك لسنوات قبل ان ينتهي النزاع بمبادرة من ولاية مدحت باشا

الذي اصدر في ١٨٦٩ فرماناً اي مرسوماً، وافق فيه على تأجير الاراضي ثم تمليكها للقبائل التي تعيش فيها. لكن خطراً جديداً راح يهدد بساتين واراضي الهندية منذ عام ١٨٨٥ حيث باشرت الدولة العثمانية بقطع مياه الفرات اثر انشاء سد على النهر ما اسفر عن موت معظم الاراضي الزراعية في الهندية وتحول العمران الى اراضي المشخاب والشامية وهجرة جموع من السكان من الهندية الى تلك المناطق. و لم تصلح الاحوال من جديد الا بعد انشاء سدة الهندية التي افتتحت رسمياً في ١٩١٣/١٢/١٢.

ويذكر ستيفن لونكريك في كتابه "اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" (ص ٣٤٩) ان الهندية شهدت ثورات عديدة ضد السلطة العثمانية حدثت احداها في عهد السردار اكرم وامتدت الى كل قبائل الهندية والشامية. وفي عام ١٨٤٩ اعلنت قبائل الهندية الثورة من جديد ردا على قيام الوالي محمد نجيب باشا بتسليط الشيخ وادي شيخ زبيد قائدا عسكريا عليهم يومئذ، وذلك بسبب جبايته الخالية من الرحمة وابتزازه للاموال. وقد سبب قمع هذه الثورة عدة مرات من قبله الا ان استبداله شيخ زبيد بقائد عسكري تركي حل مكانه انهى الثورة اذ اصلح العلاقة ما بين السلطة المحلية وجمهرة قبائل الهندية.

ويذكر الشيخ عزيز جفات الطرفي في مقال له حول عشائر الهندية ايام حكم الاتراك (في مجلة صدى كربلاء ص٢٦ عدد ٢ تاريخ تموز ٢٠٠٦) ان عشائر الهندية كانت في نزاعات مستمرة ضد الحكومة التركية بين ١٨٤١ وحتى ١٩١٤ وهي السنة التي دخل فيها الاحتلال البريطاني للعراق.

والى جانب هذه النزاعات، شهدت فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشوب معارك دامية بين قبائل الهندية القديمة في القضاء

وتلك المتوطنة حديثا فيه، لا سيما بين القبائل النازحة من الديوانية او شط الحلة وفي المقدمة منها ال فتلة وبني مالك (وفروعها بني حسن وبني زريج وال علي وال فرج والعوابد والحميدات وال اسماعيل وال ابراهيم) وكذلك الشليحات والكريّط وبين القبائل الاهوازية لا سيما بني طرف وذلك من اجل حيازة الارض واستغلالها. الا ان تلك النزاعات سرعان ما انتهت بالاتفاق على حصول القبائل النازحة من الديوانية على مناطق واسعة. ولعل السبب الحاسم في ذلك تزامنها مع اقرار معاهدة ارضروم الثانية الموقعة عام ١٨٤٧ ثم نجاح ثورة سكان الاهواز بقيادة الحاج جابر الكعبي في ارغام شاه ايران في ١٨٥٧ على الاعتراف مؤقتا باستقلال الاهواز بعد مقاومة لثورتها استمرت عشر سنوات. فقد اصبح لعشائر الاهواز بموجب المعاهدة الحق بالعودة الى اراضيها الواسعة شرق شط العرب بعد ان آل حكم المحمرة والاهواز الى الشيخ خزعل الكعبي الذي وحد الاقليم تحت قيادته وعقد معاهدة صداقة مع بريطانيا.

وفي عام ١٨٤٢ توجه اليهم محمد نجيب باشا الذي حل محل علي رضا في الولاية ونزل بجيوشه في المسيب وحاول سد شط الهندية لغرض تجفيف هور العوينة ايضا فلم يتمكن من سد الفرات فغير مسعاه ثم توجه الى مدينة كربلاء للقضاء على حركة ابراهيم الزعفراني الذي قاد المقاومة ضد الحكم العثماني في كربلاء وحاصر المدينة واحتلها في يوم ١١ ذي الحجة من نفس السنة.

واشتبكت عشائر الهندية في نزاعات مستمرة ضد الحكومة التركية بين ١٨٤١ وحتى ١٩١٤ وهي السنة التي دخل فيها الاحتلال البريطاني للعراق. وتذكر المصادر والروايات التاريخية ان اهالي الهندية اعلنوا العصيان على الحكومة التركية وحاميتها في البلدة اكثر من مرة، وفي كل مرة كانت عساكر الدولة تقصدهم ثم ترجع خائبة بسبب قدرتهم

على اللجوء سريعا الى هور العوينة الذي يقع في منطقة ابوروية والطرفاية كي يحميهم ويحصنهم ضد القوات العثمانية. وفي عام ١٨٤١ توجه اليهم والي بغداد علي رضا باشا بعد ان سد فرات الهندية من صدره ليسهل على عساكر الدولة الوصول الى مواقع الثوار داخل الهور وفعلا حاربهم واجلاهم عنها فنزلوا في مكان اسمه "الاحمر" وعند وصول العساكر اليهم تمكن الثوار من نصب فخ لهم قتل فيه كثير من العسكر العثماني.

وفي ١٨٤٩، في عهد نجيب باشا، ثارت قبائل الهندية، وكان وادي شيخ زبيد مسلطا عليهم يومئذ، بسبب جبايته القاسية وابتزازه للاموال. وقد سبب قمع هذه الثورة عداوة مرة بين نجيب وزميله العسكري الذي حل مكانه، اخيرا، فوفق بين جمهرة قبائل الهندية (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٤٩) كما حدثت في عهد سردار اكرم ثورات اخرى بين قبائل الهندية والشامية. وافتضح الاهمال العثماني بشكل صارخ عندما انتشر وباء الطاعون في المنطقة في عام ١٨٧٩ وامتد الى الهندية والنجف والحلة وكربلاء.

ومن النزاعات السياسية في طويريج ايضا ما لخصته المس غيرترود بيل في كتابها "فصول من تاريخ العراق القريب" (ترجمة جعفر الخياط) بما يلي: "بعد حزيران ١٩١٥ بدأت الفتن والنزاعات العلنية في كربلاء، ويبدو ان منشأها كان هجوم شنته على البلدة قبيلة بني حسن المجاورة التي كان بينها وبين سكان كربلاء عداء مستديم. اذ أن بني حسن أحرقوا السراي ونهبوه ثم هبت الغوغاء وطردت الحكومة وتولى شيوخ البلدة برئاسة آل كمونة تصريف شؤونهم ووقعت حوادث مماثلة في الكوفة والحلة وطويريج. ففي كل من هذه البلدان أجبر موظفو الحكومة والحامية التركية على الفرار" (ص٣٤).

العاصمة الميدانية لثورة العشرين

عندما اعلنت هدنة الحرب العالمية الاولى في ١٣ تشرين الاول ١٩١٧ بين الدولة العثمانية وبريطانيا اصبح العراق تحت الاحتلال البريطاني المباشر واصبحت المدن العراقية تدار من قبل حكام سياسيين بريطانيين. ولقد عدت مقاطعة قضاء الهندية من اوائل المقاطعات التي ساد فيها نفوذ الادارة البريطانية بعد الحلة. اذ اصبحت الهندية تحت ادارة النقيب تايلر. ولاحكام السيطرة عليها تم تقسيمها الى اربع شعب وهي الجدول الغربي وام روية وابو غرق والكفل. وكانت كل شعبة يديرها مأمور شعبة محلي يتم اختياره من بين وجهاء المنطقة البارزين ومن ذوي النفوذ المؤثر، وكان ملاك دائرته يتألف في اغلب الاحايين من كاتبين وثمانية جباة ضرائب موزعين على دوائر البلدية والواردات والاشغال. (بلديات ص ٢٨٨).

وتجمع مصادر تاريخية رصينة على ان طويريج تحولت خلال ثورة العشرين لتصبح العاصمة الميدانية الفعلية للثورة نظرا لأن موقعها الاستراتيجي على نهر الفرات والمحاط بالمياه غربا وشرقا، منحها بعدا دفاعيا كاد ان يكون حاسما لانتصار الثورة لولا قيام القوات البريطانية باستخدام الطائرات لقصف الثوار. فقد شارك معظم قادة عشائرها في الثورة وخاصة آل فتلة وبني حسن وكريط وجليحة والاكرع وخفاجة والمعامرة والجبور والبو سلطان وزبيد فيما برز من رؤساء الشيوخ شمران وسماوي الجلوب وجعفر الصميدع وعمران وعلوان السعدون وسلمان وشبيب وعبود الموسى. كما انتقلت اليها خلال الثورة معظم عناصر القيادة العسكرية الاساسية للثورة، كما نقل اليها عدد من الاسرى الانكليز.

ومن هنا كان القرار البريطاني الحربي بالتركيز على احتلال طويريج

كهدف استراتيجي للقضاء على الثورة. وهو ما ذكرته في [illegible] الرسمية البريطانية اذ أكدت ان الهندية لم تسقط بيد القوات البريطانية الا بعد معركة عنيفة مع الثوار الذين حاولوا ان يضرموا النار في جسرها القائم على الفرات الا انهم اخفقوا في اتمام العملية، ومع ذلك فهم لم يخسروا المعركة في ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠ الا بعد ان تدخلت الطائرات البريطانية باطلاق نيران رشاشاتها من الجو على الثوار كما قذفت قنابلها على المدينة في قصف شديد راح ضحيته المئات من القتلى. ومع ذلك فقد تكبدت قوات الاحتلال خسائر فادحة اذ اعلنت القوات العسكرية البريطانية ان مجمل خسائرها في معركة طويريج بلغ من القتلى نحو ٤٠ عسكري من افراد وحدتها الآلية ٥٣ (نقلها الحسني نصا عن جريدة العراق عدد ١١٧ بتاريخ ١٨ تشرين اول ١٩٢٠).

ومن الجدير بالذكر هنا ان نشير الى مقدمات العلاقة بين الثورة وابناء الهندية. فلقد كان االعراق تحت الهيمنة العسكرية العثمانية عندما هجمت القوات البريطانية عليه من جهة البحر بجيوشها الجرارة ومعداتها الحربية في أيلول ١٩١٤، فاحتلت اولا الفاو بلا مقاومة من الجيش التركي كما احتلت البصرة وجعلتها قاعدة لاعمالها العسكرية في العراق. وقد دارت بعد ذلك معارك دامية بين الجيشين التركي والبريطاني كان اشدها واخطرها معركة الشعيبة التي هزم فيها الجيش التركي ووقع فيها عدد كبير من جنوده، ما بين قتيل وجريح وأسير ومعهم آلاف المجاهدين العراقيين وبينهم الكثير من ابناء الهندية تحت قيادة قائد اول مجموعة من المجاهدين السيد محمد سعيد الحبوبي.

ورغم نجاح الاتراك في دحر الانكليز في معارك لاحقة واسر معظم جيشهم وقائده الجنرال تاوسند في ١٩١٦ الا ان وصول قوات بريطانية ضخمة بقيادة الجنرال مود في كانون الثاني ١٩١٧ اجبر الاتراك على الانسحاب من العراق لتسقط بغداد صباح ١١ آذار ١٩١٧ بيد جيش

الجنرال مود الذي سرعان ما استولى على سائر المدن العراقية بعد اندحار المقاومة العراقية المحدودة ضده وبذلك بدأ عهد الاستعمار البريطاني للعراق. ولقد كان لهذه الوقائع تأثيرها الغاضب لدى ابناء الهندية الذين قتل منهم الكثير من المجاهدين لا سيما في معركة الشعيبة ومنهم الشيخ علي الحاج حسين الفتلاوي، والد الاديب الحاج محمد حسن الكتبي، بعد ان كانت قوة من عشائر آل فتلة وبني حسن والعوابد قد تحركت لقتال البريطانيين هناك في الشعيبة.

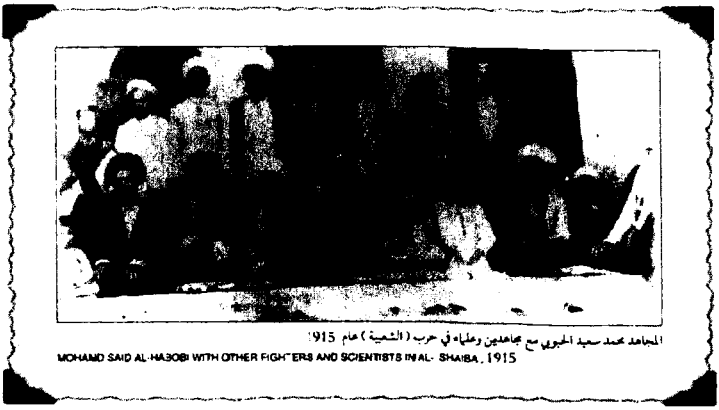

المجاهد محمد سعيد الحبوبي مع مجاهدين وعلماء في حرب (الشعيبة) عام 1915
MOHAMD SAID AL-HABOBI WITH OTHER FIGHTERS AND SCIENTISTS IN AL- SHAIBA, 1915

بعد عامين او ثلاثة، ولما نكث البريطانيون بعهودهم لتحقيق ايّ من مطالب العراقيين بالحرية والاستقلال، وانطلقت الثورة العراقية الكبرى على بريطانيا من الرميثة لتشمل كل الفرات الاوسط وانحاء واسعة من العراق ومنها الهندية التي غدت بين اول المدن المنخرطة في التعبئة الشاملة لتلك الثورة ومركزا حساسا من مراكزها كما كان عديد من مثقفي المدينة بين المعتقلين الذين القى الحاكم الانكليزي الميجر بولي القبض عليهم حين جاءوا لمقابلته لعرض المطالب العراقية فنقلوا إلى الحلة ومنها إلى البصرة ومن هناك إلى جزيرة هنغام وهم الشيخ محمد رضا نجل الشيرازي والشيخ عبد الكريم العواد ومحمد شاه الملقب بالهندي واحمد

القنبر والشيخ هادي كمونة والشيخ كاظم أبوذان والسيد محمد علي الطباطبائي والشيخ عمر والحاج علوان وابراهيم أبي والده وعبد المهدي القنبر والسيد احمد البير وعثمان العلوان والسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني والشيخ محمد حسن ابو المحاسن.

تلى ذلك رفض الحكومة البريطانية المطالب العراقية التي وقعها زعماء ورؤساء العشائر في دار الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، وقدموها إلى الحاكم البريطاني الميجر نور بري وتضمنت ما يلي:

أولاً: أن يمنح العراق استقلالا تاماً لا تشوبه أية شائبة.

ثانياً: أن يتوقف القتال في الرميثة واطرافها حالاً.

ثالثاً: أن يتخلى الحكام السياسيون مع جميع القوات البريطانية عن مراكز الفرات وبلداته إلى بغداد لتدور المفاوضات بين زعماء الأمة العراقية والسلطة البريطانية المحتلة بشأن تقرير مصير العراق بجو هادئ.

رابعاً: أن يطلق سراح الميرزا محمد رضا نجل آية الله الإمام الشيرازي ويفرج عن احرار العراق المسجونين والمنفيين إلى جزيرة هنغام وغيرها كافة بلا استثناء دون قيد أو شرط.

وامام رفض السلطات البريطانية مطالب الزعماء والرؤساء العراقيين تلك ورفضها اطلاق سراح تلك الشخصيات الوطنية، بدت الثورة محتمة لا سيما بعد صدور فتوى الزعيم الديني الإمام محمد تقي الشيرازي بتحريم انتخاب غير المسلم لحكم العراق واخرى نصت على ان "مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والامن ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز عن قبول مطالبهم".

فصدور تلك الفتوى وطبعها بعشرات الألوف من النسخ وزعت في كل مكان من المدن العراقية وفي مقدمتها الهندية، جاء بمثابة قوة معنوية

عظيمة شجعت اولئك الزعماء الوطنيين على الاستعداد لمواجهة القوات البريطانية باستعمال القوة والثورة المسلحة التي لئن انطلقت شرارتها الاولى في الرميثة في ٣٠ حزيران ١٩٢٠، بهجوم الثوار على الوحدة العسكرية البريطانية فيها وقتل بعض افرادها وتحرير شيخ الظوالم الثائر شعلان ابو الجون من الاسر لديها، فان اولى انتصاراتها كثورة كانت حين هجم الثوار على الباخرة الحربية (فاير فلاين) واحرقوها بعد ان انسحابها إلى الكوفة، ثم خاصة في واقعة الرارنجية حين خاض الثوار العراقيون بقيادة كل من الشيخ عبدالواحد الحاج سكر والشيخ سرتيب الفرعون معارك دامية ضد الجيش البريطاني في الرستمية الواقعة على بعد ١٢ كيلومتراً من ناحية الكفل التابعة لقضاء الهندية، وادت إلى تدمير اكثر من ثلثي القوة البريطانية ومعداتها اذ ترك الجيش البريطاني ما يزيد على الألف قتيل واكثرهم من الانكليز وغنم الثوار اثنين وسبعين رشاشاً من نوعي (فيكرس ولويس) ومدفع عيار ١٧ بوند وأرزاقاً واسرى بلغ عددهم ١٦٠ اسيراً منهم ٧٩ بريطانياً والباقون من الجنود الهنود. اي ان معركة الرستمية مونت الثوار بكل ما يحتاجون اليه من عتاد وذخيرة لمدة طويلة مضافاً الى السلاح الذي غنموه من العارضيات. أما خسائرهم فيها فقد بلغت ١٥٨ جريحاً و٨٤ شهيداً. وبعد انتهاء المعركة ارسل الثوار المدفع المذكور إلى الكوفة لتحطيم باخرة فايرفلاي التي كانت قد انسحبت الى شط الكوفة لكن الثوار عادوا وحاصروا القوة البريطانية في الكوفة قبل ان يضربوا الباخرة بقذيفتين الأولى اصابتها والثانية اشعلت فيها النيران فاحرقتها قبل ان تغرق تماما.

وحدثت ملحمة الرستمية في الوقت الذي كان الحاج سماوي الجلوب رئيس ال فتلة في الهندية قد ذهب ليستنهض قبائل الجبور والبو سلطان لتزحف الاولى على الحلة من الجنوب ولتزحف الثانية عليها من الشمال والشرق بعد ان تعين القبيلتان ساعة حركتيهما وتتفقا على الزمن

لهذه الحركة. وان يزحف افراد من قبيلة اليسار من الشمال فيعيثوا بالخط الحديدي فلا يتمكن القطار من حمل المؤن الى الحلة وفي الوقت نفسه يكون الثوار قد زحفوا عليها من الكفل.

ومنذ الايام الاولى لثورة العشرين نشطت قبائل بني حسن في الهندية بجرأة نادرة فيها بقيادة الشيخ عمران الحاج سعدون الذي كان في ١٩١٥ وكيلا لقائمقام قضاء الهندية، فاحتلت المدينة اولا بدون مقاومة ثم احتلت ناحية سدة الهندية دون مقاومة ايضا مهاجمة في الوقت نفسه الحامية البريطانية في مدينة الحلة. كما تولت قبيلة بني حسن بقيادة الشيخ علوان الحاج سعدون حصار الحامية الانكليزية في الكوفة ومنع الطعام عنها حتى اضطرارها على الاستسلام حيث استعمل ثوار القبيلة مختلف الاساليب البارعة لحمل الحامية المذكورة على التسليم فقد تفننوا في حفر الخنادق وثقب الجدران للوصول اليها ومنع الطعام عنها ولولا اكياس الدقيق والعقاقير التي كانت ترميها الطيارات عليها، لماتت جوعاً ولفتكت الامراض بها فتكاً ذريعاً .

ويقول المؤرخ العراقي الراحل عبد الرزاق الحسني في كتابه "الثورة العراقية الكبرى" (ص٩٠): "وعندما اعتزم المجتهد محمد تقي الحائري الشيرازي على مغادرة العراق احتجاجا على امتهان السلطة المحتلة لكرامات الوطنيين وضغطها على حريات الأهلين، عقدت الحكومة البريطانية معاهدة ود وصداقة مع وثوق الدولة رئيس الوزارة الايرانية فرأت أن تطيب نفوس العلماء الأعلام في العراق لما لهم من منزلة سامية في نفوس الايرانيين خاصة فأمرت بارجاع المبعدين الكربلائيين الى وطنهم فعادوا في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول من سنة ١٣٣٨ هجرية (١٩٢٠ ميلادية). وفي الوقت نفسه فانها سحبت الميجر بوفل من حاكمية كربلاء مستبدلة اياه بالمرزه محمد خان بهادر الايراني التبعية كما ربطت كربلاء بالهندية بعد أن كانت تابعة للحلة."

ويضيف: "وعندما حدثت مجزرة رتل مانجستر حيث قتل فيها كثير من الجنود البريطانيين قدر عددهم الثوار بأكثر من ٨٠٠ بين قتيل وجريح وأسير، فيما قدر عددهم الجنرال هالدن بعشرين قتيلا وستين جريحا و٣١٨ مفقودا مع عدد كبير من عجلات النقل والخيل والبغال. وقد اسر الثوار من المفقودين ١٦٠ جنديا بينهم ٧٩ انكليزي ومن بقي من الهنود. هذه الملحمة حدثت في الوقت الذي كان الحاج سماوي الجلوب رئيس آل فتلة في الهندية كان قد ذهب ليستنهض قبائل الجبور وألبو سلطان لتزحف الأولى على الحلة من الجنوب ولتزحف الثانية عليها من الشمال والشرق (ص١٤).

بيد ان قبائل آل فتلة سلكت طريقا طويلا فتأخرت عن الميعاد المقرر للهجوم بساعة ونصف الساعة بينما هجمت القوة الأولى المتكونة من بني حسن وكريط وآل يسار في فجر النهار المذكور من ناحية الجسر فتصدت لها حامية مخفر الجسر وتراشق الطرفان اطلاق النار. ووجدت هذه القبائل نفسها تحارب في جهة واحدة ومع ذلك لم تفتر عزيمتها غير انها تكبدت خسائر جسيمة في الأنفس وكان معظمهم من فخذ آل كريدي من بني حسن ومن جماعة الشيخ عمران الحاج سعدون بالذات. وكانت فجيعة هؤلاء الجماعة بأبنائها بحيث لم يبق بيت لم يلبس السواد حزنا ولكن هذه القوة توغلت واحتلت جانبا من المدينة الى ان اسقط في ايديها وخذلت لكثرة قتلاها بحيث لم تستطع أن تسحب معها جثة واحدة وانسحبت معتقدة ان القوى الأخرى قد خانتها و لم تقم بالهجوم المتفق عليه. لكن تلك القوى هجمت في الواقع انما بعد الهجوم المتقدم ذكره بنحو ساعتين وتوغل ثوارها في محلة الجامعين، وركن من كان في مخفر المسلخ من قوة السلطة الى الفرار بعد ان اوقعت بها القبائل خسائر ملموسة.

إلا ان القوات البريطانية قامت بهجوم معاكس بعد انضمام مفرزة

من الأفواج الهندية بقيادة الكولونيل أبط اليها فأجبرت القبائل على الخروج من البلدة فخلت الحلة من الثوار قبيل الظهر، إلا ان قبيلة طفيل لم تنسحب وظلت تحارب وحدها فأبلت في القتال بلاء حسنا ونالت بعدها شهرة كبيرة في الحروب وكان لرئيسها نايف الغيدان كل الفضل في هذه البطولة."

اما الهجوم البريطاني العام فركز على احتلال طويريج وجرى الهجوم كما يلي (في ص١٩٠):

" بعد أن ركنت سلطات الاحتلال البريطانية الى الطائرات والمصفحات في مواجهة الثوار فكانت الأولى تمطر الثوار وابلا من قنابلها جوا والثانية تكتسح جموعهم اكتساحا برا، في وقت لم يكن في أيدي هؤلاء الثوار غير البنادق والسيوف والمكاوير وغير بعض المدافع الرشاشة التي استولوا عليها في بعض جبهات القتال. ولولا العتاد الذي غنموه في واقعتي الرستمية والعارضيات لما كتب لهم النجاح. وهكذا فان احتلال طويريج جاء بعد ان أدركت الحكومة المحتلة تلك الحقائق المرة وبعد ان أخمدت نار الثورة في لواء ديالى وبعد أن ارجعت الفلوجة الى حضيرة الطاعة واستردت هيت في لواء الدليم، اذ رأت ان الوقت قد حان للقيام بهجوم عام على جبهات القتال في الفرات الأوسط، فعهدت الى الفرقتين المؤللتين ٥٣ و٥٥ بهذه المهمة فتحركت الفرقة ٥٣ على طويريج يوم الثلاثاء ١٢ تشرين الأول ١٩٢٠ واشتبك معها الثوار في معركة حامية اظهروا فيها بطولة نادرة حتى اضطرارهم على الانسحاب عن ثلاثة خطوط متتابعة بعد اخفاق محاولتهم في اضرام النار في الجسر القائم على الفرات اذ نجحت القوات البريطانية في أحباط المحاولة التي هدفت الى ايقاف تقدمها على المدينة.

وعن بطولة الثوار في تلك المعركة، كتب المؤرخ الروسي كوتلوف في كتابه الشهير عن "ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق" ما يلي: "بينما كانت تدور المعارك الضارية في منطقة الحلة، هاجمت وحدات من الفرقة الثالثة والخمسين مدينة طويريج الواقعة على الفرات مواجهة الثوار المتحصنين في الخنادق. وتحت غطاء من قصف المدفعية قامت باجتياز ثلاثة خطوط دفاعية للثوار محصنة بالخنادق والحواجز. على ان القتال استمر متأججا في تلك المناطق. فقد دافع الثوار بشجاعة عن كل شارع وكل بيت، و لم يجلوا عن طويريج الا بعد ان جاءت نيران المدافع البريطانية على الجزء الاكبر من المدينة" (ص ١٤٩).

وتذكر المس بيل "ان انتكاسة رتل مانجستر كانت انتكاسة مؤلمة حيث ان ثلاث سرايا من فوج مانجستر اضطرت الى التقهقر في وجه هجوم كبدهم أخذ نصف عددهم أسرى فيما عرف بموقعة الرارنجية. وجرت احداثها كما يلي: بدأت الجيوش البريطانية في العراق باستعادة المبادرة منذ ان اخذت قوات اضافية تتوارد على العراق للقضاء على ثورة العشرين بعد ان امر وزير الحربية البريطاني تشرشل بارسال عدة فرق عسكرية مدججة بالاسلحة والمعدات الآلية وبعضها سحب من الهند لتعزيز القوات البريطانية في العراق بعد تكبدها خسائر فادحة خلال ثورة العشرين التي كانت قد تجاوز عمرها الخمسة اشهر في آب ١٩٢٠. كما ارسل تشرشل ولأول مرة طائرات حربية ووعد بارسال المزيد منها للمشاركة في قمع الثوار العراقيين الذين بدأت تنفذ ذخائرهم واموالهم دون الحصول على أي مساعدات خارجية من احد. اذ وفي خطة هدفت الى تقليل الخسائر في صفوف قواتها لجأت القيادة البريطانية الى تكثيف استخدام القصف الجوي ضد مواقع الثوار واكتساح المناطق الثائرة بالمصفحات والعربات الآلية التي راحت تهاجم على شكل طوابير زاحفة برغم ان اسلحة الثوار

كانت مقتصرة على البنادق والسيوف والمكاوير وعدد صغير من مدافع رشاشة استولوا عليها في بعض جبهات القتال ضد الانجليز لا سيما في معركتي الرستمية والعارضيات. (ص٤٥٠).

وفي هذه الاثناء أقدمت قبائل بني حسن من سكنة الهندية التابعة للشيخ عمران الحاج سعدون على احتلال قصبة طويريج بدون مقاومة فقد كان على رأس قوة الشرطة او الشبانة اذ ذاك موظف من اسرة الشيخ عمران وكان موضع ثقة حكومة الاحتلال فقلب هذا بإشارة من شيخه ظهر المجن للانجليز وسلم ما لدية من سلاح وعتاد الى افراد قبيلته فابقاه الشيخ عمران على وظيفته في طويريج يدير الشرطة ويحافظ على الامن وكان ذلك في ١١ ذي القعدة و٢٧ تموز ١٩٢٠.

وفي الوقت نفسه هاجمت قبائل اخرى مدينة الحلة في الليلتين ٢٧ و٢٨ تموز هجمات خفيفة لجس النبض فردتها الحامية بيسر فاتجهت قبائل الحاج سماوي الجلوب وعبادي حسين وعمران الحاج سعدون فاحتلت سدة الهندية دون مقاومة. وفي ليلة ١٤ ذي القعدة و ٣٠ تموز اجتمعت القبائل في "قلعة الحاج شكري بك" الواقعة في مدينة الخواص على مسافة عشرة كيلومترات من الحلة الفيحاء وقررت القيام بهجوم على المدينة في فجر اليوم المذكور بقصد الاستيلاء عليها وطرد الانكليز منها على ان يتقدم الثوار من الطرق التي عينوها وفقا للترتيبات التالية:

– يتقدم بنو حسن من اتباع عمران الحاج سعدون مع عشائر الكريط وآل يسار من الجبهة الغربية فيخترقون الخط المؤدية الى الجسر.

– تزحف عشائر ال فتلة المقيمة في الهندية وآل ابراهيم وطفيل والمراشدة من الجهة المسماة الآن بباب النجف.

– تهجم قبائل الشامية وخفاجة ومن والاها على المدينة من الطريق المعروف ببني ايوب والواقعة جنوبها.

[illegible] الجموع في الوقت المعين تريد الحلة، [illegible] والثالثة طريقا طويلا فتأخرتا عن الميعاد المقرر [illegible] ونصف الساعة. وبالفعل هجمت القوة الاولى، [illegible] وتريط وال يسار في فجر النهار المذكور من ناحية الجسر فتصدت لها حامية مخفر الجسر وتراشق الطرفان اطلاق النار ووجدت هذه القبائل نفسها تحارب في جبهة واحدة ومع ذلك لم تفتر عزيمتها غير انها تكبدت خسائر جسيمة في الانفس وكان معظمها من فخذ آل كريدي من بني حسن ومن جماعة الشيخ عمران الحاج سعدون بالذات وكانت فجيعة هؤلاء الجماعة بابنائها بحيث لم يبق بيت لم يلبس السواد حزنا ولكن هذه الجماعة توغلت واحتلت جانبا من المدينة الى ان اسقط في ايديها وخذلت لكثرة قتلاها بحيث لم تستطع ان تسحب معها جثة واحدة فانسحبت معتقدة ان القوتين الباقيتين قد خانتا فلم تقوما بالهجوم المتفق عليه. اما القوتان المذكورتان فقد هجمتا ولكن بعد الهجوم المتقدم ذكره بنحو ساعتين وتوغل الثوار في محلة الجامعين وركن من كان في مخفر المصلخ من قوة السلطة البريطانية الى الفرار.

وكما لاحظ الدكتور عبد الجليل الطاهر في كتابه "العشائر العراقية" (ص١٧) فان المدينة كانت في ذلك الحين تبدو وكأنها مركز لعشيرة بني حسن وظل شيخها وكيلا للحكومة البريطانية حتى قدوم معاون الحاكم السياسي تايللور في كانون الاول. اذ كانت الهندية تنقسم الى اربع شعب هي: الجرجية وابوغرق والكفل على الضفة اليسرى من شط الهندية والجدول الغربي (قناة بني حسن) على الضفة اليمنى. ويرسم الطاهر خريطة مختصرة عن توزيع العشائر وشيوخها في المنطقة بين شط الحلة والهندية على الشكل التالي:

اليسار: رشيد بن عنيزان وسلمان الكعيد،

الفتلة: سماوي الجلوب وشمران الجلوب،

خفاجة: ابراهيم السماوي،

الجبور: مراد الخليل -عناد الطراد- فرحان بن دبي- قوجان العزيز،

وعلى ضفة شط الهندية اليمنى واليسرى، بني حسن: عمران الحاج سعدون وعلوان الحاج سعدون.

وكان القرار البريطاني الحربي للقضاء على الثورة العراقية الكبرى تلك ركز على احتلال طويريج التي تحولت الى عاصمة ميدانية للثورة نظرا لأن موقعها المحاط بالمياه منحها بعدا دفاعيا كان سيكون حاسما لولا الطائرات. فقد انتقلت اليها بعض العناصر الاساسية في القيادة العسكرية للثورة كما نقل اليها عدد من الاسرى الانكليز. وكما ذكر عبد الرزاق الحسني، فان القوات البريطانية ادركت بعد ان اخمدت الثورة في ديالى وبعد ان ارجعت الفلوجة واستردت هيت في لواء الدليم ان الوقت حان للقيام بهجوم عام على جبهات القتال في الفرات الاوسط فعهدت الى وحدتيها الآليتين ٥٣ و٥٥ بهذه المهمة فتحركت الوحدة ٥٣ على طويريج في يوم الثلاثاء ٢٨ محرم سنة ١٣٣٩ الموافق ١٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٠ واشتبك مع الثوار في معركة حامية حتى اجلاهم عن ثلاثة خطوط متتابعة وحاول الاخيرون ان يضرموا النار في جسر طويريج القائم على الفرات فاحبط الجند محاولتهم. ويصف البلاغ البريطاني ذلك بقوله:

"وسارت جنود اخرى الى طويريج لأنشاء الحصون في الطريق فصادفت مقاومة واقتحمت جنود غيرها ثلاثة خطوط دفاع وخط قناة الجورجية تسندها في قتالها المدافع والرشاشات فاستولت عليها

وطاردت السيارات والجنود الثوار الى جسر طويريج الذي كانت تضطرم النار فيه فعبرت جنودنا النهر واصلحت الجسر تحت النيران التي كانت تطلق عليها من الدور على الضفة اليمنى ثم استولت على هذه الدور وقد اشتركت الطيارات مع الجنود واطلقت رشاشاتها ورمت قنابلها على الثوار حينما كانوا يعبرون جسر طويريج منهزمين وبلدة طويريج هذه هي احد مراكز الثورة، وبلغ مجموع خسائرنا نحو ٤٠ ويظن ان الثوار منوا بخسائر كبيرة" (نقلها الحسني نصا عن جريدة العراق عدد ١١٧ بتاريخ ١٨تشرين اول ١٩٢٠).

ويضيف المصدر البريطاني نفسه ان اعضاء الوحدة الآلية ٥٣ واصلوا "اعمالهم التأديبية حول طويريج وفي المناطق التي في غرب الفرات وطهروها من العدو الى مسافة ٩ اميال شمالا وجنوبا والى ٦ اميال شرقا وغربا وبقيت الحال على هذا المنوال زهاء عشرين يوما". (جريدة العراق العدد ١١٩ التاريخ ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٠). اذ وبينما كان اللواء ٥٣ مشتبكا في معركة حامية مع ثوار الهندية، كان قسم من الرتل ٥٣ يتجه من الحلة الى المحاويل في العاشر من تشرين الاول ١٩٢٠ فاحتلها بيسر ثم تقدم نحو «خان الحصوة» فسيطر عليها واتجه نحو قصبة المسيب فتصدى له الثوار بشدة ولكنه تغلب على تصديهم واستولى على القصبة ثم تقدم نحو سدة الهندية التي باحتلالها يكون الجيش البريطاني قد امتلك «مفتاح الفرات الاوسط» واصبح انتصاره العسكري ممكنا، الامر الذي اجبر الثوار في المناطق المحيطة على السعي لانهاء القتال تدريجيا. وايضا، وفي نفس يوم هجوم اللواء ٥٣ على ثوار الهندية، تحرك اللواء ٥٥ لاحتلال الكفل تعضده المدافع فنجح بذلك بعد معركة استغرقت عدة ساعات وانتهت بانسحاب الثوار بعد اقتناعهم بعدم امكانهم الصمود امام قوات تفوقهم عدة وعدداً.

سرب من نوع الطائرات البريطانية التي قصفت طويريج خلال ثورة العشرين

وفي الواقع، ان القيادة العسكرية البريطانية لم تكتف بالجيش الزاحف على الكفل بل أمدته بقوات اضافية كبيرة وقد اسقط الثوار احدى الطائرات واسروا ملاحيها ولكن ما لبث اللواء ٥٥ ان واصل تقدمه نحو الكفل فاحتلها، ونصب جسراً لعبور الفرات الى الضفة الاخرى، فحاول الثوار تخريب الجسر واحراقه، إلا أن الجيش البريطاني دحرهم، وعبر النهر فهدم البيوت وفتك بالابرياء وسبى النساء فانسحبت القبائل الى جهة جسر الكوفة، تاركة وراءها بعض الخسائر الطفيفة فلحق الجيش بها.

ولقد ابلى الثوار في الدفاع عنها بلاء مجيداً ولكن دون جدوى لان الحامية المحصورة في أسواق الجسر اشتركت في القتال. وكي ينجح الثوار في منع اللواء ٥٥ من احتلال الكوفة بيسر فقد استمروا في اطلاق النار على الفرسان الكشافة وعلى الطيارات بشدة قبل ان يشتبك الطرفان في معركة حامية قامت الطائرات البريطانية خلالها بامطار المدن والقصبات بوابل من قنابلها الفتاكة وبعضها يستخدم للمرة الاولى في التاريخ، حتى الجأتهم الى الانسحاب من مواضعهم الدفاعية ليدخل الجيش البريطاني الكوفة في ١٨ تشرين الاول ١٩٢٠، ويفرج عن الحامية المحصورة. اما

مجموع الخسائر البريطانية في الحصار، فبلغ ٢٢ قتيلاً ومائة جريح بينهم ضابطان بريطانيان وثلاثة مفقودين و ٢٧ اسيراً .على ان مناوشات الجيش البريطاني الذي استقر في ضواحي الكوفة ظلت مستمرة مدة شهر كما ابدت ذلك البلاغات البريطانية.

ورغم انتهاء مقاومة قوات الثوار في المناطق المحيطة، فان القبائل الثائرة ظلت في ارياف الهندية صامدة وقاتلت حتى الرمق الاخير ضد البريطانيين الغزاة الذين عمدوا الى تكثيف القصف الجوي عليها.

الا ان الموقف من اعلان الحكومة البريطانية عن عزل الكولونيل ولسن الحاكم الملكي في العراق وتعيين السير برسي كوكس خلفاً له ليمثل الحكومة البريطانية في العراق بصفته مندوباً سامياً ومهمته تأسيس حكومة عربية في العراق وتنفيذ مطاليب العراقيين، اثار خلافا بين رؤساء قبائل بني حسن لا سيما بعد وصول السير برسي كوكس إلى بغداد وكان أول عمل له فيها إصدار بيان نشره في الصحف ووزعه بواسطة الطائرات على المدن المقدسة كربلاء والنجف والكاظمية وكذلك الهندية ومناطق الثورة في الجنوب والعشائر العراقية.

كما يبدو ان نزاعا حصل بين رؤساء قبائل بني حسن في الهندية ما دفع قائمقام طويريج السيد علي العفصان بكتابة رسالة إلى رئيس قبائل ال فتلة الشيخ عبد الواحد الحاج سكر يستنجد به نص على "انه حدث انشقاق عند عشائر بني حسن فيما بينهم وأرجوك تحضر حالاً أنت بذاتك لحل هذا الخلاف وعند مجيئك سافصل لك ما سمعته عن أسباب هذا الخلاف والسلام".

نصب للشيخ عبد الواحد ال سكر في النجف الاشرف

وعند استلام ذلك الكتاب توجه الشيخ عبد الواحد الحاج سكر من الوند إلى طويريج لحل الخلاف وقد استفاد المحتل البريطاني من الخلاف الناشب واحتل جيش الانكليز مدينة طويريج. وحين وصل خبر سقوط مدينة طويريج إلى المجاهدين في الوند انسحب الثوار من الوند إلى مدينة كربلاء للدفاع عنها وتكون قاعدتهم السليمانية التي تبعد عن كربلاء خمسة أميال وعن طويريج عشرة اميال ولكن مجلس قيادة الثورة في كربلاء شكك في إمكانية انتصار الثوار واراد أن يتفاوض مع قوات العدو لعدم اراقة دماء الأبرياء من الناس العزل إلا أن محاولة المفاوضات لم تنجح.

وبعد أن تقابل الفريقان ونشبت حرب طاحنة بين اهالي كربلاء وقوات العدو كانت النتيجة سقوط كربلاء ودخل جيش الإنكليز مدينة كربلاء واطلقت نيران المدافع والرشاشات على الناس والبيوت والمحلات عشوائياً واشتركت الطائرات التي كانت ترافق الجيش بالقاء قنابلها على

المدينة وظل الجيش يطلق النار وقبل وصول الجيش إلى كربلاء تمكن كثير من الثوار من الخروج من المدينة ثم قامت القوات الإنكليزية بتطويق كربلاء من جهاتها الأربع بالمدافع والاسلاك الشائكة.

وهكذا اعلنت كربلاء الاستسلام للقوات الغازية دون اية مقاومة حالما احتل اللواء ٥٣ مدينة الهندية في يوم الثلاثاء ١٢ تشرين الاول ١٩٢٠، اذ قررت حكومتها المؤقتة ارسال وفد يعرض على مقر اللواء ٥٣ طاعة المدينة ويعلن استعدادها للتسليم، ويقبل بشروط الاستسلام القاسية التي فرضتها سلطات الاحتلال . ويبدو ان الحكومة الايرانية لعبت دورا في هذا الامر. وعلى العموم، ففِي ١٩١٩ كانت السلطات البريطانية قد قامت بجملة من الاجراءات الادارية لتخفيف ضغطها عن اهالي كربلاء بعدما عقدت الحكومة البريطانية معاهدة ود وصداقة مع وثوق الدولة رئيس الوزارة الايرانية.

ولا بد هنا من التذكير بالدور الخالد للشاعر الوطني خيري الهنداوي في التحريض على الثورة ضد الاحتلال البريطاني. اذ يروي عنه المؤرخ عبد الرزاق الحسني ما يلي: في العشرين من حزيران ١٩٢٠، عقد اجتماع وطني حافل في الجامع الكبير في الحلة والقى كل من الشيخ عبد الحسين ورؤوف الامين والسيد عبد السلام خطبا مهيجة فيه كما تلي كتاب الامام الحائري الذي كان وجهه الى العراقيين كافة للمطالبة بحقوقهم ودعم مساعي مندوبيهم للظفر باستقلال العراق كذلك تليت البيعة بالمناداة بالامير عبد الله ملكا على العراق. وقد هال نائب الحاكم السياسي في الحلة هذا الاجتماع فاوفد مساعده السيد خيري الهنداوي الى الجامع المذكور ليهدئ الافكار ويعمل على ازالة التوتر ويظهر ان السيد المومى اليه نسي مقامه الرسمي ونسي صفته الحكومية - وقيل انه كان ثملا- فالقى خطابا حماسيا الهب مشاعر المجتمعين وزاد النار ضراما فما كان من نائب الحاكم الا ان اعتقله واعتقل معه كلا من

السادة: رؤوف الامين، السيد عبد السلام، السيد احمد السالم، ملا حمادي الحسن، جبار الحساني. وارسلهم مخفورين بالقطار الى البصره فابعدوا الى هنجام في الخليج العربي ولبثوا هنالك خمسة اشهر توفي خلالها ثالثهم السيد احمد السالم" (الحسني ١٠٤) ويؤكد الحسني في تعليق على الحادثة ان "رواية الخمر روجها الانجليز ضده والرجل كان خطيبا كما تثبت الرواية نفسها وشاعرا وطنيا. ولا يعرف اذا كان من الهندية نفسها".

وفي الحقيقة ان خيري الهنداوي (١٨٨٥ – ١٩٥٧) ولد في ناحية صيدا من لواء ديالى وتنقل مع أبيه في صغره إلى أن استقر ببغداد ثم جند في الجيش العثماني أيام الحرب العامة الاولى. وعندما دخل الانكليز بغداد عين في وظيفة ادارية في الحلة سنة ١٩١٧. وحين بدأت ثورة العشرين انضم إليها. ثم اعتقل ونفي إلى هنغام مكبلا بالحديد لنحو تسعة أشهر. وبعد أطلاق سراحه منها عين مديرا لناحية الجربوعية (١٩٢١) فقائمقام لقضاء الشامية (١٩٢٢) فمتصرفا للواء العمارة (١٩٣٣) وتقلب في وظائف أخرى وأحيل إلى التقاعد (١٩٤٩) فلزم داره بالاعظمية. ومات ببغداد ودفن في النجف حسب وصيته. واصدر له الدكتور يوسف عز الدين مجموعة من شعره في كتاب عنه بعنوان (خيري الهنداوي، حياته وشعره).

ونذكر قوله في احدى قصائده من ديوانه المنشور:

أيـن العدالة ايها النـــواب كذب الرجاء وسدت الابواب

كنـا نظن بكم ننال حقوقنا فتقطعت فيكم بنا الاسبـاب

بعد تأسيس الدولة العراقية

واضافة الى دورها الحاسم في الثورة الوطنية الكبرى في ١٩٢٠، لم تغب الهندية عن لعب دور اساسي في تأسيس الدولة العراقية الحديثة، أي بعد اعلان الامير فيصل الاول ملكا على العراق ووصوله الى بغداد في ٢٩ حزيران ١٩٢٠ قبل مناداته ملكا على البلاد في ١١ تموز ١٩٢٠ وتتويجه في ٢٣ آب وما تلاه من تشكيل حكومة مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني في ٢٥ تشرين اول ١٩٢٠ تكونت من ثمانية وزراء عاملين واثني عشر وزيرا بلا وزارة أحدهم من مدينة الهندية هو السيد هادي مرزا صالح القزويني الذي اعتذر عن الاشتراك في الوزارة. وقيل ان الملك عرض على هادي القزويني رئاسة الوزراء فاشترط عليه ان يكون المنصب مدى الحياة فلم يجلب قناعة الامير به.

الا ان هذه الرواية تبدو ضعيفة جدا. ونعتقد ان رفضه الوزارة كان على الارجح بسبب فتوى رجال الدين الذين حرموا العمل مع قوات الاحتلال البريطاني او لكون منصب "وزير بلا وزارة" بدا رشوة مقنعة لذلك اعتذر عن القبول بمثل تلك الوظائف بعض الذين يحترمون مكانتهم الاجتماعية والمهنية، أمثال حسن الباجه جي وحمدي بابان وهادي القزويني في حين قبل الآخرون بثلاثة آلاف "ربية" ولقب "معالي الوزير" الذي لم تتجاوز صلاحياته باب مكتبه. وقد يكون سبب رفض السيد هادي القزويني القبول بتعيينه وزيرا في الحكومة العراقية الاولى ان المندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس هو الذي اصدر القرار بتشكيلها في وقت كانت احداث الثورة مستمرة ضد الاحتلال البريطاني.

ومهما يكن الامر، وكما في مناطق اخرى، نظمت السلطات البريطانية في الهندية عملية تصويت شكلية على حكومة عبد الرحمن

النقيب الاولى في احتفال تخللته الهوسات والقصائد بعد ان دعت رؤساء العشائر ورجال الدين والوجهاء الى حضوره في سراي الحكومة بمشاركة القائمقام جميل العزاوي.

ومع ذلك، حرص الملك فيصل الاول على زيارة الهندية شخصيا ذلك العام للحصول على تأييدها كأول ملك على الدولة العراقية الحديثة. وفي ٢٨ حزيران وصل فيصل المدينة وكان برفقته جعفر أبو التمن وجعفر العسكري ومتصرف كربلاء آنذاك حميد خان ومكث فيها خمس ساعات في ضيافة السيد هادي القزويني نفسه قبل ان يتوجه نحو الحلة في اطار جولة بدأت بالبصرة التي زارها في ٢٣ حزيران ومنها اتجه في اليوم الثاني الى الحلة بالقطار قبل ان يذهب بالسيارات الى النجف حيث بات ليلة ومنها وصل الى كربلاء في ٢٧ حزيران ١٩٢١ وبقي يوما واحدا.

ولقد قدمت حكومة النقيب الاولى تلك، وكذلك الثانية التي شكلها بعد تتويج فيصل الاول ملكا على العراق، الوعود تلو الوعود بالاهتمام بالسكان الذين كانوا قد تعرضوا الى خسائر بشرية ومادية فادحة في مقاومة الاحتلالين العثماني ثم البريطاني. الا انها كانت مجرد وعود فارغة اذ ظل سكان الهندية عرضة للاضطهاد والتهجير والاهمال طويلا من قبل السلطات الرسمية والادارية المتتالية ولحد الآن، دون ان يردعهم ذلك من مواصلة مسيرة انسانية سخية بعطائها ولامعة بحيويتها ودورها في بناء التاريخ العراقي الحديث والمعاصر.

فمن جهة رفض سكان الهندية معاهدة ١٩٢٢ ووقع معظم مثقفيها ورؤساء عشائرها على مذكرات رسمية بعثت الى الملك فيصل الاول والمندوب السامي البريطاني نصت على رفض استمرار الانتداب البريطاني على العراق والاصرار على اسقاط اي وزارة توقع على المعاهدة

تلك، وطالبوا بانهاء التدخل البريطاني في شؤون الحكومة وادارة الدولة العراقية كما قاطعوا انتخابات المجلس التأسيسي الذي كان من المقرر ان يصادق على المعاهدة. بل اعلنوا استمرار مقاطعتهم للانتخابات ما لم تستجب الحكومة الى مطالبهم بازالة المظاهر الاستعمارية والغاء الاحكام العرفية واطلاق حرية الصحافة والاجتماعات واعادة المنفيين السياسيين والسماح للاحزاب السياسية المعطلة بمعاودة نشاطها بحرية تامة.

بعد ولادة الدولة العراقية والسماح بتشكيل الاحزاب في ١٩٢٢، انضم الكثير من مثقفي الهندية مبكرا الى الاحزاب السياسية وخاصة المعارضة للانتداب البريطاني وكان ابرزها في البداية الحزب الوطني العراقي برئاسة جعفر ابو التمن وحزب النهضة برئاسة امين الجرجفجي الداعيان الى استقلال العراق التام ووحدته في ظل حكومة ملكية دستورية والناشطان بشكل متميز قبل اقدام الحكومة على تعطيل عملهما السياسي ونفي قادتهما الى جزيرة هنكام في الخليج وفصل كبار اعضائهما من وظائفهم اثر احداث ذكرى تتويج الملك فيصل الاول في ٢٣ آب ١٩٢٢، وكان ذلك انتقاما من العراقيين المصرين على المطالبة بنيل بلادهم للأستقلال الكامل واقامة حكومة وطنية منتخبة من خلال اجراء الاستفتاء العام رافضين البيان الذي كانت اصدرته سلطة الانتداب البريطاني والذي اعلن بموجبه منع واقامة المظاهرات والاحتفالات التي قد تهيج الشعور الوطني والقومي لدى السكان.

بعد تعطيل الحزبين المذكورين، اتجه مثقفو الهندية الى الانتماء الى حزب الشعب الذي اسسه في ١٩٢٥ ياسين الهاشمي ومحمد رضا الشبيبي وكامل الجادرجي والذي اصبح حزب الاخاء الوطني في ١٩٣٠. وقد شهدت الهندية سلسلة اجتماعات ومظاهرات منها للمطالبة باعادة الموصل الى العراق او لادانة وعد بلفور والتنديد

بالمجاز الصهيونية وبسياسة بريطانيا في فلسطين وتنظيم حملات جمع المساعدات المالية للشعب الفلسطيني وكذلك للاحتجاج على زيارة الصهيوني البريطاني الفريد موند الى العراق. ويقدم لنا الدكتور فلاح محمود خضر البياتي مادة مهمة عن الحياة السياسية في الهندية في كتابه القيم "مدينة الهندية (طويريج) في العهد الملكي ١٩٢١-١٩٥٨" الصادر مؤخرا و لم نطلع للاسف الا على جزئه الثاني فقط وسريعا لحد الآن.

وقد برز في الهندية في تلك الفترة من الشخصيات السياسية المعارضة وخاصة اليسارية العشرات منهم عبد الكريم ابو سنة وعبد المحسن وداعة واحمد السعدون وهاشم الخطيب وعبد الحمادي وعباس الغضبان وحسين المغير وغيرهم.

ويبدو ان الازمة الاقتصادية العالمية لما بين الحربين العالميتين اثرت سلبا على العراق لارتباطه اقتصاديا ببريطانيا آنذاك. اذ انعكست الازمة على الهندية بتوقف عمل مجارش الشلب وتسريح العمال المشتغلين بها اثر تراجع عمل السفن المرتبطة بتجارة الحبوب والتمور التي تنقل المنتجات بين مدن العراق مما ادى الى افلاس عدد من تجارها وزيادة في عدد العاطلين والخاسرين لاسباب مختلفة كان من بينها قيام المؤسسات الاجنبية بتسريح موظفيها من ابناء الهندية يضاف لها اقدام الحكومة على الغاء دار المعلمين العالية وارسال طلابها الى بيوتهم رغما عنهم. وهذا يفسر ظاهرة الوجود المبكر للحركة النقابية في المدينة. وردا على تقاعس الحكومة واجراءاتها القاسية لا سيما قانون رسم البلديات لعام ١٩٣١ اعلنت الهندية الاضراب العام في تموز من العام نفسه.

من جانبها، شاركت بعض عشائر الهندية ومنها آل فتلة ورئيسها سماوي الجلوب والبو موسى ورئيسها شبيب الموسى عشائر الفرات

الاوسط الاخرى في الانتفاضة التي قادها في ١٩٣٥ الرئيس العام لآل فتلة في الفرات الاوسط الشيخ عبد الواحد سكر ضد وزارة علي جودت الايوبي ثم ضد وزارة ياسين الهاشمي الذي سارع الى قصف المناطق الثائرة بقسوة متناهية. وقد سادت حالة التوتر في الهندية لفترة طويلة بعدها.

من جانبها، كانت الافكار الماركسية قد وجدت مبكرا صدى لها في المنطقة والعراق عموما منذ انتصار ثورة اكتوبر الروسية في ١٩١٧. وكانت البداية عبر احتكاك بعض الجنود العراقيين في الجيش العثماني ومنهم من ابناء الهندية مع الجنود الروس في جبهات القتال في البلقان اذ كان العثمانيون اعلنوا النفير العام في بداية الحرب العالمية الأولى وارسلوا آلاف المجندين العراقيين في ما يعرف برحلات "السفر بر" وهي رحلات برية طويلة لا عودة منها في الغالب إلى جبهة قفقاسيا في شرق الأناضول لمجابهة الجيش الروسي القيصري المتحالف مع بريطانيا وفرنسا ضد ألمانيا والدولة العثمانية.

فبعد سنوات قليلة ظهر في الهندية عدد متزايد من المثقفين المتأثرين بالافكار الماركسية التي كانت تنشرها المطبوعات اليسارية العراقية وابرزها مجلة يسارية اصدرها في عام ١٩٢٤ الكاتب العراقي حسين الرحال باسم (الصحيفة). ولعل ابرزهم عباس غضبان والحاج عبد وحسين المغير وعبد الكريم ابو سنه وعبد المحسن الحاج وداعة واحمد السعدون وعبد حمادي.

وبعد تأسيس الحزب الشيوعي العراقي في ٣١ آذار ١٩٣٤ ظهرت في الهندية اكثر من خلية ماركسية من اهم الناشطين فيها حسين اسطه كريم ومصطفى مرتضى وعبد الامير الشيخ علي ولاحقا غني عبد الهادي وفخري عبد الهادي ويونس السماوي ومهدي عبد الكريم

الذي وصل الى عضوية المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي وتوفي عام ١٩٨٦. بل اصبحت المدينة قاعدة كبيرة للتنظيم خلال سنوات الحرب العالمية الثانية اذ زارها لعقد اجتماعات فيها عدد من قادة الحزب ومنهم داود الصايغ الذي انشق عن زعيم الحزب فهد واسس رابطة الشيوعيين العراقيين في ١٩٤٤، كما زارها لاغراض التنظيم حسين الرضوي (سلام عادل) الذي سيصبح السكرتير العام للحزب الشيوعي العراقي منذ ١٩٥٤ حتى تاريخ جريمة اعدامه من قبل النظام البعثي في ١٩٦٣.

ولم يقتصر انتماء ابناء الهندية على الاحزاب المذكورة اعلاه بل وجدنا بعضهم في المقدمة بين قادة الاحزاب العراقية الكبيرة الاخرى على المستوى المحلي وحتى الوطني احيانا. من بينهم مثلا علي القزويني الذي كان عضوا في الهيئة المؤسسة لحزب الاستقلال برئاسة محمد مهدي كبة ومعتمدا عن لواء الحلة في قيادة الحزب الذي انتمى له ايضا في الهندية الشاعر الكبير ابراهيم الشيخ حسون الهنداوي وعلي حريجة. ومن بينهم ايضا فاهم غازي الجنابي القيادي في الحزب الوطني الديمقراطي الذي كان ناشطا في الهندية من خلال عدد من المثقفين وقد زارها زعيم الحزب كامل الجادرجي في ١٩٤٨.

وذات الامر بالنسبة لحزب البعث الذي ولد في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فقد انتمى اليه في الهندية اعضاء احتلوا لاحقا مواقع قيادية في الحزب على المستوى الوطني لا سيما السيد حميد خلخال علوان عضو القيادة القطرية لحزب البعث ووزير العمل والشؤون الاجتماعية، في أول وزارة تشكلت بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ الا انه اعتزل العمل الحزبي والسياسي بعد ذلك العام، وعبد الرزاق حجيل الجنابي وفوزي فرمان وراضي حسن سلمان وربما سعدون حمادي ايضا.

وكانت تلك الاحزاب قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، تتعاون في ما بينها وتتظاهر معا في الغالب ضد حكومة نوري السعيد خاصة كما ضد الوجود البريطاني في العراق، وايضا من اجل فلسطين وضد العدوان الثلاثي على مصر حيث شهدت المدينة مظاهرات احتجاجية كبيرة قمعت غالبا وتعرض المشاركون فيها الى الاعتقال. الا انها ستدخل في صراعات دموية لاحقا مما الحق بالمدينة اضرارا جسيمة على كافة المستويات لا سيما عندما وقع العراق تحت براثن الطغمة البعثية.

اما القوى السياسية الاسلامية التي بدأ تشكلها التنظيمي في الهندية تدريجيا بعد ١٩٦٠ على الارجح وفي مقدمتها حزب الدعوة الذي تركز نشاطه السياسي على مقارعة النظام البعثي فقد برز من ابناء الهندية بين قادتها على المستوى الوطني الشيخ العلامة عبد الامير الساعدي الذي اغتاله النظام البعثي في ١٩٨٠ وكذلك الشيخ الشيخ حسين معن الذي توفي تحت التعذيب. الا ان الامين العام لحزب الدعوة الحالي رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي هو الشخصية الاهم والاشهر بينهم.

وقد توالى على ادارة قضاء الهندية خلال القرنين الاخيرين عشرات القائمقامين نذكر منهم في الفترة العثمانية عبد الرحمن بك في ١٨٦٩ وراقم الذي بعثته الحكومة العثمانية اليها عام ١٩٠٤، وناجي السويدي في ١٩١٤. اما بعد قيام الدولة العراقية الحديثة، فنذكر محمد أديب الذي اصبح قائمقاما لقضاء الهندية عقب تشكيل الحكومة العراقية الاولى في ١٩٢١، وبعده جميل العزاوي ثم جميل الوسواسي في ١٩٣٦ فيما غدا سعدي جلال قائمقاما لها في زمن تولي الفريق نور الدين محمود رئاسة الحكومة العراقية العسكرية بعد انتفاضة ١٩٥٢. ولعل آخر قائمقام للهندية في العهد الملكي كان السيد رضا جبر شقيق رئيس الوزراء العراقي الراحل صالح جبر.

اما اشهر رئيس لبلدية الهندية فكان السيد احمد القزويني الذي تولى هذا المنصب سنة ١٩٥٤ واستمر فيه لنحو عشرين سنة. وفي عهده تم إنشاء الجسر الحديدي للمدينة بدلا من الجسر الخشبي العائم ليربط جانبيها، كما لعب دورا في إنشاء مشروع الأسالة الذي غطى المدينة، والقرى المجاورة بالماء، وبقي في عمله حتى أواسط السبعينات الميلادية.

وبداهة، فان ايفاء هذا الموضوع حقه من البحث يحتاج الى كتاب كبير وجديد حول تاريخ المدينة حصرا نظرا الى ضخامة الاحداث التي عرفتها واهمية الشخصيات الفكرية والادبية والعلمية والسياسية التي انجبتها ونظرا، من جانب آخر، الى وفرة المعلومات والمصادر الرسمية والموثقة التي يمكن الاعتماد عليها او الرجوع اليها. واذ نأمل ان نضطلع بانجاز هذا العمل يوما اذا سمحت لنا ظروفنا الصعبة به، فاننا نأمل ايضا بثقة ان يتصدى له كتاب آخرون من ابناء الهندية او سواهم. ولقد عرفنا بسرور عظيم ان دراسات عديدة نشرت عن جوانب من هذا الموضوع الا ان بعضها لم يصل الينا لحد الآن للاسف لتقصير منا ربما رغم اهتمامنا بالحصول عليها في اقرب وقت للاستفادة منها.

مرتع حيوي للصراعات

وعلى العموم، نأمل في كتاب آخر حول الهندية ان نركز على الاحوال السياسية للمدينة ووجوهها ومظاهرها لنحو قرن من الزمن أي منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى الآن وهي حقبة، لا سيما منذ الحرب العالمية الثانية، تميزت بظهور الهندية كمرتع حيوي لصراعات سياسية كبرى انغمست فيها الحركات السياسية والايديولوجية دون استثناء، يسارية واسلامية وقومية، وقدم بعضها للعراق العديد من القادة والشخصيات اللامعة فيما دفعت الهندية ثمنا فادحا من الشهداء والمضطهدين في مقارعة نظام البعث بين ١٩٦٣ و٢٠٠٣ سواء في

اتحاد الشعب

المجلس العرفي العسكري الاول يواصل النظر في حوادث الهندية

في صبيحة يوم الرابع عشر من هذا شهر واصل المجلس العرفي العسكري الاول النظر في قضية المتهمين بحوادث الهندية والد حضر محامو الدفاع وهم المحامية رأسمة زينل والمحاميان عبد الحليم القيم وحميد النهر ، وقد استمعت المحكمة الى شهادات شهود الاثبات فقال عباس شفيق ان القامصفان طلب النفرق وقد ذهب في طريقه فرأى رئاس ابو الكك يطلق النار على رشيد عبد الرضا وشاهد جابر عوض يطلق النار على اموري وقد طلب المدعي العام العسكري على شهادته بان تأنافسا موجودا بين الافادته هذه ، وافادته امام هيئة التحقيق إذ قال انه كان جالسا في مقهى حاج عثون

وقال الشاهد عبد عون عطية انه ذهب بعد التفرق الى مقهى حاج عثون وكان اخوه كفران هناك ، وقد هجم جماعة على المقهى فاصابوا اخاه . وقال انه سأل اخاه قبل وفاته عن اسماء الذين قتلوه فقال ابو منير . ولم يستطع الشاهد تشخيص المتهمين ذلك . لعدم معرفته بهم شكليا بالقول ان اخاه اخبره باسماء المتهمين .

وسأله المدعي العام : هل قال لك اخوك ان محمود حاج لطيف كان مع المهمين قتل ذلك ، ولكن المدعي العام

المجلس العرفي العسكري الاول يواصل النظر في حوادث الهندية

بقية المنشور في عدد امس

افاد الشاهد عباس متين انه سمع بعد الهرجان اطلاق قوة كبيرة من الشرطة ولكن مع الرصاص وقد هرب خلوف مسلحين وبالكاكيد ما اتذكر اليدة

الرئيس ـ هل شاهدت والدك مشتين

الشاهد ـ لا ، ولم اعرف به والتقينا بالجمامة

الرئيس ـ لماذا كانوا يطلقون يالي النار ؟

الشاهد ـ لا اعلم

الرئيس ـ لماذا جئتم الى المديرية ؟

الشاهد ـ لان اكو مهرجان او وطنية

وافاد الشاهد شاكر جوده تالا : بعد ان انتهى المهرجان كنا قاصدين الى قريتنا وشاهدنا خليل وشاكر يطلقون النار علينا .

الرئيس ـ هل كنتم وحدكم في الشارع ؟

الشاهد ـ لا هناك جماعة كثيرين

الرئيس ـ هل كانوا يقصدون قتلكم ؟

الشاهد ـ كلا ، وليس بيننا معاداة

الرئيس ـ هل سمعت وشاهدت اطلاق نار في هذا الشارع ؟

الشاهد ـ نعم سيدي كان اطلاق الرصاص بكثرة ولم يعرف من اية جهة .

وافاد الشاهد فهد حمود قائلا كنا نريد الذهاب الى قريتنا وشاهدنا شاكر وخليل يطلقون النار

الرئيس ـ هل اصيب احد من جراء ذلك ؟

الشاهد ـ كلا

الرئيس ـ لماذا كانوا يطلقون النار ؟

الشاهد ـ لا اعلم

الرئيس ـ هل كان هرجكم في الشارع ؟

الشاهد ـ لا يمس نحن

وقال الشاهد حسن حبيب شاهدت جماعة مسلحين ويريدون ان يطلقوا النار على الشرطة

الرئيس ـ لماذا يطلقون النار على الشرطة ؟

الشاهد ـ لا اعلم

الرئيس ـ هل كانت الشرطة على علم بالاشخاص الذين يحملون السلاح ؟

الشاهد ـ نعم

الرئيس هل كانت هناك قوة كبيرة من الشرطة وهل هم مسلحون

الشاهد ـ نعم كانت هناك الرصاص وقد حضرت الدفاع ولكن من وبالكاكيد ما اتذكر

الرئيس ـ كيف شخص

الشاهد الجماهير تحمل السلاح ولم يتأكد من ان الشرطة تحمل السلاح ؟

الشاهد ـ والله راح من الناس

وقال الشاهد جبر جبوك جاسم شاهدت شاكر وخليل يطلقون النار

الرئيس ـ وهل مسلحون هم يطلق الرصاص ؟

الشاهد ـ نعم كان اطلاق الرصاص كثير

المدعي العسكري ـ لم يذكر الشاهد في افادته امام هيئة التحقيق اسم خليل

الشاهد ـ والله ما اتذكر

الرئيس ـ هل اطلقت عليك النار ؟

الشاهد ـ كلا ، ولكن سمعت الناس يقولون اكو شيوعية

وقال الشاهد عبد علي حسن ذهبت الى المبنى وصاح شاهدت كبوش ولم يكن يحمل سلاحا وبعد قليل أصبت داخل المقهى

المدعي العسكري ـ لقد ذكر في افادته امام هيئة التحقيق ان كبوش كان يحمل مسدسا وهو الذي اصابه والان يقول انه لم يشاهده يحمل مسدس

الشاهد ـ والله انه ما شاهدته يحمل مسدس ولكن جماعة كانوا أحنه شعته كبوش يحمل مسدس وكانوا هو الذي فريك اويدوح اشهد عليه اما انا لم اشاهده يحمل مسدس

وقال الشاهد عبد لرزاق عبد الامير : كنت في الدار وقد شاهدت المهرجان من سطح الدار كما شاهدت اطلاق الرصاص

الرئيس ـ لماذا لم تخرج من الدار

الشاهد ـ لاني كنت اعلم قبل الحادثة بيوم ان راح تصير حادثة

الرئيس ـ هل لفت الشرطة بالطلاق الرصاص

الشاهد ـ نعم واطلقوا الرصاص من الرشاشات

ثم اجلت الجلسة الى يوم الاحد الصادف ٢٠ من الشهر الجاري لسماع افادات عدد آخر

بيد أن النكبة الحقيقية التي حلت بالمدينة خلال النظام البائد بدأت مع تعرض سكانها بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ الى حملات تهجير همجية واسعة ومتتالية ذهب ضحيتها الالاف من الابرياء من المواطنين العراقيين وبعضهم من ذوي الاصول الكردية او الايرانية وبينهم مئات قتلوا في السجون والمعتقلات ومنهم بعض اعز اصدقاء ورفاق الطفولة والاقرباء

فيما اجبرت عوائلهم واطفالهم على السير مشيا على الاقدام الى ايران في ظروف عدوانية قاسية بعد ان صودرت ممتلكاتهم وحتى حاجياتهم الشخصية وملابسهم احيانا. ولقد تعرضت عائلتنا الى نكبة كبيرة هي ذاتها باعدام ما يزيد على عشرة من ابنائها خلال ١٩٨١– ١٩٨٢ بتهمة معارضة النظام من بينهم خمسة ابناء لخالة (وهم مهدي وسامر ورضوان ومصدق وموفق صالح باقر محمد علي) وثلاثة ابناء لخال (وهم عدنان وعبد الزهرة ومحمد جواد ابناء فاضل جواد محمد علي) وابنان لخال آخر (وهم علي وطالب ابناء صاحب جواد محمد علي) اضافة الى (جاسم ناصر جاسم) وهو الابن الاكبر لقريب آخر كان يلقب بالصيدلاني ناصر الاعمى (اذ كان فاقد العينين فعلا الا انه بائع ادوية جوال ماهر يعرف الادوية المرتبة في حقيبته عبر احجامها وملمسها كما يستطيع ان يحدد الدواء المضاد لصداع الرأس او الانفلونزا او اللدغات المختلفة ويقيس بكفه نبض وحرارة المريض).

ومع ذلك عادت الهندية لتكون من جديد في ١٩٩١ احدى اقوى بؤر الانتفاضة الشعبية الشعبانية ضد النظام البعثي مما كلفها المزيد من التضحيات الفادحة وعشرات الشهداء. وبلا شك فان الاحزاب والمنظمات السياسية الاسلامية كانت الاكثر قوة خلال السنوات العشر الاخيرة بينما كان الشيوعيون الاقوى في منتصف القرن الماضي لا سيما في المدينة فيما كان نفوذ البعثيين ملموسا في الريف.

بعد انكسار الانتفاضة الشعبانية تعرضت الهندية الى المزيد من التنكيل والتدمير والاضطهاد. وقد استمر هذا الحال حتى الاحتلال الامريكي للمدينة في الاول من نيسان ٢٠٠٣. ولطويريج مع الاحتلال الامريكي للعراق مواجهات قصيرة ومثيرة في آن. بدأت مع ما اذيع او اشيع عن قيام فلاح اسمه منقاش في الهندية من قرية أم الهوى باسقاط طائرة مروحية اميركية متطورة من طراز «اباتشي» ببندقيته الشخصية

مقاوما غزو بلاده حينما شاهدها تحلق منخفضة وعلى بعد نحو ٤٠٠ متر عن بيته مع سرب من طائرات امريكية كانت تهاجم القوات العراقية المتمركزة في المنطقة وتطلق النار عشوائيا في تلك اللحظة الليلية.

الفلاح منقاش واسقاط طائرة «اباتشي» اميركية ببندقيته في طويريج

لم يكن منقاش لوحده بل راح كل سكان المنطقة يطلقون النار على الطائرات الغازية من بنادقهم ورشاشاتهم. ولا احد يعرف كيف اصيبت الطائرة ومن اصابها. لكن الحكومة اعلنت ان منقاش هو البطل الذي اسقط الطائرة فصوروه معها قبل ان يجلبوا رافعة وشاحنة كبيرة لنقلها الى مكان آخر. ثم زعموا وسط ضجة كبيرة انهم منحوا منقاش جائزة نقدية كبيرة والرجل ينفي. وبعد سقوط نظام صدام وانتهاء الحرب لم يأت من القوات الاميركية الغازية أحد لمعاينة مكان سقوط الطائرة او للتحقيق في الحادث كما تعمل أي قوات احتلال في العادة.

نجحت القوات الامريكية في احتلال الهندية في الاول من نيسان

٢٠٠٣، بعد معارك عنيفة خاضتها الكتائب المدرعة الأمريكية مع الجيش العراقي، بعد ان كانت قد أحاطت بالمدينة وأكملت حصارها عليها من جميع الاتجاهات في ذلك اليوم التاسع من بدئها بغزو العراق.

القوات الامريكية تحتل جسر الهندية الاستراتيجي خلال غزوها للعراق في ٢٠٠٣

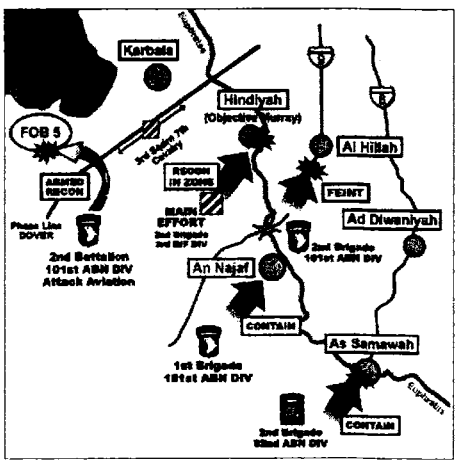

اهمية معركة الهندية في الخطة الامريكية لغزو العراق

ومثل احتلال هذه المدينة مرحلة رئيسية حاسمة ضمن الخطة الامريكية النهائية للالتفاف عسكريا على بغداد، بعد ان كانت قوات الجحفل الرئيسي للفرقة الميكانيكية الثالثة (نحو ٩٠٠٠٠ – ١٠٠٠٠٠ جندي)، توزعت قبلئذ غرب نهر الفرات على امتداد المسافة بين السماوة والنجف فيما تركز جهدها الرئيسي، مدعومة بسلاح الفرسان، على شن الهجوم على قضاء الهندية للسيطرة عليه حيث تمركزت وحدات من فرقة نبوخذ نصر التابعة للحرس الجمهوري.

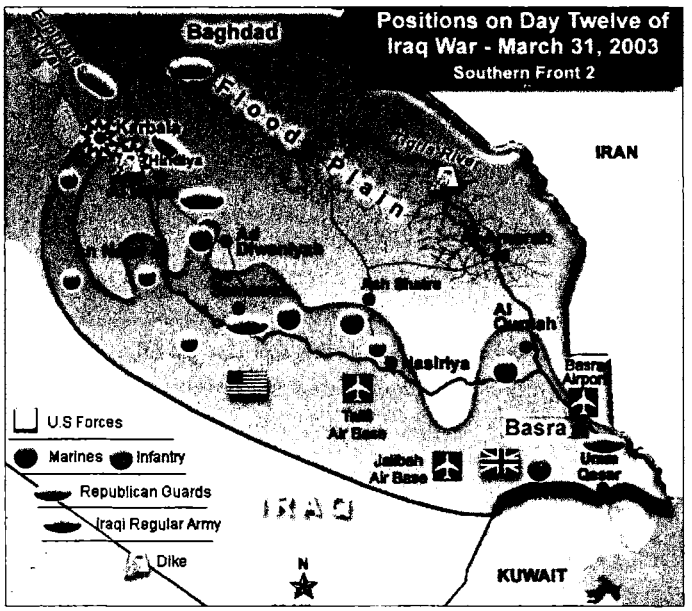

معركة الهندية في اليوم الثاني عشر ٢٠٠٣/٣/٣١ من الغزو الامريكي للعراق

وفي البدء اظهرت القوات العراقية مقاومة شديدة منعت القوات الغازية من احتلال الهندية التي كان يدافع عنها لواء المشاة ٢٢/ حرس جمهوري، بعد تعزيزه بالفوج الثالث من القوات الخاصة لتقوية دفاعاته

وبفوج آخر من لواء القوات الخاصة ٢٦ من فيلق الله اكبر/ حرس جمهوري.

الا ان القوات الغازية سرعان ما نجحت في السيطرة على جسر الهندية الاستراتيجي في منتصف ليل الأول من نيسان وقيل سقطت إحدى دباباتها المهاجمة في نهر الفرات.

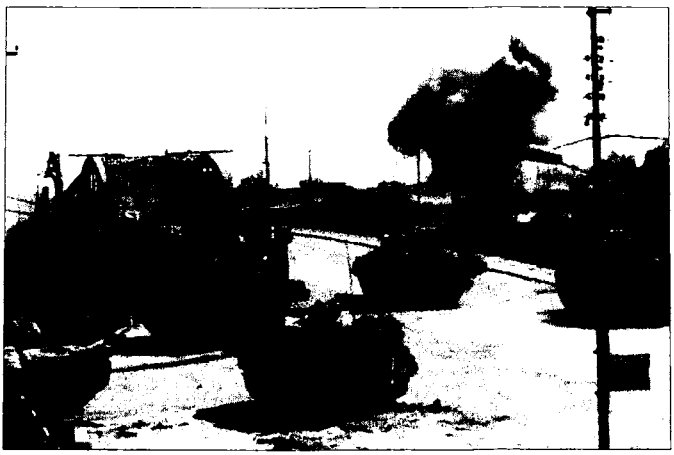

القوات االمريكية تحتل مدينة الهندية وجسرها الاستراتيجي في ٢٠٠٣

وقد اعترفت القيادة الأمريكية ممثلة بقائد الحملة تومي فرانكس أن قواتها اشتبكت مع القوات العراقية في معارك ضارية حول جسر على نهر الفرات في منطقة الهندية الواقعة على بعد ٨٠ كيلومترا جنوب بغداد، مؤكدة انها أسرت ضباطا وجنودا من الجيش العراقي بينهم ضابط كبير قال انه من فرقة نبوخذ نصر من الحرس الجمهوري، الامر الذي فاجأ القادة الأمريكيين لأنهم كانوا يعتقدون أن تلك الفرقة كانت متمركزة في الشمال.

وقال الكولونيل جون بيبودي من الفرقة الثالثة مشاة الأمريكية أن

جندياً أمريكياً واحداً أصيب بجروح، وان العراقيين تكبدوا عشرات الخسائر البشرية، فيما هرب فدائيو صدام وجيش القدس وميليشيا البعث من ساحة المواجهة تماما حال بدء القصف المدفعي والجوي الامريكي المكثف على المدينة ومناطقها المحيطة.

الفصل الخامس

هنداويون وطويرجاويون

كان أبي صديقا، في اربعينيات القرن الماضي، لعدد من رجال بيت القزويني في الهندية وهو بيت فقه وسياسة يدعمه موقع اجتماعي رفيع قادم من مكانة هذه الاسرة الدينية العريقة والمتفتحة التي اشتهر من رموزها في الهندية آنذاك العلامة السيد صالح القزويني وابنه العالم والاديب السيد هادي القزويني (١٩٢٧-١٨٥٨) وهو شخصية سياسية على المستوى الوطني وقد زاره الملك فيصل الاول، عندما وصل الى العراق متوجا على عرشه للتو وعين وزيرا في اول حكومة عراقية بعد ١٩٢٠ الا انه رفض الدخول في حكومة تحت اشراف الاحتلال البريطاني كما ذكرنا.

واتذكر علاقة الصداقة الخاصة التي ربطت بين والدي حتى وفاته في صيف ١٩٥٦ مع الكاتب والشاعر الراحل السيد احمد القزويني رئيس بلدية الهندية، واجواء المجالس الثقافية والاجتماعية الحيوية لكن المتكتمة التي كان يتردد عليها، وما ينضح من معلومات لاحقة اوحت باعجاب تلك الاوساط بافكار الملك الراحل غازي الاول وتأييدها لحركة مايس ١٩٤١ التي كاد ابن الهندية الاشهر عبد الامير طويرجاوي ان يعدم شنقا بسببها، ثم لحزب "الاستقلال" الذي كان يرأسه الزعيم السياسي الراحل مهدي كبة وربما ارتباط بعضهم به في مطلع شبابه. وكان حزب الاستقلال مع الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي من الجماعات السياسية النشيطة في الهندية وعموم منطقة الفرات الأوسط

في نهاية اربعينات القرن الماضي لا سيما بعد إجازة الأحزاب السياسية في العراق عام ١٩٤٧، اذ كانت مدينة طويريج في تلك السنوات مزدهرة بالمجالس الثقافية والسياسية الى جانب الدينية.

كما اتذكر حرص والدي العفوي والصامت لكن الدؤوب للمشاركة سنويا في ركضة طويريج في كربلاء مع نفر من اصدقائه ممهدين لها بزيارات سريعة لمواكب آل عنبر وآل حجي عبود والقزويني وضريح ابو هاشم ثم بالسير على الاقدام من الهندية الى كربلاء مساء يوم التاسع من محرم او فجر يوم عاشوراء في كل عام هجري. وحال استراحتهم في مرقد الامام الحسين لبرهة من الوقت بعد الوصول الى المدينة الدينية يؤدون الصلاة في ضريحه المقدس ثم في ضريح اخيه الامام العباس وبقية الشهداء قبل ان ينتقلوا مشيا الى قنطرة السلام الواقعة على حافة نهر صغير يخترق البساتين منتظرين انطلاق أذان الظهر بصوت سيد هادي القزويني القادم من الهندية فيصلون خلفه قبل الاندفاع مع الحشد المهرول الى شارع المخيم حيث يظهر جمع من فرسان يمتطون ظهور الخيل ومرتدين ملابس حمراء يمثلون الجيش الاموي بقيادة سيئي الصيت عبيد الله بن زياد وابن سعد وحاملين مشاعل ملتهبة يضرمون النار بها في خيام اهل البيت وسط نحيب حشد عاجز عن فعل أي شيء سوى البكاء قبل ان ينتهي المشهد بانصراف الحشد فرادى كل الى غايته في طقس عبادي يكرره ابناء الهندية سنويا منذ قرنين ونصف تشبهاً ببني عامر من عشائر بني أسد الذين يروى انهم وصلوا الى كربلاء لنصرة الحسين عصر اليوم الثاني عشر من شهر محرم سنة ٦١ هـ ، أي بعد انتهاء واقعة الطف ومغادرة الجيش الاموي. اذ لم تكن وراء المشاركة في ركضة طويريج آنذاك اي دوافع ايديولوجية او سياسية او منفعية انما للتعبير عن الايمان والتمسك بالقيم العليا التي جسدتها شهادة الإمام الحسين وبمبادئ ثورته على الطغيان كما عكستها تضحياته السامية في ذلك اليوم العصيب.

بعد نحو خمس سنوات من وفاة والدي وكنتيجة شبه مباشرة لها، كانت سيارة خشبية الجسد من كل الجهات تنقل عائلتنا المعدمة الصغيرة، ودون امتعة تذكر، الى العاصمة بغداد للاقامة الدائمة فيها. رحمة جواد كانت الأم والقائد والحارس الهمام الوحيد لتلك المغامرة الوجودية بكل معنى الكلمة والتي خلقت لنا عبرها مستقبلا جديدا رسمته وحدها وإن بنزيف دم القلب وبجهد يديها القلقتين كعينيها ابدا. لكنها، وكما فعل يعقوب عزيز من قبل، ظلت تنبض ليل نهار بحب الهندية التي ولدت فيها هي ايضا، والتي، ومنذ لحظة فراقها تلك، غدت تتبدى كما لو انها بيتنا الاول والبعيد في آن. يعقوب ورحمة أورثانا الصبر والعفة والكبرياء جنبا الى جنب الفرح بالانتماء الى الهندية امنا الرؤوم في ارتضاع كل الخصال الاخرى وفقط الخصال. هذا الشعور ظل يتراكم ويتراكم مع دورة الزمن واتساع المعرفة وتقاطع المصادر والاجتهادات حولها كما لو ان لهذه المدينة الحميمة وشائج حبّ خفية مع الحياة.

ذلك الانتماء العفوي سيوغل في التجريد والتخيل مع مرور السنوات، في بغداد اولا وطننا الجديد والأحب، ثم في العوالم البعيدة كباريس ولندن وبيروت وغيرها التي وجدتها تتقاذفنا برأفة واحتضان احيانا. وبعيدا عنها ستتراءى الهندية كما لو انها بستان بابل الاجمل. قد يكون في هذه التوصيف نصيب للشعر وللمخيلة. لكن حكايات والديّ والنصوص النادرة المتوفرة تغذيه بالشعر حقا انما ايضا بواقعية لا تبدو مفرطة في الوهم او الخيال.

فبعض شخصيات وصور الهندية ظلت اسماؤها تقطن زوايا الذاكرة، حيث ظلت كريمة الذكر عوائل وشخصيات ومنها على سبيل الذكر بيوتات جدي الحاج جواد، واخيه الحاج باقر، ومحمد حسن الكتبي، وعبد الامير الشماع، وكاظم فيروز، وحسن الحاج ابراهيم، وكمال هاشم بكر، وكريم الكردي، ومهدي العذاري، والحاج رضا، والظاهر،

والياسري، والدبوني، وبصيلة، وكمونه، ومندل، والحضيري، والحاج رحيم، وحسين حريجة، وكنوش، وكاظم وحسون جمعة، وجوادي، وضيف الله، والغضبان، والحاج عبود، والمواشي، والعوران، وشعبون، وحنتوش، وعطوان، وكشاش، والحاج لطيف، وجميل عوازة، والزهاوي، وعبد الامير، وناصر ومنصور دون نسيان الاخوال ستار ورزاق وفاضل وكاظم وحمزة وصاحب وعلي وغيرهم الكثير.

وفي سنوات المنفى في الخارج قبل ٢٠٠٣ ظلت الهندية حاضرة كأنها مدينة المدن، ولو كمحض فكرة في الذهن تعززها بين حين وحين، في الحياة اليومية والادبية والسياسية، اسماء كريمة ومبدعة احدها لصديقي علي القزويني الذي شاركنا في فرنسا عام ١٩٧٦ باطلاق مجلة "اصوات"، اهم مجلة عراقية في منفى واجرأ مجلة معارضة للنظام البعثي قبل توقفها في ١٩٩٥، واخرى لخطيب المنبر الحسيني والسياسي المثابر عضو مجلس النواب الشيخ محمد كاظم فيروز الهنداوي الذي التقيت به للمرة الاولى عام ١٩٩٥ في السيدة زينب قرب دمشق، وثالثة للاعلامية والناشطة اليسارية العصامية سهام الظاهر في لندن، ورابعة للكاتب واستاذ اللغة الروسية مكي المواشي الذي نقل الى العربية رواية "فاديم" لمؤلفها الشهير م. ي. ليرمنتف – وصدرت في ١٩٩١. فلقد ظل اطراء الهندية لديهم ولدينا مسك أي حديث مهما تشعب او قصر وكل بطريقته الخاصة. وهو حال سأجده من جديد لكن في عراق ما بعد ٢٠٠٣ هذه المرة رغم ان غلبة الريف على المدنية الى جانب الاهمال وعشوائيات لا تحصى جعلت الحياة فيها شبه منفى لابنائها اذا ظلت على هذه الحال. ولن أنس ابدا كيف كانت تنبسط عند ذكر اسم الهندية، وعلى كل امتداداتها الحميمة، اسارير الفريق الركن الراحل عزيز الياسري، الذي راح ضحية تفجير ارهابي جبان بفندق بغدادي في ٢٠٠٧/٦/٢٥ وذهب ضحيته ايضا الشاعر والاعلامي رحيم المالكي.

فلقد عرفت الهندية [illegible] عدد من كبار المفكرين والعلماء [illegible] فيما كان لبعض القادة السياسيين الذين [illegible] العراقي المعاصر. وهذا على الرغم من ان المدينة ما كان [illegible] الحرب العالمية الثانية الا عددا محدودا من بيوت العلم ومدرسة [illegible] واحدة هي المدرسة الابتدائية الاولى التي تخرجت منها عام ١٩٥٩ وتقع في محلة الكص وتأسست عام ١٩١٧، اضيفت اليها بعيد تلك الحرب مدرسة اخرى في محلة (محرم عيشة) وسميت بالمدرسة الابتدائية الثانية. فثانوية الهندية لم تتأسس الا عام ١٩٤٥ ثم تطورت تدريجيا كما اخذت المدارس تزداد سنة بعد أخرى.

ويذكر السيد الدكتور علاء الكتبي، مؤلف كتاب "فارس الحلبات" الصادر عام ٢٠٠٧، ان لتأسيس "مكتبة الفخار" من قبل الحاج محمد حسن الكتبي الاديب البارز في الهندية أواخر الثلاثينات، أثر اكيد في انتشار الوعي الثقافي في المدينة بسبب زيادة عدد ونوع المطبوعات التي راحت توفرها، العراقية منها والعربية، وزيارات أدباء كبار من النجف وبغداد وكربلاء والكوفة والحلة وغيرها من المدن القريبة امثال الشيخ محمد رضا المظفر والشيخ محمد جمال الهاشمي والشاعر محمد صالح بحر العلوم والشاعر مرتضى فرج الله والشيخ علي الخاقاني ومحمد علي البلاغي وغيرهم.

ومن الاسماء اللامعة الاخرى التي انجبتها الهندية الادباء المبدعون ناظم السعود وعلي جاسم الهنداوي وكامل الحسناوي وحسين الزبيدي وسعيد الموسوي وفيصل المحنا والمهندس اللامع عبد الإله سامي محمود الذي صدر له قبل عام كتابه الأول "اضاءات عراقية لرؤية عن عالم جديد"، ناقش فيها مفاهيم الموت والحياة من خلال المكان وأهميته وتأريخيته، والدكتور والعالم الزراعي هادي العادلي. وبداهة لا يمكن

ذكر خطباء المنبر الحسيني في العالم دون ابراز مكانة الخطباء والفقهاء الطويرجاويين لا سيما الشيخ محمد الهنداوي والشيخ جاسم النويني الطويرجاوي والشيخ عواد الطويرجاوي والشيخ حمزة الزبيدي والشيخ فاضل المالكي والشيخ محمد الطرفي والعديد غيرهم.

فعلى الصعيد الوطني والعربي، برز خلال الفترات الحديثة العديد من الشخصيات العلمية والادبية من ابناء الهندية كما اشتهر عدد من الرياضيين على المستوى الوطني وحتى العالمي امثال شناوي الوزير احد رواد الحركة الكشفية في العراق وعباس الهنداوي بطل آسيا والعالم بكمال الأجسام على مر السنوات بين ١٩٧١ و١٩٨١ ورهيف منصور لاعب المنتخب الوطني بكرة اليد وطاهر حسين لاعب المنتخب الوطني بكرة الطائرة وحميد ابليبص وكاظم المسعودي وعماد الحضيري والعشرات سواهم.

واذ اقتصر هنا على عدد محدد من الشخصيات الأدبية والفنية والرياضية، فذلك لسببين اثنين. الاول هو اننا، في هذه الكتاب الصغير، غير قادرين، بداهة، على الاحاطة الوافية والعادلة بذلك الكم المدهش والمتزايد من الادباء والفنانين والرياضيين والفقهاء والخطباء والسفراء والسياسيين والاكاديميين اللامعين الذين انجبتهم الهندية وبعضهم لم اعرف عنهم ذلك الا مؤخرا. اما السبب الثاني، وربما الاهم، هو اننا اعطينا الاولوية لمن حمل اسم المدينة، الهندية او طويريج، لقبا له او اظهر اعتزازا عفويا به او لطرافة الانتماء ذاته ما يمنح الشخصيات المذكورة في الصفحات التي تلي اهمية رمزية او غرائبية الى جانب مكاناتها التاريخية او ما قدمته من مساهمات ذات بعد معروف وطنيا بل عالميا احيانا في المقام الاول.

مؤسس الغناء الريفي العراقي

عبد الامير طويرجاوي

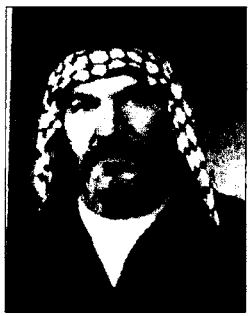

اسم هذا الفنان بين اول ما يتبادر الى ذهني من رموز مدينة الهندية في ايام بحبوحتها العتيدة. ولعل علاقة الصداقة التي ربطت والدي به كانت سببا اضافيا في ذلك. واتذكر في صغري انني سلمت عليه اكثر من مرة في الهندية او لمحت قامته المهيبة في مناسبات عابرة حوالي عام ١٩٥٦ وبعده. الا انني لم اعرف شيئاً مهما عن رفعة مكانته الفنية او نشاطاته السياسية خلال ثورة مايس ١٩٤١ الا بعد وفاته في عام ١٩٧٠، وخصوصا منذ مطلع التسعينيات الماضية مستفيدا من دراسات جميلة عنه اذكر منها بوجه خاص دراسة بقلم الفنان حسين السكاف بعنوان "عبد الأمير الطويرجاوي، أمير الغناء الريفي العراقي".

والفنان والشاعر طويرجاوي هو عبد الامير كاظم ابو محمد المولود في مدينة الهندية في ١٨٨٦ وفيها عاش طفولته وترعرع قبل ان ينتقل للعمل في بغداد التي استهوته حياتها الثقافية والفنية فاستقر فيها لفترة من شبابه قبل ان يساق إلى الخدمة العسكرية ضمن القوات

العثمانية عام ١٩١٤، حيث سفر إلى جبهة الحرب في القفقاس، لكنه هرب منها رافضا تلك الحرب الهمجية، وعاد إلى العراق مشياً على الاقدام كاشفاً عن المعاملة المهينة والقاسية التي تعامل السلطات العثمانية التركية المجندين العراقيين بها برغم استخدامها لهم وقوداً في معاركها الاستعمارية الخاسرة. وقد اضطرته الظروف المادية القاسية التي واجهها بعد عودته الى العمل حمالاً في سوق الشورجة ببغداد ثم عاملاً في مقهى، مواصلا الاستماع إلى ما يذاع من اغان عراقية وشرقية ولا سيما المقامات التي حركت لديه موهبته الفنية العارمة والتي لم يستطع التعبير عن مضامينها المتعددة من قبل باستثناء بعض المساهمات العفوية في مدينته ولا سيما في المواليد ومجالس عاشوراء في بيت القزويني في الهندية عام ١٩١٥، ومثلت بدايات الكشف عن طاقاته الغنائية.

وتسلق طويرجاوي سلم الشهرة الغنائية بسرعة ادهشت الجميع، ما دفع شركات التسجيل الباحثة عن اصوات غنائية عراقية متميزة الى التسابق بالحاح سعيا الى التعاقد معه وخاصة شركة بيضافون، التي سجلت له اغلب اطوار الابوذيات الريفية العراقية مع الاغاني الشعبية الرائجة آنذاك. ولم يكن الأمر اعتيادياً ان يهتم موسيقار كبير مثل الراحل جميل بشير لموهبة هذا الفنان المقتدر، فسجل له ثلاث اسطوانات مع فرقته الموسيقية. ومع ان طويرجاوي عرف كمطرب ريفي إلا انه، حسب النقاد، قرأ المقامات العراقية باتقان بالغ كما ان اسلوبه الغنائي كان عراقي الاعماق حقاً رغم غلبة الخاصية الريفية غير البغدادية عليه. وكان أداؤه في المقاهي البغدادية المتخصصة بالمقام مثل مقهى المميز والبولونجية وغيرهما. واستدعته الإذاعة العراقية عند افتتاحها في ١٩٣٦/٧/١ وقدم أول حفلاته على الهواء.

حكم على هذا الفنان بالاعدام شنقاً حتى الموت لاشتراكه في ثورة

مايس ١٩٤١ بهوسات واغان ضد المحتلين الانكليز، لكنه تمكن من الاختفاء والاحتماء بمحبيه الكثيرين من شعب العراق الأصيل. قرأ طويرجاوي كثيراً من الأطوار الغنائية. ومنها أطوار المثكل والعياش والعنزي والصبي وغيرها بمزيج ريفي مقامي. تأثر بطريقته الراحل حسن داود وهو فنان غنائي اختص بغناء الصبي. وكان طويرجاوي شاعراً غنائياً ألف الكثير من اغانيه واعطى بعضاً منها لغيره من المطربين.

كتب له الكثير من شعراء الاغنية العراقية امثال الملا عبود الكرخي، والملا حنفي وعبد العباس الحلي، وملا سلمان الشكرجي، وجبوري النجار والملا فدعوس العفجاوي وغيرهم. ولقد كتب الكثير عن عبد الامير طويرجاوي. ومنح لقب أمير الغناء الريفي وشاعر الكلمة الغنائية، كما اعتبر بطلا من ابطال العراق الذي قاوم المحتل البريطاني، وقد عرف بصوته الساحر، وكان يعرف بلونه الغنائي العميق وابتكاره لطوره الخاص به والمشهور بطويرجاوي نسبة له

وامتاز طويرجاوي بقابلياته الفريدة من نوعها فهو اولاً ابدع في اداء الالوان و الاطوار الريفية و ابتكر طريقة طويرجاوي الخاصة به، كما أجاد قراءة المقام العراقي وان غلبت عليه مسحة من الطابع الريفي، وقد كان يجمع بين الأثنين. وعاصر طويرجاوي نخبة ممتازة من قدماء رواد الغناء الريفي وقراء المقام العراقي وتعرف عليهم أمثال نجم الشيخلي، ورشيد القندرجي، وكذلك الاستاذ محمد القبانجي، والمطرب الكبير يوسف عمر وقد غنى و قرأ المقام معهم في المقاهي البغدادية القديمة. وكان الطويرجاوي شاعراً ألف الكثير من الاغاني، وتعرف على الكثير من الشعراء الذين بدورهم ألفوا له الكثير من الاغاني ومن هؤلاء الشاعر الشعبي المعروف ملا عبود الكرخي، وملا سلمان الشكرجي، والملا حنفي، وجبوري النجار.

وامتلك المطرب طويرجاوي صوتا ساحرا وجميلا، قوي النبرات، يخترق الاسماع ويتغلغل في الاعماق ويهز المشاعر العواطف. ويقال عنه في التاريخ بأن الشيخ خزعل أمير المحمرة دعاه للزيارة والغناء في المحمرة وأذهل المستمعين هناك من خلال الأطوار الغنائية التي أداها وخاصة مقام الدشت، ويقال بأن بعض المغنين المطين شعروا ان وجوده بينهم يفقدهم اهميتهم فخططوا لقتله غيرة منه، الا انه نجا من محاولة الاغتيال بتدخل من الشيخ خزعل نفسه الذي اكتشف خيوط المؤامرة.

وقد توفي الفنان والشاعر عبد الأمير طويرجاوي في مدينة الثورة ببغداد في السابع عشر من تموز عام ١٩٧٠ . ومات هذا الامير في بيت تتمثل فيه كل معالم البؤس والحرمان.

مؤسس المسرح الاذاعي العراقي

ابراهيم الهنداوي

هو ابراهيم علي صادق الهنداوي، رائد المسرح الاذاعي وأحد مؤسسي العمل التلفزيوني والسينمائي في العراق. ولد في قضاء الهندية عام ١٩٢٥ وتوفي في ٢٠٠٨/١٢/٨ ببغداد عن عمر يناهز الثالثة والثمانين اثر ازمة قلبية.

اكتشفته لأول مرة مذ كنت طالبا في الثانوية في منتصف الستينات عبر برنامج "من حياتي" من اعداد وتقديم الكاتب والفنان إبراهيم الهنداوي وإخراج شكري العقيدي. فقد نال ذلك البرنامج الاذاعي شهرة واسعة واستمر سنينا لتفاعله مع هموم الاسرة العراقية وظروفها المعيشية والاجتماعية ومعاناة افرادها من القيم والعادات والتشريعات البالية ما جعل المواطنين ينتظرونه ويتابعونه بشغف وكان عبارة عن قصص حقيقية يرسلها المستمعون ويجري أعدادها على شكل تمثيلية إذاعية أسبوعية (راديو الواقع) تبث من أذاعة بغداد ظهراً. وقدم منه ٤٩٧ حلقة ومنه اقتبس الكاتب صباح عطوان فكرة برنامجه (حذار من اليأس) وكذلك الفنان بدري حسون فريد لبرنامجه (من الحياة).

عمل الفنان الراحل في التأليف والتمثيل على مدى نصف قرن من الزمن فابدع في احياء او تجسيد ادوار عدة شخصيات بغدادية ابرزها ابو القاسم الطنبوري وجحا البغدادي وابو القوان. أكمل الاعدادية والدورة التربوية في الهندية وفيها تفتحت مواهبه مشاركا في العديد من المسرحيات فيها. ثم انتقل الى بغداد لاكمال دراسته الجامعية والفنية، اشتغل في التعليم استاذا في المدرسة الشرقية في الحلة ثم في ثانوية الكاظمية ببغداد.

كتب ابراهيم الهنداوي عشرات المسلسلات والتمثيليات والبرامج ومثل في عشرات المسرحيات الاذاعية اشهرها برنامج من حياتي الذي دام تسع سنوات وقدم منه ٤٩٧ حلقة من اعداده وتمثيله، ومسلسل (ابو القاسم الطنبوري)، ومسلسل (مذكرات دينار)، ومسلسل (فجر الاسلام)، ومسلسل (جحا البغدادي)، واعمال اخرى مثل (شعراء العرب)، و(خالد بن الوليد) و(شموس عربية) وغيرها. وفي العمل التلفزيوني كتب وشارك في تمثيل عدد من المسلسلات التلفزيونية منها (ابو القوان)، و(ابو القاسم الطنبوري) وبرنامج (من حياة المشاهدين)، و(ام علي) اضافة الى التمثيل في مسلسل (تحت موس الحلاق)، و(ابو البلاوي) و(بغداديات) و(قهوة عزاوي) ومسلسل (مدينة القواعد) مع الفنان جعفر السعدي.

وفي مجال السينما شارك ابراهيم الهنداوي في عدة افلام سينمائية منها (من المسؤول؟) في ١٩٥٦، و(انعيمة) في ١٩٥٨، و(الجابي) في ١٩٦٣، و(العاشق) في ١٩٨٠. وفي المسرح شارك ابراهيم الهنداوي في مسرحية (يريد يعيش) في ١٩٥٢، ومسرحية (كلنا بشر) في ١٩٥٦، و(كهوة طرب) في ١٩٥٦، ومسرحية (ابو البيت) عام ١٩٦٣. كما كتب للصحافة عدداً كبيراً من من المقالات الفنية.

وتذكر فنانة المسرح العراقية الشهيرة ناهدة الرماح ان الهنداوي هو اول من اكتشفها واقنعها بخوض غمار فن التمثيل حيث تقول في حديث لها "تزوجت و لم أتجاوز الخامسة عشرة. وفي إحدى المرات مرضت فاصطحبتني امي واخي الى الطبيب وهناك التقيت صدفة بالفنان إبراهيم الهنداوي الذي راح يحدثني عن شركة الافلام التي أسسها عبد الجبار ولي العائد لتوه من امريكا وبأن الشركة بحاجة الى وجوه جديدة من بنات العوائل الكريمة للقيام بالتمثيل. وفجأة سألني: 'ناهدة هل تحبين أن تمثلي في السينما؟ ووقتها لم تسعني الدنيا من الفرح وأجبته على الفور وبدون تردد بأني موافقة. وأخذت موافقة اهلي وزوجي وبعد اختبار قصير تم اختياري للدور الاول في الفلم العراقي (من المسؤول) عام ١٩٥٧.

رائد الشعر الشعبي العراقي

إبراهيم الشيخ حسون الهنداوي

هو ابراهيم بن الشيخ حسون بن الملا حمزة بن الملا ياس الزبيدي المولود في الهندية في ١٩٠٨ والمتوفي في بغداد عام ١٩٨٢. شاعر كبير وانسان نبيل ومناضل وطني عنيد من اجل تقدم واستقلال العراق. تعلم في كتاتيب الهندية القراءة والكتابة ثم درس النحو والصرف والمنطق والبلاغة على يد السيد محي هادي القزويني والسيد صالح الحلي. كانت مهنته التجارة وكان يمتلك دكانا في سوق الهندية وكان فيها خطباء بارزون امثال السيد هاشم الخطيب وابنه السيد رضا السيد هاشم.

وقدم ابراهيم الشيخ حسون الى بغداد في ١٩٥١ وعاش فيها قرابة عشر سنوات مارس فيها العمل التجاري في الشورجة ثم عين في التعليم في الكوت عام ١٩٦١ ثم امينا لمكتبة الاعدادية الكوت كما حاضر في المتوسطة والثانوية وبقي فيها الى عام ١٩٧٨ حيث احيل الى التقاعد فعاد ليعيش في بغداد حتى وفاته في ١٩٨٢.

له ديوان شعر مطبوع بعنوان "اللؤلؤ المنظم في مدائح ومراثي النبي (ص) واهل بيته(ع)" مطبوع عام ٢٠٠٤ في بغداد وقد اهدتنا عائلته الكريمة نسخة منه. يقول عنه الدكتور فلاح البياتي انه "كان اديبا عارفا في العلوم والآداب التي اهلته ان يلقي محاضرات في اللغة العربية في ثانوية الهندية في اربعينات القرن الماضي، وامتاز في نظم الشعر الشعبي حتى قال عنه الدكتور مصطفى جواد (هذا ليس شعرا شعبيا، انه شعر اديب عالم" (ص٢٢٩). فقد كتب ابراهيم الشيخ حسون الهنداوي الموشح

بعذوبة وعمق نادرين وكانت واحدة من اشهر قصائده تقرأ في مرقد الحسين (ع) يوم العاشر من محرم في عزاء طويريج ويقرأها الحاج جاسم الطويرجاوي ومطلعها:

خطت اليوم المعالي سطورها مجد ما خطته بكل عصورها

ولا يمكننا اختتام الحديث عن ابراهيم الشيخ حسون دون ذكر حدث انتقاله من التجارة الى التعليم. وهو حدث تاريخي في التعليم العراقي نوجزه بفقرات اقتبسناها حرفيا من مقال جميل وعميق سطرته يراع الاديب الكبير مهدي شاكر العبيدي: "في يوم من عام ١٩٥٠م دخل الأستاذ محمد بهجة الأثري أحد صفوف المدرسة المتوسطة في الهندية بوصفه مفتشاً اختصاصياً بمادة اللغة العربية وطريقة تدريسها فوجد رجلاً حاسر الرأس أشيبه، لم يرتد الزي الرسمي المألوف، شأن سائر موظفي الدولة ومستخدميها، بل يرتدي اللباس الأهلي المتعارف عليه في السوق التجاري، إنه الشيخ إبراهيم الشيخ حسون الذي أغلق دكانه وتخلى بصورة مؤقتة عن البيع والشراء، منبياً عن استعداده للقيام بتدريس اللغة العربية بفروعها وأقسامها كافة من نحو وتاريخ أدب وبلاغة ونقد وغيرها حين تناهى إلى سمعه نبأ الحاجة إلى من يسد الشاغر بهذه المادة.. وكذا فقد أعجب الأثري بهذا المحاضر اللبق الجيد الفهم، الغزير المادة. وكان أن سجل الأثري في تقريره السنوي عنه أن له من الكفاءة والأهلية للاضطلاع بالتدريس.

ويظل الشيخ إبراهيم محتفظاً بتقرير الأثري– أو شهادته بحقه– طوال تسعة أعوام، فقد قدر له بعد ثورة الرابع عشر من تموز أنْ يستجيب لمبادرة وزارة المعارف– التربية حالياً– آنذاك إلى إقامة دورات تربوية لينخرط فيها أصحاب الدراسات الخاصة والمنتظمون في المعاهد الدينية بقصد تأهيلهم للتعليم الابتدائي تمشياً وخطة التوسع في هذا الحقل، فنسب

إلى التعليم في محافظة واسط بعد أن جاز مرحلة التأهيل والإلمام بأصول التدريس ومبادئ التربية، واستطاع بما أتيح له من إمكان على الحجاج والإقناع واستدلال بالوقائع الدامغة أن يحمل المسؤولين في مديرية – معارف الكوت– على تنسيبه إلى التعليم الثانوي، مجلين شهادة الأثري، معترفين بقيمتها في تزكية الرجل واعتباره جديراً بما طالب به من مكان أو سمت، في غير تنقص منه لتلك المرتبة الأولية من مراتب التعليم أو شعور بالاستعلاء على المنتظمين فيها، ولك أن تستغرب من عيافه الأعمال التجارية في سوق الشورجة بعد نزوحه إلى بغداد، وإقباله على التوظف في سن متقدمة، لم تسمح بإطالة أمد خدمته إلى أكثر من بضعة عشر عاماً، فقد أحيل على التقاعد لبلوغه السن القانونية التي لايجوز بعدها الاستمرار في الخدمة".

بيد ان الحدث الآخر المقترن بهذه القصة مرير، وهو هجران الشاعر الكبير لاهل مدينة ضحى بمصدر رزقه من اجل تعليم ابنائهم فاذا بهم بنبله جاحدون. ولنترك العبيدي يعبر عن ألم ليس لنا الا ان نشارطه اياه وحرفيا:

"وبعدُ كم من يدٍ عند أهالي الهندية للشيخ إبراهيم، قبل أن يبارحهم في بداية الخمسينيات (من القرن الماضي) تطلباً لما يقيم الأود ويفي بحاجته إلى الكفاف من متطلبات العيش بعد أن لم يعد له قِبَلٌ بفتح دكانه مجدداً بعد استعفائه من إلقاء المحاضرات في المدرسة المتوسطة أثناء العام التالي بالنظر لسد الشاغر وتعيين أحد الخريجين، وبعد أن لم ينبر أحد لمنعه من النزوح والهجرة، كأن لم يعمل الرجل بكفاياته وقابلياته المتواضعة على خلق جو أدبي يشيع الصفو والألفة، ويبعث في القلوب الأنس والفرح، ويستل منها ما يرسب في قرارتها من الضغن والبغض والاستكثار على الآخر ما يحوزه من البروز والوجاهة بل الاحترام في أدنى حال، وقد علمت مؤخراً بخبر وفاته ببغداد..، إذ آثر الإقامة فيها

مجدداً بعد إحالته على التقاعد، على استئناف العيش في مهد نشأته الأول..".

ولعله عن ذلك الجحد متحدث في هذا الزهيري الخالد من شعره الوطني النقدي الجميل:

من شِفِتْ دَهري بحدّه المهجتي فيْهه
شدّيت راچب ذلولي كاطعٍ فيْهه
عن شجرةٍ حرّمت عن ارضها فيْهه
يا كبّح الله درْها وفيّها من فاي
تنعد بلادي وأعدها من الارض منفاي
تا الله ما ساعةٍ ذمها وكع من فاي
موش الارض مكصدي، الناس الذي فيهه

رائد قصيدة النثر العربية

حسين مردان

"في السابعة قرأت عنترة وفي العاشرة نظمت اول بيت، وبدأت امي تضايقني.. وكان لابد من الانقطاع الى الادب! وهكذا تركت المدرسة ثم بدأ الخصام مع العائلة! واضطررت الى هجر البيت"، هكذا كتب في احدى مقالاته حسين مردان معترفا بان حياته الادبية تفتحت في طويريج. فهذا الشاعر العراقي الشهير، المولود في الهندية عام ١٩٢٧ والمتوفي في بغداد في ١٩٧٢، انهى تعليمه الابتدائي وباشر المتوسطة في الهندية قبل ان يغادرها وعمره خمسة عشر عاما متنقلا مع والده الموظف في سلك الشرطة من مدينة إلى أخرى في الفرات الأوسط ليستقر بعد ذلك في مدينة الخالص حيث دخل المدرسة المتوسطة لكنه سرعان ما هجر الدراسة بعدها نهائيا بسبب الفقر، حيث انتقل من هناك الى بغداد ليبرز مع السياب والملائكة والبياتي وبلند الحيدري صديقه الاقرب، كأحد رواد الشعر العراقي الحديث لا سيما قصيدة النثر. والى جانب الشعر، عمل حسين مردان في العمل الصحفي والاذاعي، كما عين

معاونا للمدير العام للاذاعة والتليفزيون. له عدد من الدواوين المنشورة، اشهرها "قصائد عارية" في ١٩٥٠ ،و"اللحن الاسود" في ١٩٥٠ و"الربيع والجوع" في ١٩٥٣ و"اغضان الحديد" في ١٩٦١ وكراريس شعرية عدة منها: "رجل الضباب"، و"نشيد الانشاد"، "الارجوحة هادئة الحبال"، و"اغضان الحديد"، و"طراز خاص"، و"الربيع والجوع"، و"هلاهل نحو الشمس"، و"عزيزتي فلانة" وغيرها.

لقد بدأ يرسل مقطعاته الشعرية مبكرا إلى الصحف المحلية ومجلة الأديب البيروتية وهي تحمل صياغاتها الخاصة بالنثر المركز كما أسماه حسين مردان أو بقصيدة النثر كما أصطلح عليها بعد ذلك. وتدريجياً، شكل حسين مردان بتمرده الحياتي الشخصي وشعره الغريب على التقاليد لونا من (الكاريكتور) الخاص. وحين تعرف عليه وفد من أدباء العاصمة زار بعقوبة متشكلا من فؤاد التكرلي وعبد الملك نوري وجد فيه لونا من الانشداد إلى التجريب والتحديث وهو ما كان الوفد القصصي الحداثي الزائر قد بدأ خطواته فيه على صعيد القصة القصيرة ولم يدفع حسين مردان إلى العاصمة إلا وعدٌ من جماعة (الوقت الضائع) التي اتخذت مقراً لها في ساحة عنتر في مقهى اسمته مقهى (الواق واق) ان يستضاف في سطح المقهى حيث انتصبت غرفة صغيرة تجاور (البيتونة). يقول حسين مردان انه لم يكن يملك المال للسفر إلى بغداد وهو لا يتعدى المائة فلس يومها فركب عربة حمل للخضار نقلته مجاناً على مدى ساعات إلى الأعظمية حيث حل في المقهى الموعود ضيفا دائماً (لفترة) على ذلك المقهى الذي دارت فيه اجتماعات جماعة (الوقت الضائع) وحواراتهم عن الفن والأدب الحديث حيث كان جواد سليم ـ النحات البارز ـ وشقيقه الرسام والقاص نزار سليم والدكتوران (فيما بعد) حسين هداوي ومحسن مهدي وعدنان رؤوف ونهاد وفؤاد التكرلي ابرز المساهمين.

من ساحة عنتر ومقهى (الواق واق) دخل حسين مردان عالم الصحافة مصححاً في جريدة (الأهالي) برفقة الروائي غائب طعمة فرمان (محرر الاخبار السياسية فيها) وعبد المجيد الوندواوي (مدير تحريرها) حيث احتك بجو آخر من النشاط السياسي والثقافي ليعين محرراً أساسياً للصفحة الثقافية في جريدة (الاخبار) ليرعى نتاجات الأدباء الشبان آنذاك ومنهم زيد الفلاحي ونزار عباس وموسى النقدي وليجري أولى مسابقات القصة القصيرة للشباب التي فازت فيها القاصة سافرة جميل حافظ وكانت بداية شهرتها كقاصة مجددة لم تستمر طويلاً في الساحة الثقافية بعد ان اخذتها السياسة إلى شواطئ أخرى.

كان حسين مردان يثير بعد كل ديوان يصدر له ضجة في الصحافة الثقافية وقد سبب صدور ديوانه (قصائد عارية) الضجة الأكبر لما تضمنته القصائد من خروج على تقاليد العصر فأحيل إلى المحاكمة وتوكل عنه المحامي الناقد محمود العبطة و لم تشفع للمحامي ولا لموكله كل تبريرات التحديث فحكم على حسين مردان بالسجن سنة واحدة قضاها في سجني بعقوبة والكوت ليخرج بعد ذلك إلى السجن الكبير وقد ازداد ثقافة ووعياً ليخوض هذه المرة معركته الأكبر مع فلسفة الحروفية في الفن التي كان يدعو لها الفنان شاكر حسن آل سعيد ولتتبلور بعد ذلك في رسالته الشهيرة (رسالة من شاعر إلى رسام) حيث ضم الرسالة إلى مقالة تحليلية عن شعر الجواهري واخرى عن قصص عبد الرزاق الشيخ علي حيث أصدرها في كتاب (مقالات في النقد الأدبي) وظلت حياة حسين مردان ساخنة شديدة الانفتاح على الجديد حتى وفاته في ٤ تشرين أول ١٩٧٢ وقد نتجت عنها تجربته الراسخة في قصيدة النثر. وقد تعرفت عليه شخصيا في عام ١٩٧٠ عبر صديقنا المشترك حميد الخاقاني. وقد زودني حسين مردان برسالة توصية الى صديقه الشاعر الكويتي علي السبتي رئيس تحرير مجلة اليقظة الكويتية.

الشاعر الثائر محمد حسن ابو المحاسن

ولد الشاعر الثائر الشيخ محمد حسن الملقب بأبي المحاسن. في مدينة الهندية عام ١٢٩٣ هجرية، وفيها نشأ وترعرع، ودرس الادب والفقه على كبار الاساتذة وابرزهم السيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني، والشيخ كاظم الهر والسيد عبد الوهاب الوهاب. وبعد ان كان مدافعا بقلمه عن تركيا في الحرب العالمية الاولى، تحول ابو المحاسن ليصبح من اشد المدافعين عن الاستقلال العراقي ضد الاحتلال البريطاني ثم احد ابطال الثورة العراقية سنة ١٩٢٠، واحد اعضاء "الحزب الاسلامي" الذي تأسس في مدينة كربلاء باشراف السيد محمد تقي الشيرازي ورئاسة نجله محمد رضا، لغرض المطالبة بالاستقلال ضد الاستعمار البريطاني.

وعندما اندلعت نيران الثورة العراقية، اختير مندوبا عن كربلاء في المفاوضات مع الانكليز قبيل الثورة، ثم عين رئيسا للمجلس المحلي والحكومة المؤقتة، وبعد الهجوم البريطاني على كربلاء سنة ١٩٢٠، اعتقل ابو المحاسن وسجن في الهندية بضعة اسابيع ثم اطلق سراحه بعد العفو العام عن الثوار. وبعد تأسيس الحكم الوطني في العراق عين وزيرا للمعارف في وزارة جعفر العسكري، وبقي في منصبه زهاء السنة، ثم اعتزل الوزارة بصورة فجائية على اثر خلاف عن المعاهدة العراقية البريطانية وقع بينه وبين زملائه. وقد توفي بالسكتة القلبية صبيحة ٣٤ حزيران ١٩٢٦ في قرية جناجة في الهندية ودفن في النجف الاشرف.

ويرى النقاد ان شعر ابي المحاسن يمتاز بالجودة والانسجام والرقة مع الجزالة، اذ يجيد النظم في كل باب ويتفنن في الاساليب تفنن اديب

عارف كما كتب عنه روفائيل بطي في "الادب العصري" عنه. فيما يرى خضر الصالحي في شاعرية ابي المحاسن، انه كان ينزع الى الشعر القديم شكلا ومضمونا مبتدعا "انماطا من الصور الشعرية وسمت شخصيته بالطابع الاسلامي والقومي مع الفهم العميق للنفس البشرية.

وعلى العموم يتفق نقاد آخرون على وصف شعر ابي المحاسن بانه على جانب كبير من العمق والرفعة والاصالة لا سيما في مجالات الرثاء والحكمة والحماسة الوطنية، وعلى جمالية عالية مضمونا وشكلا مستفيدا من عمق معرفة بالادب العربي ومتأثرا بالادب الفارسي الذي ترجم كثيرا من معانيه الى العربية كما كتب محمد علي اليعقوبي في مقدمة ديوانه. وهذه المزايا لخصها الناقد والمؤرخ الادبي سلمان هادي طعمة في القول ان "شعر ابي المحاسن قوي جزل متين السبك رائع النظم يمتاز بسلامة وعذوبة الى جانب قوة وحبك الديباجة" كما جاء في مقالة له عن ابي المحاسن في كتابه "شعراء من كربلاء" ص٢٨٣.

مجدد الاغنية العراقية

الفنان محمد جواد اموري

ولد الفنان محمد جواد اموري في الهندية عام ١٩٣٧ واكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها قبل ان ينتقل الى دار المعلمين في الاعظمية ببغداد حيث تخرج في عام ١٩٥١. ثم اتجه الى دراسة الموسيقى في معهد الفنون الجميلة ليتخرج متخصصا في آلة الكمان. فقد درس الموسيقى وعبر سلم الفن خطوة بعد خطوة، وكان الاول على زملائه خلال ثلاث سنوات متوالية، تعلم خلالها اصول الموسيقى ونظرياتها على الطريقة التركية على يدي استاذه الموسيقي المرحوم اكرم رؤوف. وسريعا نجح هذا الفنان ان يغدو ركنا اساسيا في فن الاغنية العراقية ليصبح في سبعينيات القرن العشرين من كبار الموسيقيين العراقيين ولا زال يحتل مكانة مهمة في عالم الغناء العراقي كما ظل خلال مدة تمتد لنصف قرن مهتما في اكتشاف الاصوات الغنائية الكبيرة ومنها اصوات حسين نعمة

وياس خضر وفاضل عواد وانوار عبد الوهاب وعشرات غيرهم. اذ اهتم باكتشاف الالحان التي تنسجم وطبقاتها الصوتية.

ويذكر الملحن اموري انه عندما كان طالبا في المعهد وعاد الى مدينته طويريج عام ١٩٥٢، صادف زواج جار له وكان المطرب الريفي عبد الامير الطويرجاوي يحيي الحفلة، و لم يوجد عازف للعود فطلبوا منه ان يعزف له وعندما انتهت الحفلة، ابدى الطويرجاوي اعجابه به وتنبأ له بمستقبل باهر. تأثر اموري في طفولته باصوات قارئي المنابر الحسينية وبالبيئة الفنية في مسقط رأسه. واعرب مرة عن اعتزازه بمرحلة شبابه الفنية قائلا: "الناس في المدن الكبيرة يكونون منشغلين بالاعمال، اما في قضاء الهندية فمعظم الشباب كانوا ينظمون الشعر والدارمي والابوذية، فهم في مباراة شعرية مستمرة، لذلك تنشأ الافكار الجديدة على مستوى اللحن والشعر، فتركت هذه البيئة صداها في مخيلتي وذاكرتي، وكنت ابحث منذ الصغر عن الالة الموسيقية، التي فيها احاسيسي، كان حينها الناي يصنع من الطين، لكنه لايؤدي عزفا صحيحا، كان والدي نجارا وعندما ذهبت الى بغداد، رأيت الالات الموسيقية، فأخذت لوحة ومسامير واسلاكا ناعمة، وصنعت بنفسي الة القانون، ثم اشتريت نايا من القصب وكنت اصعد على الكرسي لاعزف في المدرسة".

فمنذ يفاعته نال هذا الفنان شهرة واسعة في الهندية كعازف ناي اولا اذ وجد نفسه منساقاً الى كل فعالية فنية موسيقية وغنائية في المدرسة ثم في الحلقات الفنية الاوسع فالاوسع وصولا الى مكانة راقية على المستوى العراقي والعربي. اذ تمكن بفضل حماسه للموسيقى ومواهبه المتعددة والكبيرة فيها وذوقه الشعري المتميز من تطوير موهبته في دار المعلمين ببغداد حيث تعلم العزف على العود بسرعة ثم راح يقود فرقة الدار في حفلات فنية كانت تقيمها المعاهد والكليات وبعض المحافظات.

وفي دار المعلمين ايضا وضع محمد جواد اموري عام ١٩٥١ أول لحن خاص به وكانت قطعة موسيقية عنوانها (ذكرى) ظلت الفرقة تعزفها لفترة طويلة ثم سجلتها للاذاعة بعد سنوات. كما عمل بعد تخرجه في الفرقة السميفونية الوطنية العراقية كعازف كمان لرغبته في البداية ان يكون على تماس مع العزف الموسيقي الا انه واصل العمل فيها لمدة عشرين عاماً مواصلا تلحين اغان عراقية لا علاقة لها بأسلوب العزف في الفرقة السمفونية مثابرا على النجاح في كلا المجالين. وقد تعرف خلال تلك الفترة على الفنان الموسيقي الكبير الراحل رضا علي الذي ساعده على تسجيل أعماله الموسيقية في الاذاعة والتلفزيون.

حارس اصالة لغة الضاد وسحرها

مهدي شاكر العبيدي

لا يكفي مقال عابر وتعريفي كهذا في اعطاء صورة وافية وعادلة عن هذا المثقف الكبير والعالم اللغوي والقاص المبدع والناقد الجريء دفعة واحدة. قد نختلف معه في قضايا لا تحصى. الا ان عطاء هذا المفكر الادبي الغزير يحتاج الى عدد من الدراسات في آن كي ينال حقه من التثمين الذي يستحقه.

ولد مهدي شاكر العبيدي في قضاء الهندية – التي يسميها قصبة– عام ١٩٣٣ وانهى دراسته التمهيدية فيها. وقد كتب مرة انه كان في سنة ١٩٤٦ طالباً في متوسطة الهندية التي اقيمت في بداية تأسيسها فوق سطح احد خانات التمور قبل ان يشاد المبنى الحالي على ارض سبخة بمبالغ تجمعت من تبرعات الاهالي. واكمل العبيدي دراسته في دار المعلمين الابتدائية ببغداد متخرجا منها عام ١٩٥٢.

اتصل بالحياة الثقافية منذ عام ١٩٤٩م، ونشرت له مقالات في شتى

الجرائد التي تصدر ابان تلك الاونة البعيدة كـ "البلاد"، و"صوت المبدأ"، و"صوت الاحرار"، و"الحرية"، و"الراي العام"، و"المثال" الموصلية باسمه الصريح أو بتواقيع مستعارة لمبررات ودواعٍ مختلفة، وانفتح على المجلات التي صدرت في بيروت كـ"الاديب"، و"الاداب"، و"العلوم" فضلا عن المعرفة السورية في ستينيات القرن الفائت وسبعينياته، فخصها بكم هائل من الدراسات والمداخلات النقدية التي استوعبت كتبه الخمسة المطبوعة قسما منها، والمتميزة بنمط من التعبير والبيان الموفي بما لا حاجة للتفصيل فيه. وكتبه المطبوعة أولها (حوار في مسائل أدبية) في ١٩٧١، و(في رحاب الكلمة) في ١٩٧٢، و(دفاتر ثقافية) في ١٩٧٥، و(أضواء على الجانب الآخر) في ١٩٩٨، كما صدر للكاتب في دمشق – التي اقام فيها ردحا من الزمن – مؤلفان عن دار النايا للدراسات والنشر : الأول : (من شعراء بني أيوب) في ٢٠٠٨، وهو يخص شعراء الدولة الأيوبية التي من قادتها الفاتح الإسلامي الكبير صلاح الدين الأيوبي محرر القدس من الصليبيين عام ١١٨٧، والثاني : (كعب بن زهير. حياته وشعره) في ٢٠٠٩، كما لديه ستة كتب مخطوطة على الاقل، من بينها "من دواوين الشعر العربي" و"من النافذة الثقافية" و"زوايا ولقطات" و"مختصر مفيد" و"إشارات وتعليقات" وكتب أخرى ضمت مقالاته المنشورة في الصحف العراقية، لاسيما في صفحة "ثقافة" في جريدة (العراق) التي كان يعمل فيها مشرفا لغويا. ولا يزال الكاتب ينشر في الصحف العراقية لاسيما جريدة الزمان.

نقول، لم يدرس ادب مهدي شاكر العبيدي لحد الدراسة الشاملة التي يستحقها. الا انه يعد بلا جدال بين ابرز النقاد واللغويين العرب المعاصرين اضافة الى كونه من كتاب القصة القصيرة الاوائل في العراق لما يمتاز به، بنظر النقاد، من بلاغة في التعبير ورصانة في الأسلوب ووضوح في المضمون ودقة في التوصيف وقوة في الحجة والمنطق وقدرة في

التحليل مكنته معا ليخرج علينا دوما بمقالات رفيعة المستوى في مجالي النقد الادبي والتاريخ الادبي والاجتماعي وحتى السياسي غير المباشر والتي يتابعها بشغف كبير عشاق الأدب والمهتمين بشؤونه. كما انه كاتب متضلع في قواعد اللغة العربية ونحوها وصرفها. وقد ساعدته مهنة التعليم التي أمضى فيها اكثر من ثلاثين عاما على التعمق اكثر فأكثر في كتب التراث ككتابات الجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن خلدون وعبد القاهر الجرجاني خاصة وهي الكتابات التي صقلت عبارته وأغنت ذخيرته اللغوية يضاف إليها متابعاته المركزة لكتابات كتاب مصريين بارزين أمثال طه حسين ومحمد حسين هيكل واحمد أمين والمازني والعقاد وسلامة موسى والزيات ومحمد مندور الذين يعدون من رواد الثقافة العربية في مطلع القرن العشرين.

ويرى موسى جعفر في مقال عنه، ان مهدي العبيدي كاتب مثابر مجد في عمله همه الأول والأخير اطلاع القراء على ابرز معالم الحياة الثقافية في العراق والوطن العربي من خلال مقالات يخطها قلم رشيق العبارة، كتاباته تتميز بالموضوعية وتصلح لان تكون نموذجا حيا للمقالة الأدبية بما تتميز به من مقومات كالوضوح في الصورة والتركيز في العبارة والسلاسة في السرد والبلاغة في المنطق.

بطل العالم وآسيا في كمال الاجسام

عباس الهنداوي

الرياضي والبطل العالمي العراقي عباس الهنداوي بين اهم من رفع اسم العراق عاليا في المحافل الدولية ولعدة عقود من الزمن وكذلك اسم الهندية بفضل فوزه بما مجموعه ٧٦ ميدالية منها ٥٤ ذهبية كانت الاولى عام ١٩٦٧ في اول مشاركة له حينما أحرز بطولة العراق واستمر في حصد البطولات حتى عام ١٩٩٠ عندما قرر الاعتزال.

فعلى صعيد المشاركات الداخلية حصل على بطولة العراق للمتقدمين منذ عام ١٩٦٧ و حتى عام ١٩٩٠ ولقب افضل رياضي طيلة تلك الفترة وكذلك بطل العراق الأول للمتقدمين برياضة القوة البدنية منذ عام ١٩٦٧ وحتى عام ١٩٧٣ وصاحب افضل الارقام القياسية كذلك تم اختياره كافضل رياضي على مدى ربع قرن وصاحب اكبر الانجازات العراقية والعربية والاسيوية.

اما على المستوى الخارجي فقد كان بطل العرب والشرق الاوسط وصاحب اجمل واكمل جسم في الدول العربية منذ عام ١٩٧٢ وحتى عام ١٩٧٦ وبطل قارة اسيا الاول للاعوام ١٩٧١ حتى عام ١٩٨٤.

وكذلك حصل على المركز الرابع عالمياً للاعوام ١٩٧٠-١٩٧١ -١٩٧٢-١٩٧٦ وبطل العرب لجميع الاوزان لمدة ثمانية عشر عاماً.

وبعد اعتزاله المنافسات العالمية والوطنية، انتقل عباس الهنداوي تدريب وانشاء منتخبات عدد من الدول العربية اذ اشرف عام ١٩٩٣ على تدريب المنتخب الاردني الذي يحصل بعدها على بطولة العرب. ثم انتقل الى الكويت في ١٩٩٨ لتدريب المنتخب الكويتي وساهم في تطويره وبناء عدد من الفرق. ثم انتقل الى الامارات في ٢٠٠٣ وكانت له مساهمة فاعلة في تأسيس فرق في امارة ابو ظبي والشارقة. وتمكن من صناعة فريق مهم وقوي للامارات تمكنت من خلاله احراز بطولة العرب لكمال الاجسام في ٢٠٠٦ واللقب العالمي عام ٢٠٠٧، حيث استضافت الامارات بطولة العالم وهو انجاز تحقق للامارات لأول مرة وكان على يد مدرب عراقي.

وتعود بداية عباس الهنداوي مع رياضة كمال الاجسام إلى عام ١٩٦٦ في نادي الشباب الرياضي في بغداد بعد ان كان قد انتقل من قضاء الهندية إلى العاصمة بغداد عام ١٩٥٧. وفي عام ١٩٧٠ حصل على مركز الوصيف للبطل العالمي علي الكيار في فئة المتقدمين ما رشحه لأول بطولة عالمية في العاصمة اليوغسلافية لمتوسطي القامة فأحرز المركز الرابع من بين ٣٦ بلدا شارك في البطولة. وفي عام ١٩٧١ أقيمت بطولة العالم في العاصمة الفرنسية باريس وكان احد أفراد المنتخب العراقي وكانت البطولة قوية جدا حيث شارك فيها الإبطال المحترفون امثال (بيرت بكلص ومانشزر الامريكي وايدورتي) وحصل عباس الهنداوي على المركز الرابع بعد ان ذهبت البطولة من نصيب المنتخب الامريكي الذي اصر على مشاركة المحترفين رغم ان البطولة للهواة ولو لم يتم اشراك المحترفين لكان المركز الأول من نصيبه في فئة المتوسط.

ويقول رئيس الاتحاد الباكستاني في عام ١٩٧٤ محمد امين أثناء بطولة الفلبين الآسيوية في ذلك العام ان عباس الهنداوي حالة لن تتكرر في العرب واسيا وهذا قبل ان ينل الهنداوي لقب صاحب أجمل واكمل جسم في جميع البطولات الآسيوية منذ عام ١٩٧٧ وحتى عام ١٩٨٤ وهو ما لم يحققه احد من قبل.

النحات العراقي المتألق احمد البحراني

يستخدم خامة الحديد في اشتغالاته وويوظف عبرها رموزه البيئية والثقافية خرج بالنحت من المحلية للعالمية تنقل من الطين الى الخشب والبرونز والفايبر غلاس وكان احد الذين اشتغلوا اعمالهم بكل المواد. وفي مقابلة اجراها معه الصحفي الخليجي غازي الذيبة بعنوان (من طين الفرات إلى تطويع حديد الدنيا القاسي) اجريت اثر مشاركته في ٢٠٠٥ في معرض بدبي تحت شعار (من اجل اطفال العراق) الى جانب اربعة رسامين عراقيين، يقول احمد البحراني عن حياته:

(ننى ابن مدينة ريفية اسمها طويريج تقع بين بابل وكربلاء وقد حملتني هذه الجغرافيا اتجاهين الاول هو الموروث التاريخي الذي تتمتع به والثاني هو ما يتعلق بفضاءات الثقافة الشعبية في منطقتي... كما ان طويريج هذه المدينة الفراتية تستيقظ على صوت الطبيعة العصافير والاشجار كل هذه الملامح شكلت وعيي الاول بالنحت خاصة اذا ما

اقتربنا من بابل اعظم اثر نحتي تاريخي موجود اليوم... بالاضافة الى هذه المعطيات فانك ستجد ان ابناء هذه المنطقة بالضرورة فنانين فمنهم الموسيقي ومنهم الرسام ومنهم الشاعر وحتى من لم يتسن له قدر من التعلم ليصبح متقنا لابداعه فانه متذوق جيد للفنون.. وهنا بدأت تتشكل رغبتي في التوجه الى النحت... ففي الخامسة من عمري حيث كان ماء الفرات يشح صيفا فتظهر جزر طينية صغيرة فيه كنت اذهب اليها رغم منع والدي لي من الذهاب الى هناك وقد صدف ان كنت شكلت مجموعة من الاشكال بالطين مرمزا لها بشخصيات من بيئتنا المحلية فاذا بوالدي يراني امام منحوتاتي الصغيرة جاء الي وانا خائف منه تأمل اعمالي واحدا واحدا دون ان يعترض على ما قمت به... ففرحت كان هذا ـ ربما ـ اول معرض فني لي يشاهده جمهور.. تطورت لعبة الطين في جزر الفرات الى رغبة ساقتني ودون تقصد في جامعة بغداد لأدخل كلية الفنون قسم النحت... لكن تلك الجزر والبدايات ما زالت تعيدني اليها... لا اعرف ولكنني اعتقد ان التكوين الاولي لي كان يناسب رغبتي في التوجه للنحت وهنا اريد ان استعيد بذاكرتي عن طويريج التي كان فيها رسامان احدهما اخرس لا يتكلم.. كنت اشاهد هذين الرسامين وهما يؤديان مهامهما بالادوات المتوافرة في بيئتنا يستخدمان الاوراق او الالوان الخشبية والفحم وهذان الاثنان لم يكون قد درسا الفن كل هذه الامور في طويريج اظنها شكلت الدافع الحقيقي لذهابي الى عالم النحت... البيئة لها دور في توجيه الرغبة او الموهبة لكن ألم يكن هناك عوامل اخرى؟بالتأكيد ثم عوامل تالية... انني اتحدث عن البدايات الاولى لكن بعد ذلك واثناء دراستي للفنون تعرفت على مغزى الحضارات والنحت الذي كان واحدا من مفاتنها الرائعة كما تسنى لي التعرف على النحت العراقي الحديث واقتربت من تلك التجارب كتجربة الفنانين جواد سليم واسماعيل فتاح مرورا بعدد آخر

من التجارب التي اسست للنحت العراقي المعاصر كما انني اطلعت على تجارب لنحاتين عالميين وما زلت في اكتشافاتي هذه، فعالم النحت شاسع وتجارب البشرية فيه كبيرة بعيدا عن البدايات. النحت العراقي الجديد اراه من الزاوية التالية: اننا نكمل الطريق الذي بدأه السابقون.. وبالنسبة لي فاعتقد انه علينا الخروج من بوتقة الاستقرار في منطقة واحدة.. لقد تسنى لي ان امرس بالنحت.. لذا قررت ان يكون لدي شيء خاص في عالمه وها انذا احاول وربما معي اخرون الخروج من التقليدية في النحت الى ما يعبر عن هواجسنا.. فمثلا رأيت في الجدار العراقي مادة خاما لاستلهاماتي النحتية بكل ما يحمله من اثار التعرية والزمن والانسان لذا صغته عبر منظوري الخاص برؤية جديدة واستعدته بروح تفارق السائد عنه كما انني وجدت في عملية تكرار الوحدات الفنية في الزخرفة الاسلامية مبعثا لتكوينات على المستوى نفسه من المعنى لكن أبعد في الشكل واستفدت منها وهذا يظهر في اعمالي الاخيرة.. ما اريد قوله هنا ان جيلنا يجرب ويرى العالم بعين قادرة على التقاط ما يؤثر في هذا العالم ويخرج بالنحت العراقي الى مكانة رفيعة.. وهذه مهمة صعبة على جيلنا ان يكون بمستواها.

شاعرة ثورة العشرين ونسة الفتلاويّة

هي ونسة بنت ضاحي من عشيرة آل فتلة، مجاهدة في ثورة العشرين وشاعرة باللهجة العاميّة، ولدت في طويريج في عام ١٨٩٥ على الارجح. ونالت شهرة كبيرة من خلال ما روي عنها بانها شجّعت زوجها على المشاركة في الثورة العراقية الكبرى عندما رأته قد جلس في البيت و لم يشارك مع الثوّار، فخاطبته بهذه الابوذيّة:

شتواجه الوادم بعد ونسه او عند العرب هاي الحرب ونسه

خاضتها زلم وأطفال ونسه ونه ازلمتي اجويعد بالثنيّه

فأجابها بأنّه لا يملك سلاحاً يقارع به العدوان، فذهبت إلى الحاج عبدالواحد سكر وطلبت منه بندقيّة، فأعطاها ذلك بعد أن أعلمته بخبر زوجها، وزغردت فرحة مستبشرة (معلومات ومشاهدات في الثورة العراقيّة الكبرى – شاعرات في ثورة العشرين – ٣٦٦). كما ينسب الى الشاعرة ونسة الفتلاوية هذه الاهزوجة التي تحيي بها انتصار ثوار العراق على القوات البريطانية خلال الثورة العراقية الكبرى في في معركة الرستمية ١٩٢٠:

فزعت زلمنه زغار وكبار حيادة ولا تتحمل العار

وجينه طبك الجار والجار وبالرستمية وجت النار

واجتنه بطرك شومي ومكوار والفزع جانت اشلون جرار

والجيش ظل بالليل محتار ومن كل جبيلة صار ينغار

ومحد يخاف الطوب لو ثار فتنه اورمينه المدفع احجار

الشاعر الخطيب محمد رضا الخطيب

ولد الشاعر رضا بن هاشم بن عزوز الموسوي الخطيب عام ١٨٩٣ في مدينة الهندية وتوفي في بغداد عام ١٩٤٦، ودفن في مدينة النجف. له كتاب " الخبر والعيان في أحوال الأفاضل والأعيان " في مجلدين، وديوان شعر غزير بالحوادث التاريخية، والمراسلات الأدبية.

وتفيد المعلومات المتوفرة انه نشأ على أبيه فقرأ عليه مقدمات العلوم من نحو وصرف وعروض وبلاغة، ثم درس شيئًا من المنطق والأصول والفقه، وسار على درب أبيه في الخطابة. وقد أرسله والده إلى النجف لاستكمال علومه فدرس على هادي كاشف الغطاء وعبدالحسين الجواهري. وعند نشوب الحرب العالمية الأولى في ١٩١٤، عاد إلى الهندية فتألق نجمه خطيبًا، وذاع صيته شاعرًا، وخص السادة القزاونة بمدائحه ومراثيه وساجل أعلامهم شعرًا ونثرًا. كما امضى الشاعر بضعة أشهر من حياته في سورية ولبنان. وكان عضوا في نادي المثنى – في بغداد – المعروف بتوجهاته القومية العربية، وعضوًا في الرابطة الأدبية في النجف، وقد بيعت مكتبته بعد وفاته.

ولرضا الخطيب من الإنتاج الشعري عدة قصائد أثبتها له كتاب «شعراء الحلة» فيما أشارت بعض المصادر إلى ان لديه ديوان مخطوط، كان قد رغب في تسميته: «اللؤلؤ الرطيب من كلم الخطيب»، وأنه موجود عند بعض أفراد أسرته. ومن شعره النقدي الجميل والجزيل قصيدة "جمود الامة" التي وجدناها نابضة بالحياة بعد:

لقد كدتُ أقضي ولكنْ أسًى

وقد كادَ يقضي عليَّ الأسفْ

أرى أمّتي قد توالى الجمـــودُ

عليها وفوق الجمـودِ الصلف

عقولٌ تغلغلَ فيها الخمولُ

وقد هرمَتْ واعْتراهـــا الخَرَف

ومن نماذج شعره الوجداني التقليدي قصيدة "تجنّي الحبيب" ومنها:

أذابَ فؤادَ الصبِّ بُعْدُكَ والهجـر

وقد خانَهُ فيكَ التجلّدُ والصبرُ

بنفسي وبي ذاك المحيّا الذي بـه

تضيءُ الدياجي لا كما يُشرقُ البدر

بنفسي رشًا هامَ الفؤادُ بحـــــبِّهِ

وفي وصفهِ حارَ التصـــــوّرُ والفكر

يميسُ بقدٍّ ما الغصونُ بمثلهِ اعْـــ

ـتِدالاً ولا اللُّدنُ المثقّفةُ السُّمـــر

ويرنو بألحاظٍ إذا ما رنا بهـــا

تذوبُ لها البِيضُ المهنَّدةُ الـــبُتر

وثغرٍ كنظـــــمِ اللؤلؤِ الرَّطْبِ وسطُهُ

لأهلِ الهوى قد أُوْدِعَ الراحُ والخمـــر

وللسيد رضا الخطيب صوت رخيم وموهبة موسيقية ما جعله واحدا من مبتكري الاطوار القرائية اذ ينسب له ابتكار طور المثكل المعروف بشجاوته.

فارس الحلبات المؤرخ والاديب محمد حسن الكتبي

اشتهر المؤرخ وخبير التراث الحاج محمد حسن الشيخ علي الفتلاوي بلقب "الكتبي" لتأسيسه دارا لنشر الكتب في أوائل شبابه في مدينته الهندية التي ولد فيها عام ١٩١٢ وتوفي فيها عام ١٩٧٨. وكانت نشأته في كنف عائلة علم وادب اذ كان والده خطيبا واديبا لامعا ما ترك الأثر البالغ في شخصيته، فشبّ منذ يفاعته على الكتابة والارتباط بصلات وثيقة مع الادباء والعلماء لا سيما بعد إفتتاحه لمكتبة (الفخار) التي جعل منها ملتقى أدبياً اسبوعياً لمثقفي الهندية وغيرهم كمحمد رضا الخطيب وابراهيم الشيخ حسون والشيخ محمد رضا المظفر ورائد القصة العراقية جعفر الخليلي وعبد الوهاب الصافي ومحمد علي البلاغي وعلي الخاقاني فيما كان له تواصل مع مجالس العلماء مثل مجلس الشيخ محمد حسن آل كاشف الغطاء الذي منحه إجازة تؤهله لتدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ومجلس محمد جمال الهاشمي الذي كان يحفظ أغلب شعره، ولم تنقطع علاقته مع النجف الأشرف ومجالس علمائها وأدبائها. وللاديب الراحل مؤلفات عدة اشهرها كتاب في تاريخ الأدب العربي قديما وحديثا بثلاثة اجزاء اسمه "الشيب والشباب في الأدب

العربي" نشر الجزء الأول منه عام ١٩٧٢، و آخر بعنوان "من حكم واحكام آل البيت (ع)"، كما ترك عدة آثار مخطوطة. ومن المؤكد ان هذا المؤرخ وعالم التراث يستحق عن جدارة ايضا لقب رائد فن المكتبات في العراق. اذ ان من آثاره البارزة ايضا تأسيسه عام ١٩٦٨ لمكتبة عامة عرفت باسم (مكتبة الكتبي العامة) ضمت آلاف الكتب والمطبوعات اضافة الى مخطوطات نادرة.

امير الشعر الشعبي العراقي عبد الأميـر الفتـلاوي

ولد الشاعر الشعبي الكبير الشيخ عبد الأمير الفتلاوي، في قضاء طويريج ناحية أبي غرق في ١٨٦٨ وتوفي في المشخاب عام ١٩٦٠ حيث كان يعيش. كتب الشعر باللغة العامية ولقب فيها بـ "أمير الشعراء" لبلاغة شعره وسلاسته، لا سيما شعره الوجداني وكذلك في مديح النبي والامام الحسين واهل البيت وتمجيد مآثرهم واخلاقهم وقيمهم المثلى وبطولاتهم ومعاناتهم لا سيما إبان ملحمة الطف الخالدة. وكان الفتلاوي عميق العبارة الشعرية بديعها وغزير الانتاج في ذات الوقت، كما تكشف ذلك قصائده المنشورة في ديوانه "سلوة الذاكرين" الذي طبع عدة مرات او في ما وصلنا من نصوص ديوان آخر مخطوط معظمها في الاغراض الوجداني. ومن اشهر شعره قصيدة "آ.. يبني" والتي يقرأها بجمالية خاصة خطيب المنبر الحسيني الكبير الشيخ جاسم الطويرجاوي ومطلعها:

آ.. يبني..

شكول إعليك؟ آ يبني

دولبني زماني بيك دولبني

وللفتلاوي قصيدة شهيرة اخرى في مديح الامام علي مطلعها :

علي عالي اعله كل عالي علي يلعالي من الرب

علي ما نصبك منصوب لاجن بالنصِ منصّب

وله ايضا قصائد وجدانية رائعة الفن منها قصيدة في رثاء زوجته مطلعها:

عني تروح، وانته الروح، من فركاك

عكلي وياك، روحي وياك، اروح وياك

×××

اروح وياك اخذني وياك روحي تروح

ركص الطير ركصي، لو ركص مذبوح

اهن روحين صارن روح، روح بروح

ياسلوة سلاني الموت كون اسلاك

المترجم الرائد علي حسين الترجمان

علي الترجمان في شبابه

شاعر وعالم لغوي واول مترجم محقق في العراق. كتب عشرات القصائد باللغات العربية والفارسية والتركية وفي مختلف الأغراض. ولد في ١٨٧٧، ونشأ مع والده حسين أبو ناصر الدباغ في مدينة الهندية وتثقف بها ودخل المدرسة الرشدية العثمانية حيث اتقن اللغة الفرنسية ليصبح استاذا لها في المدرسة ذاتها. وظل مقيما في الهندية وافتتح فيها مدرسة انشأها بنفسه بعد أن أغلقت المدرسة الرشيدية ابوابها بقرار من السلطات العثمانية. الا ان تعرض المدينة الى وباء الطاعون بعيد الحرب العالمية الاولى، أدى به إلى الانتقال إلى النجف الأشرف حيث عثر على وظيفة مترجم في القنصلية الإيرانية، لأنه كان يحسن اللغات الفارسية والتركية والكردية والهندية والفرنسية بالإضافة إلى لغته العربية الام، وبقي في تلك الوظيفة أكثر من ستين عاماً متنقلا بين النجف وكربلاء وبغداد والعمارة.

وفي النجف أسس هذا الشاعر ندوة أدبية منتظمة كل صباح جمعة كانت تقام في بيته يحضرها الادباء والمثقفين العرب والفرس وغيرهم. ويذكر نجله الشاعر الراحل عباس الترجمان ان والده كان زاهدا صوفيا سخيا وعزوفاً عن المناصب ومتضلعاً في علم الجفر وان المدنية التي اجتذبته وشدته إليها، وقضى كل عمره فيها والمحببة إلى نفسه هي النجف الأشرف بحيث كان لا يطيق البعد عنها في سنواته الاخيرة وقد دفن فيها اثر وفاته في ١٩٥٨. برز من ابنائه اديبان لامعان الاول الشاعر والمترجم المحقق الراحل الدكتور عباس الترجمان الحاصل الدكتوراه من جامعة عين شمس وله عدة مؤلفات في علم الصرف ونحو اللغة العربية منها كتاب حروف المعاني عند ابن هشام والرماني اضافة الى نصوص شعرية وشرح وتحقيق لكتاب "المقتصد" للجرجاني وترجمات لرباعيات الخيام من الفارسية الى العربية. والثاني الشاعر والخطيب الراحل عبد الأمير الترجمان الذي كتب الشعر بأنواعه وأوزانه وأطواره بالفصحى والعامية العراقية وله ديوان شعر مطبوع اسماه "بسمات الترجمان" وديوان أخر في رثاء اهل بيت النبي أسماه "عبرات قلب الترجمان" ومخطوطات عديدة اخرى.

الشاعر السيد أحمد القزويني

ولد الشاعر أحمد القزويني في الهندية عام ١٩٢٧ وتوفي فيها في ١٩٩٢. وفي مسقط رأسه اكمل تعلم القراءة والكتابة والخط في الكتاتيب وحفظ القرآن قبل أن ينتظم في المدرسة الاولى الابتدائية الوحيدة آنذاك في المدينة. وبعد إكمال الابتدائية انتقل لإكمال المتوسطة في الناصرية والثانوية في الحلة عام ١٩٤٥. ويذكر الاستاذ المؤرخ جودت القزويني عنه ان طموحاته بدأت تتفتح للحياة الادبية منذ يفاعته، كما أخذ بفضل توجيه أبيه يكتب الشعر وينظمه حتى قوي عوده وصلب. وعند إجازة الأحزاب السياسية في العراق سنة ١٩٤٧- ١٩٤٨ انتمى احمد القزويني إلى حزب (الاستقلال) برئاسة مهدي كبة المتوفي سنة ١٩٨٤، وهو لم يزل بعد في بداية سني شبابه، وربما بتأثير من عمه علي القزويني الذي كان من مؤسسي حزب الاستقلال، وعضو الهيئة المركزية للحزب ومسؤول منطقة الفرات الأوسط يومذاك.

وكانت مدينة طويريج في تلك المرحلة الزمنية مزدهرة بأعلام الأدب أمثال الشعراء محمد رضا الخطيب وإبراهيم الشيخ حسون، وغيرهم. وأحمد القزويني تألق شاعرا سياسيا حتى عرف بلقب شاعر (الاستقلال). ولعل في ديوانه المخطوط ما يؤرخ لكثير من أحداث هذه الفترة. وفي سنة ١٩٥٤ م عين أحمد القزويني رئيسا لبلدية الهندية. وفي عهده تم إنشاء الجسر الحديدي للمدينة بدلا من الجسر الخشبي العائم وذلك عام ١٩٥٥. ويعتقد جودت القزويني ايضا انه وبالرغم من ملكاته الذاتية، ومواهبه الأدبية، وصلاته الاجتماعية الواسعة إلا أن شهرة الشاعر احمد القزويني ظلت مقتصرة على وسطه، وقد اختفى شعره عن الأنظار، و لم

يواصل النشر، ولا حتى التفكير بطبع نتاجه الأدبي، او [illegible]
كتبها في أكثر من مجال. ومن شعر احمد القزويني ما نظمه [illegible]
عزاء طويريج في ١٩٦٦ والتي سقط فيها أكثر من ثلاثين [illegible]
أبواب مرقد الإمام الحسين جاء فيها:

ذكراك وهي مدى الزمان تخلد وأريج ذكرك عاطر يتجدد

إيه أبا الشهدا ببابك فتية نالوا الشهادة في حماك فخلدوا

سمعوا الندا يعلو ألا من ناصر عنا يذب غداة عز المنجد

فأتتك أرواح لهم تهفوا على ذاك الضريح وعند بابك تسجد

ما الموت أدرك من ببابك إنما موت الشهيد بيوم رزئك مولد!

والى جانب الشعر والعمل السياسي، ساهم أحمد القزويني بالكتابة الصحفية، اذ نشر العديد من مقالاته ودراساته في الصحف العراقية، كما نشر كثيرا من شعره السياسي الذي حفلت به مرحلة منتصف القرن العشرين. وللسيد احمد القزويني كتابه "النوادر في الاخبار والاشعار" الذي يمثل محاولة شخصية بحتة سعى المؤلف إلى تحقيقها منذ عام ١٩٨٣، لمّ فيها شتات ما قرأه أو سمعه من طِرف ونوادر إستحسنها بذوقه الفنّي والأدبي المحض.

اول رئيس لأركان الجيش العراقي محمد رفيق عارف

الفريق الركن محمد رفيق عارف، أخر رئيس لأركان الجيش العراقي في العهد الملكي (٢ تشرين الأول ١٩٥٣ – ١٤ تموز ١٩٥٨). وهو بغدادي الأصل من عائلة القيماقجي ولد في قضاء الهندية عام ١٩٠٨، وترعرع فيها اذ درس في مدرسة الهندية الابتدائية الاولى وتخرج منها ورافق والده الموظف في دوائر الحكومة فيها وظلت له صداقات وعلاقات اجتماعية مع اهلها على الدوام حتى وفاته. وقد دخل محمد رفيق عارف المدرسة العسكرية في بغداد في ١٢ آيار ١٩٢٤ وهو العام الذي تم فيه قبول أول دورة من التلاميذ في هذه المدرسة، وبهذا يكون الفريق الركن محمد رفيق عارف أول من شغل منصب رئيس اركان الجيش من المدرسة العسكرية العراقية.

وقد درس العلوم العسكرية في كل من المدرسة (لاحقاً الكلية) العسكرية العراقية وأكمل الدراسة في الأكاديمية العسكرية البريطانية في (ووليج – إنجلترا). ثم التحق بكلية الأركان البريطانية في (كويتا – الهند (حالياً باكستان) وكان من أبرز أساتذته هناك المشير (فيلد مارشال) برنارد مونتجومري بطل معركة العلمين أواخر الحرب العالمية الثانية، الذي ظل على علاقة وثيقة بمحمد رفيق عارف وحتى وفاته. وقد قيمه مونتجومري بامتياز في دراسته، وشهادة تقييمه محفوظة لدى وزارة الدفاع العراقية. شغل محمد رفيق عارف مناصب عدة في الجيش العراقي خلال العهد الملكي، منها آمر اللواء الرابع وآمر كلية الأركان وقائد الفرقة الثانية.

وبعد أن شغل منصب رئيس أركان الجيش العراقي لمدة أربع سنوات،

أختير رئيساً لأركان جيش الإتحاد العربي الذي ضم في [illegible] والأردن وحتى نهاية العهد الملكي بالانقلاب العسكري في ١٤ تموز ١٩٥٨. عندها تم اعتقاله ومحاكمته أمام محكمة عسكرية خاصة [illegible] بعد تموز ١٩٥٨ لمحاكمة رجال العهد الملكي. ثم تم الإفراج عنه بعد ثلاث سنوات، وتمت إعادة الاعتبار إليه بعد إلغاء المحكمة المذكورة وإلغاء كافة إجراءاتها. وبقي الفريق الركن محمد رفيق عارف متقاعداً في العراق حتى وفاته في بغداد أواخر آب ١٩٩٢.

السيد قاسم الخطيب الهنداوي

كان صديقا قريبا لوالدي في الخمسينات. وهو السيد قاسم بن السيد عزوز الملقب بالخطيب صاحب مؤلف مخطوط بعنوان "الكلم اللامع في الأدب الضائع" وهو يعنى بالأدب والشعر. ولد عام ١٨٩٥ في طويريج، ونشأ في دواوين هذه المدينة وتميز بسعة الثقافة العامة وسرعة البديهة وحفظ المقطوعات الشعرية لأكابر الشعراء، ومنذ نعومة أظفاره وعشق فن الخطابة ومارسه وقد ساعده في ذلك جهورية صوته وقوة إلقائه.

أخذ الخطابة على يد عمه الشاعر الكبير السيد محمد رضا الخطيب، ثم انفرد بنفسه فارتقى المنبر في مختلف المدن العراقية. كما شارك في عدة مؤتمرات داخل وخارج العراق، وله مكتبة ضخمة تضم مئات الكتب في مختلف العلوم والمعارف. وكان من اقرب اصدقاء والدي وتتلمذ على يده العشرات من مثقفي الهندية. وتوفي في ١٩٨٤ عن ٩١ عاما.

الشاعر الراحل احمد آدم

ولد الشاعر في ١٩٦٥ في كربلاء قضاء الهندية. أكمل دراسته في الهندية وكربلاء وحصل على دبلوم من معهد الإدارة ثم على بكلوريوس من كلية التربية / جامعة كربلاء. نشر قصائده مطلع عقد التسعينيات من القرن الماضي ونشر اول دواوينه (يسعى) عام ١٩٩٨. أنتخب أمينا للشؤون الثقافية لإتحاد ادباء كربلاء في الدورة السابقة. شارك في أغلب المهرجانات الشعرية التي أقيمت في العراق كالمربد ومهرجان المتنبي والحبوبي. متزوج وله ولدان وخمس بنات وحفيدتان من ابنته الكبرى. اغتاله يد الجريمة والارهاب الأعمى.

لقد حمل ديوانه الأول عنوان (يسعى) هذه المفردة التي تلخص لنا كل إندفاعات أحمد آدم وهو ينحت إسمه الشعري في خريطة الأدب العراقي الواسعة والشاقة في آن، ومع ذلك نراه وقد إستدرك في العام التالي مباشرة ديوانه الأول ليقدم لنا كتابه الشعري الثاني حاملا في عنوانه أيضا خلجات آدم وطموحاته الشعرية المتدفقة، لقد أسماه هذه المرة بـ (إستدراك) ديوانه الشعري الثالث الذي حمل عنوان (كون في داخلي) وياله من كتاب يمثل نسخة أصلية للكون المصغر لأحمد آدم.

الخاتمة

استاذ القراءة زكري الدبوني واستاذ الدين صبري ظلا رمزا للمعلم المثالي في ذاكرتي. الاول كان كأب بالمعنى التربوي للكلمة. اما الثاني فلئن ظل كالسرّ لدى اهل البلدة كلها، كان كالشيخ الصوفي القريب الى الروح بنظرنا لا سيما لاصراره على أخذنا كل يوم جمعة الى جامع الدولة الوحيد والفارغ من المصلين غالبا ليعلمنا الصلاة وتجويد القرآن واصعب ما في قواعد اللغة العربية. ولا انسى ابدا ذلك اليوم الباكي الذي عاشه طلاب تلك المدرسة الابتدائية المسماة "الاولى" لحظة توديع مديرها الاستاذ خالد عبد القادر في صيف ١٩٥٦ لمجرد انه نقل من مدرسة الابتدائية الاولى.

في الهندية ايضا شاهدت وانا في الصيف العاشر من العمر عام ١٩٥٧، اول شريط سينمائي في حياتي وكان الفيلم المصري الشهير (رصيف نمرة خمسة). ومتشبثا برفقة اي قريب او جار، لم انقطع منذئذ عن اي فيلم عرضته سينما الهندية الصيفي في العامين اللاحقين. وبعد عام شاركت في اول فرقة فنية عندما اصطحبني استاذ النشيد مع تلاميذ آخرين الى مسرح في الحلة لتمثيل الهندية في المسابقات الفنية السنوية لابتدائيات اللواء. وكانت مدرستنا الالمع لمجرد ان معلم النشيد الشاب لم يكن سوى الفنان الموسيقي العراقي الشهير لاحقا محمد جواد اموري.

وفي الهندية تلك ايضا التقطت اول صورة بورتريه لي في العمر في ستوديو الفنان الفوتوغرافي اللامع رستم، ولعلها بين اجمل صوري لحد الآن.

كما كنت في ذيل اول مظاهرة في حياتي عندما خرج الاهالي في مسيرة لتأييد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في بهجة غمرت كل السكان قبل ان تتحول بعد عام الى احزان شاملة ومتواصلة بعد سقوط العديد من القتلى والجرحى، اشهرهم معطي بلور وحسين موسى، واعتقال العشرات اثر اندلاع احداث الهندية في العام اللاحق والتي كانت بمثابة الضربة القاصمة لحياتنا البسيطة تلك. فلقد اعلنت الطوارئ ومنع التجوال في المدينة اثر وصول قوة عسكرية ارسلتها حكومة الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم على عجل الى الهندية لضبط الاوضاع الامنية المنهارة بسبب معارك بين جماعة الوطني الديمقراطي المدعومين ببعض الشيوخ والسراكيل من جهة، والشيوعيين المدعومين بطلاب الثانوية والحمالين والكيالين وجماعات انصار السلام من جهة اخرى.

الهجرة الى كربلاء والحلة والنجف وبغداد كانت الظاهرة اللاحقة التي هددت العديد من عوائل الهندية. فقد كادت المدينة ان تفرغ من سكانها بل بدت كما لو انها تنهار تدريجيا. عائلتنا هي الاخرى بدأت كما لو انها آخذة بالانقراض في غفلة من الزمن. عميد العائلة جدي لأمي الحاج جواد محمد علي غادرنا بعد اقل من عام من وفاة اخيه باقر الملقب الكبيجي الاصغر سنا لكن الاشهر بسبب نشاطه السياسي وتفتحه الفكري، وبعد بضعة اشهر فقط من وفاة والدي. و لم اكن افهم معنى الموت ولا حتى معنى الغياب. الا ان شيئا يشبه الهجران صار يتسرب بين الاضلع اقوى فاقوى مع مرور الايام. وبينما "كورنيش" الهندية غدا كئيبا لا سيما في اوقات الغروب، ظل خيال والدي يتراءى لي يوميا وهو يتمشى الى آخر مقعد في المقهى المتكئ على النهر ليستريح في زاويته المفضلة متأملا لدقائق طويلة احيانا، بصفاء انما بقلق عميق، تدافع مياه الفرات المصحوبة بشبه ايقاعات غافية لزركيلة كانت سرعان ما تجد الى جانبها ثانية وثالثة لأصدقاء له كانوا يلتحقون به تباعا وهم

يتبادلون دون ضجيج يذكر التحية والمعاتبات ثم يسرحون في احاديث ساخرة غالبا وبهيجة احيانا كما كنا نتخيل عن بعد. اذ لم يكن مسموحا لنا بالجلوس معهم او الاختلاط بهم او حتى الاستماع الى ما يدور بينهم من احاديث. لكننا صرنا نعرف مع مرور الوقت ان من بينهم المع شخصيات المدينة آنذاك وشعراء ومثقفون وفنانون آخرون يبدون قادمين من انحاء قريبة شتى.

الآن، وبعد نحو نصف قرن على هجرتي من الهندية يافعاً، ونحو نصف قرن من الافكار الواقعية والمتخيلة عن المدينة ذاتها، ثمة احساس بالحبور يغمرني وانا اقدم هذا الكتاب الصغير هدية لها ولفراتها ولابنائها من كل الازمنة والثغور.

الدكتور حسين الهنداوي

في سطور

شاعر وكاتب متخصص في الفلسفة ومستشار سياسي اقدم لدى الامم المتحدة واول رئيس لمفوضية الانتخابات في العراق بين ٢٠٠٤ و٢٠٠٧. ولد في مدينة الهندية- طويريج في ١٩٤٧. اكمل الابتدائية في مسقط رأسه والمتوسطة والثانوية والبكالوريوس (١٩٦٦-١٩٧٠) في بغداد، ثم الدكتوراه في الفلسفة بدرجة شرف من فرنسا (١٩٨٠-١٩٨٧)، مؤسس القسم العربي في جامعة بواتيه الفرنسية ومحاضر فيه بين ١٩٨٢ و١٩٨٥، ورئيس تحرير القسم العربي في وكالة انباء يونايتد بريس انترناشيونال العالمية لثمان سنوات بين ١٩٩٥ و٢٠٠٣. ومبعوث منظمة العفو الدولية الى لبنان في ١٩٩١ والى اليمن في ١٩٩٢ و١٩٩٤، وعضو بعثة الامم المتحدة الى هايتي بين ١٩٩٣ و١٩٩٥، وعضو بعثتها لدى العراق منذ ٢٠٠٨ الى الآن. له مؤلفات وكتابات في الفلسفة والفكر السياسي بالعربية والفرنسية والانكليزية من بينها: "التاريخ والدولة ما بين ابن خلدون وهيغل" (بيروت ١٩٩٦)، و"هيغل والاسلام" (بالفرنسية ١٩٨٧)، و"هيغل والفلسفة الهيغلية" (بيروت ٢٠٠٤)، و"على ضفاف الفلسفة"- (بغداد ٢٠٠٥)، و"اخاديد" (مجموعة شعرية بغداد ٢٠١٢)، و"محمد مكية والعمران المعاصر" (بيروت ٢٠١٢)، و"فلاسفة التنوير والاسلام" (دار المدى/ بيروت ٢٠١٤)، وتحت الطبع "استبداد شرقي ام استبداد في الشرق؟"، و"مقدمة

في الفلسفة البابلية"، و"لبنان ١٩٩١، رحلة في كوكب ممزق"، و"في نقد العقل الامريكي"، وله عشرات المقالات المنشورة في دوريات عربية وانكليزية مهمة، اضافة الى مجلة "اصوات" التي أسسها مع آخرين في ١٩٧٦. كما ترجمت له عشرات المقالات الى لغات اجنبية عدة. وهو رئيس لمؤسسة (عراق للابداع)، وعضو مؤسس في الجمعية الفلسفية العراقية في الخارج، وعضو دائم في نقابة الصحفيين البريطانية، وعضو جمعية الصحفيين الاجانب في المملكة المتحدة الى جانب عضوية اتحادات ادبية وفكرية عربية واجنبية.

الفهرست

المقدمة ٥

الفصل الاول

طريق المبتغى ٩
"طويريج" او الجرف العالي: ١٠
"الهندية" او الطريق الى الهند: ٢١
ما بين بابل وكربلاء ٢٦
بين بورسيبا والاخيضر ٣٠

الفصل الثاني

بيتنا وبستان بابل ٤٥
مدينة المياه والجداول والندى ٤٩
جسر استرالي الاصل ٥٣
روضة الفرات الاوسط ٦١
مدينة المجارش والتنباك ٦٨

الفصل الثالث

الهندية وأهلها ٧٥
ربع مليون ناخب ٧٦
عشائر طويريج ٨٠
مجتمع الهندية الجديد ٨٣
تنظيمات ادارية عشوائية ٨٩

الفصل الرابع

طويريج في مهب السياسة ٩٦
قضاء قبل ١٨٧٥ ..... ٩٦
الهجمات الوهابية على طويريج ٩٨
مقاومة الهيمنة العثمانية ٠٠

العاصمة الميدانية لثورة العشرين ١٠٤
بعد تأسيس الدولة العراقية ١٢٢
مرتع حيوي للصراعات ١٢٩

الفصل الخامس

هنداويون وطويرجاويون ١٣٧
مؤسس الغناء الريفي العراقي عبد الامير طويرجاوي ١٤٣
مؤسس المسرح الاذاعي العراقي ابراهيم الهنداوي ١٤٧
رائد الشعر الشعبي العراقي إبراهيم الشيخ حسون الهنداوي ١٥٠
رائد قصيدة النثر العربية حسين مردان ١٥٤
الشاعر الثائر محمد حسن ابو المحاسن ١٥٧
الفنان محمد جواد اموري ١٥٩
مهدي شاكر العبيدي ١٦٢
بطل العالم وآسيا في كمال الاجسام عباس الهنداوي ١٦٥
النحات العراقي المتألق احمد البحراني ١٦٨
شاعرة ثورة العشرين ونسة الفتلاويّة ١٧١
الشاعر الخطيب محمد رضا الخطيب ١٧٢
فارس الحلبات المؤرخ والاديب محمد حسن الكتبي ١٧٤
امير الشعر الشعبي العراقي عبد الأمير الفتلاوي ١٧٦
المترجم الرائد علي حسين الترجمان ١٧٨
الشاعر السيد أحمد القزويني ١٨٠
اول رئيس لأركان الجيش العراقي محمد رفيق عارف ١٨٢
السيد قاسم الخطيب الهنداوي ١٨٤
الشاعر الراحل احمد آدم ١٨٥
الخاتمة ١٨٦

في الغربة اكتشفت للمرة الاولى طويريج او الهندية، المدينة التي ولدت فيها وامضيت فيها وحدها كل سنوات البراءة والطفولة والصبا. فمنذ ان غادرتها عائلتي الصغيرة والمعدمة نحو بغداد في منتصف ١٩٦١ وطيلة حياتي اللاحقة في عدد من اجمل واشهر عواصم الدنيا، لم تغادرني الهندية مطلقا برغم انها تراجعت احيانا لتصبح مجرد ذكرى غابرة وحتى غائرة لا سيما بعدما غمرتنا بغداد بسحرها وكرمها من كل صوب. فدار السلام تلك تحديدا صارت مدينتي الاولى حال انتقالي اليها برغم اغواءات باريس ولندن وبيروت وسواهما من عواصم الدنيا التي عرفها العمر عن كثب. بيد ان الهندية وحدها المكان الذي اشعر حياله بحنين غامض ورومانتيكي وبعض الطمأنينة كذاكرة. فهذه البلدة المسورة ببابل وكربلاء وبورسيبا والاخيضر من جهاتها الاربع كالقمم، من نوع تلك الاوطان التي يمور في الواحد منا دفء نبضها بين آنٍ وآن، فنداريه كالجمرة الطيبة خشية الاندمال الكامل دون ان نعرف لماذا غالبا. بالنسبة لي اعرف لماذا: لقد ولدت ونشأت وتفتحت كل براعمي الاولى في طويريج، الاسم الآخر الموسيقي والجميل والتاريخي لقضاء الهندية الذي يندر ان يذكره ابناؤه دون بهجة صادقة بالانتماء اليه.

ISBN 284306234-9
9 782843 062346

مكتبة الفكر الجديد